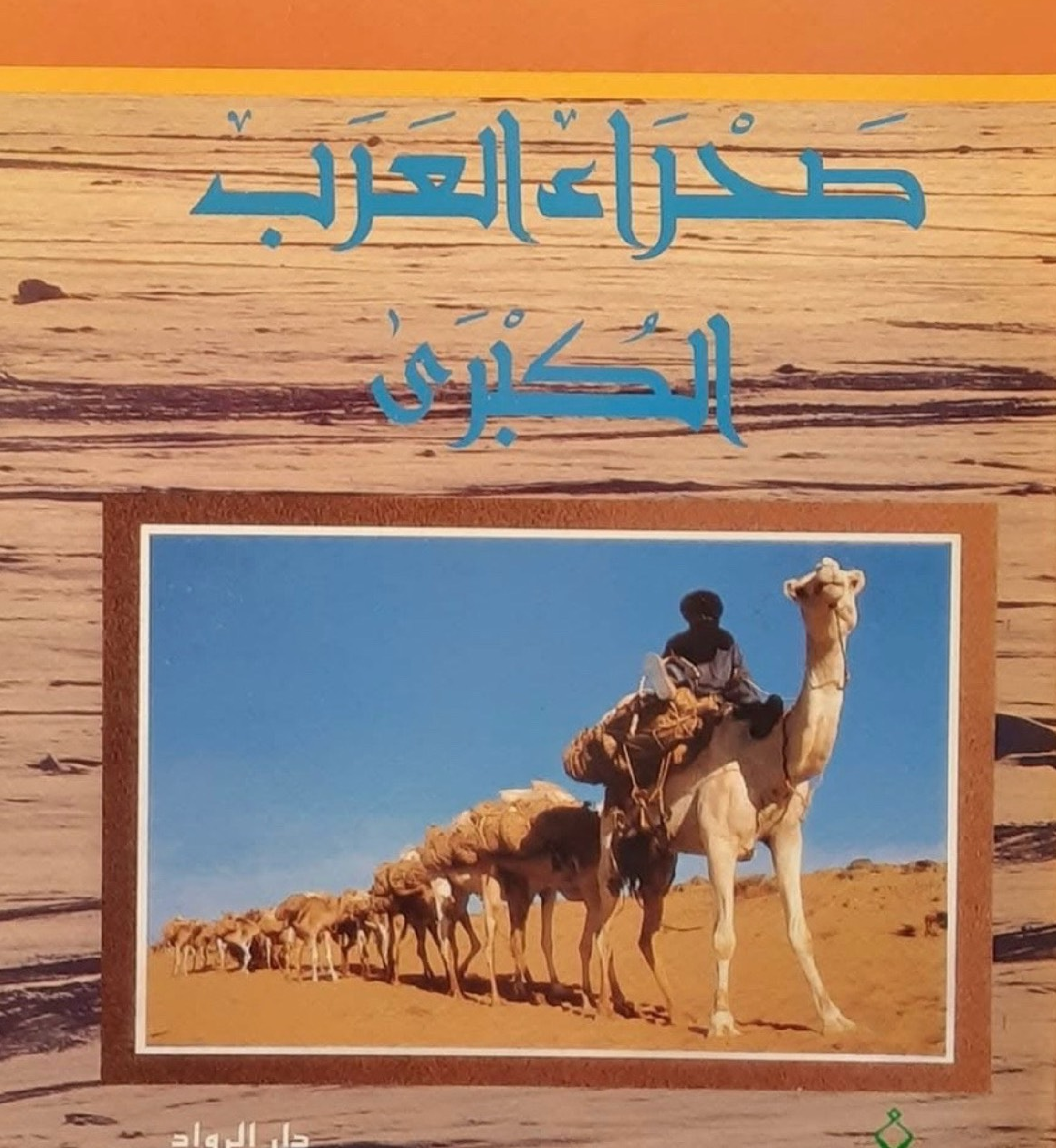
د. محمّد سعيد القشّاط

صَحْرَاءُ العَرَب الكُبْرَى



دار الرواد
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الملتقى للنشر

Dr. Binibrahim Archive

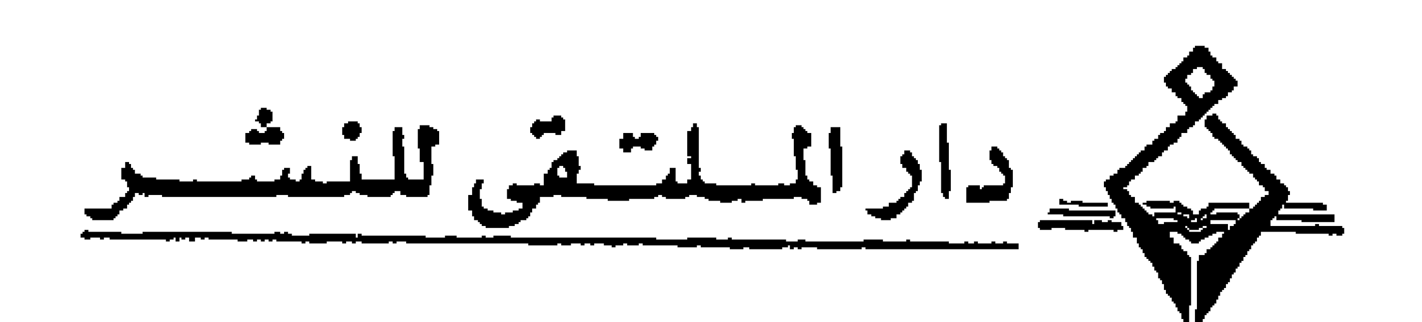
Dr. Binibrahim Archive

صَحْرَاءُ العَرَبِ
الكُبْرَى

Dr. Binibrahim Archive

د. محمد سعيد القشاط

صحراء العرب الكبرى



دار الرواد
للطباعة والنشر والتوزيع

Dr. Binibrahim Archive

الطبعة الأولى

1994

© جميع الحقوق محفوظة لـ:
دار الرواد
طرابلس ـ ليبيا
ص.ب.: 91969

دار الملتقى
ليماسول ـ قبرص
ص.ب.: 6527

Dr. Binibrahim Archive

الإهداء

إلى عرب الصحراء الكبرى في أفريقيا
أهدي هذا الجهد المتواضع
تقديراً لدورهم البطولي في التاريخ العربي الإسلامي

المؤلف

Dr. Binibrahim Archive

مقدّمة

لم يكن العرب قبل مبعث الرسالة المحمدية يقطنون جزيرة العرب وحدها كما يحلو للمؤرخين العرب وغير العرب أن يذكروا في تأريخهم، ولكنهم كانوا يقطنون الجزيرة العربية وشرق أفريقيا. وشمال أفريقيا ـ في بعض المواقع شمال خط الاستواء ـ وفي غرب أفريقيا.

سكنوا هذه المواقع منذ آماد بعيدة. انتقلوا إليها بلهجاتهم العربية الأمهرية والجبالية لهجتا حضرموت وظفار، والصنهاجية وغيرها.

وبتطوّر اللغات اختلطت هذه اللهجات بلهجات أخرى أفريقية، فتكونت لهجة الفلان، والهوسا، والسوننكي والتكرور، والبمبارا، واللهجات السواحلية، والأمهرية والتقراي، ولهجات الشوا، والزغاوة، والتبو، والقرعان وغيرها من لهجات القبائل العربية التي استوطنت أفريقيا.

وقسّم مؤرخو العرب العرب إلى عرب عاربة وعرب بائدة. ويقولون لك أن العرب البائدة انقرضت ولم يبق منها أحد وانتهى مصيرها إلى العدم.

ولكن لماذا لم نقل أن العرب البائدة ـ أو التي قال المؤرخون أنها بادت واندثرت ـ هي القبائل التي استوطنت الشمال الأفريقي والشرق الأفريقي والغرب الأفريقي منذ آماد سحيقة. واستوطنت هذه البقاع التي انتقلت إليها في هجرات متتالية؟

إن أحفاد هذه القبائل لا يزالون حتى كتابة هذه السطور يفخرون بانتسابهم للعروبة، ويحفظون في صناديقهم وعن ظهر قلب شجرات أنسابهم التي توصلهم إلى أجدادهم في جزيرة العرب. انتقلوا إلى هذه المناطق بعاداتهم وتقاليدهم، وأسمائهم وسماتهم، وبأسماء أنبيائهم الذين بُعثوا في فترات متتالية في جزيرة العرب.

فأنت تسمع أسماء إدريس، وصالح، وشعيب وأخنوخ «وهو اسم نبي الله إدريس».

وتسمع فهرون، وطلحة، وجرير، والفرزدق، والخضر وأسماء عربية إسلامية أخرى جاءت بعد الرسالة.

وإنك لتجد حتى هذه اللحظة من قبائل البمبارة في جمهورية مالي من ينتسب إلى بلال بن رباح ويفخر بذلك.

ومن قبائل السوننكي (ومعناها بلهجة أفريقيا الغربية الرجال البيض) من يفخر بانتسابه للعرب من الشمال الأفريقي. أما الفلان وهي قبائل كثيرة العدد تمتد في شريط من المحيط الأطلسي في غرب أفريقيا إلى البحر الأحمر في شرقها، فهم يفخرون بانتسابهم للعروبة ويحفظون شجرة نسبهم التي توردهم إلى حمير.

أما قبائل الهوسا التي تمثّل غالبية سكان نيجيريا والنيجر فهم يرون انتسابهم إلى قبيلة (الحوصة) العربية. ولا زالت عاداتهم وتقاليدهم عربية صحيحة بما فيها ظاهرة التعمم وليّ العمائم بالطريقة العربية تحت الحنك.

ولا زالت أسماء المناطق في الصحراء العربية في أفريقيا عربية صحيحة.

فنحن نجد جبال (الآير) في شمال النيجر. والاسم تارقي، ومعناه في الفصحى (الحجر الصلد) وهذا الاسم لم يكن مستحدثاً بل هو موجود منذ آلاف السنين مما يدل على عروبة المنطقة.

ولغرض في نفس الغربيين من مستشرقين وغيرهم حاولوا طمس عروبة المنطقة وشككوا فيها، معتمدين على بعض أقوال المؤرخين السذج من الغرب الذين يحاولون إبعاد العرب عن عروبتهم. وتمزيق هذه الأمة الشامخة، يساعدهم عن غير قصد أولئك المتعصبين للعروبة الذين يرون أن العروبة الحقة متمثلة في العرب القادمين للمنطقة بعد ظهور الإسلام. وهذا يدل على ضحالة في التفكير ساعدت الغرب على التشكيك في عروبتنا وأصولنا الواحدة التي تلتقي في أرومة العرب المشتركة في الجزيرة العربية.

وقد حاول بعض الكتاب وبعض المؤرخين من العرب أن يكتبوا عن عروبة الشمال الأفريقي، ولكن بكثير من الضحالة وبكثير من التقصير. لم يتطرقوا قط إلى عروبة غرب أفريقيا ووسطها وشرقها على امتداد الصحراء الكبرى. هذه الصحراء التي يسميها الفرنسيون وإلى سنين قريبة (الصحراء الفرنسية)، ويسمّي الإسبانيون جزءها الغربي (الصحراء الإسبانية). وينسى العرب ـ ويا للأسف ـ أنها عربية، حتى إن جمهورية موريتانيا (بلاد شنقيط) بقيت عدة سنوات نكرة للعرب

ويرفضون إدخالها في الجامعة العربية بناءً على احتجاج مغربي، وكادت أن تضيع في عالم النسيان لولا أن تداركها الله بلطفه، ولولا همة عربية من بنيها حافظوا بها على عروبتها ودينها لآلاف السنين. بل تعدوا منطقتهم ونشروا العروبة والإسلام في أدغال أفريقيا. ولا تزال قبائل زنجية ترجع بأنسابها العربية إلى عرب بلاد شنقيط تزنجت في السنغال وغينيا وغانا وساحل العاج وغيرها.

وحتى المشاكل الأخيرة بين السنغال والموريتانيين ـ أو كما تقول الدعاية الغربية ـ هي في الواقع من نسج الغرب ومن نسج الكنيسة الغربية وغلاة النصارى لبتر التيار الإسلامي العربي من المناطق الأفريقية.

فالموريتانيون (الشناقطة) يجوبون أفريقيا حاملين معهم العلم والدين واللغة العربية. وبالرغم من القرار الذي أصدرته إدارة المستعمرات الفرنسية من دكار عام 1910، والقاضي بإلغاء اللغة العربية واستبدالها باللغة الفرنسية، إلا أن اللغة العربية لا زالت تقرأ وتدرس في أفريقيا ويتعلم بها الأفريقيون في محاضرهم وكتاتيبهم حتى اليوم. وقد شاهدت عشرات الكتاتيب في السنغال وغينيا تدرس اللغة العربية والقرآن الكريم وعلوم الدين لأبناء الأفارقة على أيدي المشايخ الموريتانيين. ولهذا رأت الإدارة الفرنسية في الغرب بث التفرقة وزرع المشاكل وعدم الثقة، بين الإخوة في الدين. وأجّجت نار الحقد بين العرب والأفارقة، لتجعل العرب يدفعون ضريبة العبودية التي ابتدعها الغرب. وملأ بالرقيق الأفريقي أسواق أميركا وأميركا اللاتينية وجعل الأوروبيون الحقد الأفريقي على الرجل الأبيض الأوروبي النخاسي ينقلب حقداً على الإنسان العربي الذي جاء يحمل العدل والمساواة والحرية.

وقد شاهدت صورة في كنيسة (جوبا) عاصمة جنوب السودان لقطيع من الأفارقة السود يقيّدهم رجل عربي بعمامته، ويلوح بيده السوط يسوقهم به، واللوحة مرسومة بيد أحد الرسامين الإنجليز بناءً على رغبة الكنيسة[1].

وهكذا يصبح دور الكنيسة التي من المفروض أنها تبشر بدين إلهي عماده الأخوة والمساواة والصدق، تبتكر بث الفرقة ونشر الأضاليل لخدمة الغرض الاستعماري.

الأوروبيون هم الذين ساقوا الأفارقة للقتال في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية

---

(1) زيارة قمت بها إلى السودان، فبراير/ شباط 1973.

الثانية، آلاف من عرب الشمال الأفريقي ومن زنوج أفريقيا استيقوا للحرب ليموتوا دفاعاً عن عظمة فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا.

فرنسا التي سقطت تحت جنازير الدبابات الألمانية في شهرين من الحرب، أعاد لها الأفارقة والعرب هيبتها وحريتها لتستعمرهم من جديد وتبطش بهم من جديد!!

فرنسا هي التي أججت العداوة بين عرب شنقيط والسنغال ليتم قتل وحرق مئات العلماء المسلمين العرب في السنغال وطرد من بقي منهم حيّاً وذلك لترضى فرنسا، علماً بأن 60٪ من السنغاليين عرب. وحتى اسم السنغال هو تحوير لاسم (صنهاجة) القبيلة العربية الشهيرة في المنطقة. الساذجون دائماً يقودهم الإعلام الغربي، ليريهم وجهاً هو غير الوجه الحقيقي.

فالمشاكل التي فجّرها الغرب بين موريتانيا والسنغال أرجعها الإعلام الغربي لأسباب اقتصادية، بحجة أن الموريتانيين يسيطرون على الاقتصاد السنغالي!! شيء مضحك. وتحليل ساذج.

فالتاجر الموريتاني الذي يفتح متجراً صغيراً لبيع الشاي والسكر والفحم، يفتح بجانبه مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية لأبناء الأفارقة بالمجّان. وجميع متاجر الموريتانيين في غرب أفريقيا لا يمكن أن تساوي رأسمال المصنع الصهيوني للسكر في السنغال. ولا المتاجر الفرنسية في دكار أو أبيدجان، ولا رأسمال المصنع اليهودي للخمور في دكار.

نعود للحديث عن الصحراء الكبرى والتي أسميتها في كتابي هذا (صحراء العرب الكبرى) هي عربية منذ الأزل، تقطنها قبائل عربية. وقامت عليها إمارات عربية وممالك عربية. وزحفت فوقها جيوش عربية فاتحة وناشرة للعدل والمساواة وعبادة الله الواحد الأحد.

لا يزال على أديمها عرب منذ آلاف السنين، وإخوة لهم آخرون قدموا حاملين راية الإسلام. ولا يزال أحفاد عقبة بن نافع، وأبو بكر الصديق وجعفر بن أبي طالب، وعلي ابن أبي طالب وغيرهم كثيرون ينتشرون في أصقاع الصحراء، بعاداتهم وتقاليدهم ولهجتهم الفصحى وإيمانهم بعروبتهم ودينهم القويم.

لا تزال بقايا الأنصار والمهاجرين الأوائل يملأون الصحراء أدباً، وشعراً، وفروسية وجهاداً، وكرماً وكبرياء. ولا تزال الصحراء تردّد أسماء أبطال العروبة الأوائل وأحفادهم بالصحراء.

وما زال الشعر العربي يتردّد في مهامة الصحراء، تفوح منه وتعبق رائحة أزهار الشيح والقيصوم والخزامى والعرار والأذخر.

وما زالت أشجار الجزيرة العربية يحملها التراث العربي الصحراوي شعراً ونثراً، في ظلال السدر والطلح والسرح والدوم.

وما زالت حيوانات الجزيرة العربية بأسمائها ترتع وتتقافز في صحراء العرب الكبرى، الأليف منها وغير الأليف.

وما زالت الخيول العربية الكريمة التي يجوع لها العيال ولا تجوع، تولد وتتناسل محتفظة الأسر العربية بشجرة أنسابها كما يفعل أجدادهم في جزيرة العرب.

لهذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة رأيت أن أضع هذا الكتاب لألقي فيه الضوء على عرب فرّقتهم الجغرافيا وجمعهم التاريخ.

ولقد رأيت أن أقسّم هذا السفر إلى ثمانية فصول:

الفصل الأول : وفيه رأيت تحديد موقع هذه الصحراء وحدودها الجغرافية ومناخها وتضاريسها وأهم أنهارها وبحيراتها وثرواتها الطبيعية وأهم مدنها، وذلك في شيء من الإيجاز كمفتاح للبحث.

الفصل الثاني : أذكر فيه أهم نباتات الصحراء وأشجارها وحيواناتها الأليفة منها والشاردة، وذلك حتى يتسنّى معرفة الأسماء وتطابقها مع مثيلاتها في جزيرة العرب.

الفصل الثالث : وقد خصصته لأهم القبائل العربية في الصحراء الكبرى. إذ أنني لا أستطيع ذكر جميع القبائل العربية في المنطقة والتي تعدّ بالآلاف، وذلك لقلة المصادر وخوف الإطالة.

الفصل الرابع : أفردته للنظام الاجتماعي في الصحراء وعادات العرب فيها وتقاليدهم.

الفصل الخامس: جئت في هذا الفصل على ذكر الحركات الإصلاحية في الصحراء على امتداد التاريخ الإسلامي في المنطقة، كما جئت على تعداد الممالك والإمارات التي قامت في الصحراء والمدارس التعليمية فيها.

الفصل السادس : أوضحت في هذا الفصل نبذة عن الأدب والموسيقى في الصحراء.

الفصل السابع : أفردت هذا الفصل لوصول الاستعمار الحديث والمقاومة.

الفصل الثامن : أسميت هذا الفصل (حاضر الصحراء) وذلك لربط الحاضر بالماضي وإلقاء الضوء على واقع عرب الصحراء الكبرى وما يقاسونه في ظروفهم الراهنة.

هذه الفصول الثمانية أحاول أن أسلّط الضوء فيها على (صحراء العرب الكبرى) المنطقة التي يجهل العرب عنها الكثير بالرغم من مساهمة شعبها الفعّالة في نشر الحضارة العربية الإسلامية في أدغال أفريقيا الوثنية.

ولقد ذيّلت الكتاب بخاتمة أوردت فيها ملخص ما يدور في الكتاب. وبيّنت رأيي في أرخبيل جزر الخالدات في المحيط الأطلسي وأرخبيل جزر دهلك في البحر الأحمر.

أتمنى في هذه العجالة أن أكون قد قدّمت شيئاً ذا فائدة لأمة العرب، ولأمم ليست من العرب في شيء وللذين يهمهم تاريخ الصحراء، وتاريخ شعب الصحراء.

وأرجو من الله العون والهداية.

د. محمد سعيد القشاط

طرابلس الغرب، ليبيا

1992/2/17

الفَصْل الأوّل

الموقع - التضاريس - المناخ
أهمّ الأنهار والبحَيرات -
الثروات الطبْيعيّة
أهمّ المـُدن.



الـموقـع

الـموقع:

لا يستطيع أي إنسان أن يحدّد نقطة معيّنة ويقول من هنا تبدأ الصحراء. وذلك لأن الصحراء تتعرّج وتتداخل وتتّسع وتضيق حسب ظاهرة العمار والتصحّر.

غير أننا نستطيع أن نقول إنها تمتدّ من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً على اعتبار أنها امتداد لصحراء الجزيرة العربية يوم أن كان البحر الأحمر غير موجود ـ كما يقول الجغرافيون ـ.

أما من الشمال، فهي كما ذكرنا تتأرجح بين الاتساع والضيق. ويمكننا أن نحدّدها شمالاً بالأماكن المتعارف عليها من أنها حدودها الشمالية وهي: وادي درعة في جنوب المغرب، وجبال أطلس الصحراء في جنوب الجزائر، ومنطقة الجريد بجنوب تونس، ومنطقة الجبل الغربي وسرت ومشارف الجبل الأخضر في ليبيا. وإلى قرب منطقة الدلتا في مصر.

أما من ناحية الجنوب، فنستطيع أن نقول إن حدودها الجنوبية هي: مصب نهر السنغال أي حدود موريتانيا الجنوبية. وتسير على امتداد خط 10° شمالاً إلى خط 30° شمالاً. وتقدر مساحتها بحوالى تسعة ملايين كلم^2، ومناخ الصحراء عموماً ينقسم إلى فصلين رئيسيين:

المناخ

المناخ:

أ - فصل حار جاف، ويمتد من شهر يونيه/ حزيران إلى سبتمبر/ أيلول، ويتراوح متوسط الحرارة فيه بين 26° - 41°.

ب - فصل معتدل ممطر ويمتد من نوفمبر/ تشرين الثاني إلى مارس/ آذار، ويتراوح متوسط الحرارة فيه بين 15° - 30°.

أما النهاية العظمى المطلقة للحرارة فهي في أغسطس/ آب 48,6° والنهاية الدنيا المطلقة 4°م في يناير/ كانون الثاني.

وتسقط الأمطار في أغسطس/ آب وسبتمبر/ أيلول وفي فصل الخريف. والأمطار ليست منتظمة، فقد تسقط سنة وتشح أخرى. ومعدّل سقوط الأمطار متذبذب بين شمال الصحراء وجنوبها. ففي الوقت الذي يكون فيه معدل سقوط الأمطار في الشمال ما بين 107 مم إلى 247 مم، نجد معدّل المطر في الجنوب أكثر من هذا المعدّل، إذ أن جنوب الصحراء يصبح منطقة (السافانا).

وقد ينزل المطر عن هذا المعدّل، وقد لا ينزل المطر بتاتاً في سنة أو أكثر.

الأنهار والبحيرات

الأنهار والبحيرات:

نظراً لقلة الأمطار، فإننا لا نجد أنهاراً تنبع من الصحراء ولا أيضاً بحيرات متجمعة من الأمطار. ولكننا نجد أنهاراً تنبع من مرتفعات أواسط أفريقيا وغربها وشرقها وتمر بالصحراء.

وأهم هذه الأنهار:

1 ـــ نهر النيل:

وهذا النهر أشهر من أن يعرّف. وينبع من بلاد الحبشة، ومن أوغندا. ويشق بلاد السودان والصحراء الشمالية ويصب في البحر الأبيض المتوسط.

2 ـــ نهر صنهاجة (السنغال):

ينبع هذا النهر من مرتفعات (فوتاجالون) ويصب في المحيط الأطلسي. ويعتبر الحد الفاصل للصحراء من الجنوب ويمر بجمهورية مالي. ويفصل بين موريتانيا والسنغال، وعند مصبه جزيرة تكوّنت فيها النواة الأولى لدولة المرابطين.

3 ـــ نهر النيجر:

ينبع هذا النهر من مرتفعات (فوتاجالون) ويشق الأدغال متجهاً إلى الصحراء حيث يلتوي فيها على شكل نصف دائرة يسمّيها سكان الصحراء (العكفة) وذلك في منطقة (تينبكتو)، ثم يعود نحو الشرق متجهاً إلى النيجر عائداً إلى المحيط الأطلسي.

4 ـــ نهر شاري:

وهو نهر صغير ينبع من الأدغال بين التوجو وتشاد ويتجه نحو الغرب ليصب في بحيرة تشاد.

كما توجد في الصحراء مجموعة من الأودية التي تفيض عند سقوط الأمطار وتحمل المياه إلى الأراضي المنبسطة وتجف بعد فصل الأمطار. وهي كثيرة تنحدر من المرتفعات إلى السهول مكونة الخصب للمراعي في الصحراء.

أهم البحيرات

أهم البحيرات:

توجد بالصحراء بعض البحيرات والكثير من السبخات التي تصبح بحيرة عند سقوط الأمطار. وتجف في فصل الصيف مكوّنة الملح الذي يستخرجه المواطنون.

وأهم البحيرات:

1 ـــ بحيرة إين عيشة:

أي بحيرة مكان (عيشة) وتقع بين حدود موريتانيا ومالي. وهي بحيرة صغيرة، ومياهها عذبة.

2 ـــ بحيرة تشاد:

وكان اسمها التاريخي بحيرة (ليبيا) وهي بحيرة كبيرة يصب فيها نهر شاري وتجري فيها القوارب، ويصطاد المواطنون فيها الأسماك، وتحيط بها مجموعة من المستنقعات غير الصالحة للسير.

3 ـــ بحيرة الدوادة:

توجد بجنوب ليبيا في منطقة (قبرعون) في منطقة الرمال القريبة من أوباري.

وهي بحيرة صغيرة، تغذّيها ينابيع، وتوجد فيها ديدان يأكلها سكان المنطقة، ويستخرج منها ملح النطرون.

4 ـــ بحيرة واو:

وهي بحيرة صغيرة يتوسّطها جبل على هيئة الهرم بأعلاه فوهة تدل على أنه كان بركاناً ذات يوم، وتقع إلى الجنوب الشرقي من ليبيا.

5 ـــ بحيرة ناصر:

وهي البحيرة المتكوّنة وراء (السد العالي) وتعتبر أهم البحيرات في الصحراء. وقد تكوّنت بها مزرعة للأسماك.

هذا وتوجد مجموعة من السبخات لاستخراج الملح، أهمها:

1 ـــ سبخة الجل:

في شمال شنقيط ويستخرج منها المواطنون الملح وكانت تسيطر عليها قبيلة الأغلال التي تحتكر استخراج الملح والاتجار فيه.

2 ــ سبخة تقازة:

وتقع شمال صحراء مالي قرب الحدود مع الجزائر استولى عليها المغاربة أيام المنصور الذهبي واحتكروا تجارة الملح واستخراجه.

3 ــ سبخة تاودني:

وتقع شمال صحراء مالي باتجاه الغرب قرب الحدود مع موريتانيا. وتستغلها قبيلة البرابيش منذ عدة قرون ويتاجرون بالملح مع تينبكتو وجنوب النهر.

4 ــ سبخة بالما:

وتوجد بشمال النيجر وهي المصدر الأساسي للملح في جمهورية النيجر، وقد كان يستغلها بعض قبائل التوارق.

إلى جانب الكثير من السبخات التي تنتشر في مناطق الصحراء ولكنها عديمة الفائدة.

5 ــ سبخة الجريد:

وتقع في جنوب تونس. ويسميها التونسيون (شط الجريد) وهي سبخة واسعة تحيط بها واحات النخيل والتي أهمها واحة (توزر).

الثروات الطبيعية

الثروات الطبيعية:

أهم الثروات الطبيعية المكتشفة حتى الآن في منطقة الصحراء الكبرى، هي:

1 ــ الملح:

يستخرج منذ آلاف السنين. ويعتبر بضاعة نادرة في أفريقيا وقد كان عملة مستعملة في قرون مضت. ويستخرج من سبخة الجل في موريتانيا، وسبخة تقازة وتاودني في مالي، وسبخة بالما في النيجر. وكانت تحتكر هذه الثروة قبائل معروفة في كل منطقة، وكثيراً ما كانت تقوم الحروب بين القبائل على امتلاك المنجم.

يستخرج الملح على هيئة ألواح من تحت الأرض. وتتكون قوافل الملح من أكثر من ألف بعير وتسمّى (أزولاي)، ويحرس هذه القوافل الرجال المسلحون.

ويحمل الجمل في المرة الواحدة أربعة ألواح من الملح، وقد يؤجر الجمل لحمل الملح. وتسير القافلة لأكثر من شهر في الذهاب وشهر في الإياب. وقد ينفق الكثير من الجمال في الطريق لعدم وجود المرعى بحيث يضطر أصحاب القوافل لتحميل مجموعات من الإبل بنبات (السبط) لتأكله القافلة في الطريق.

2 ــ النحاس:

اكتشف النحاس في صحراء موريتانيا في منطقة (اقجوحت)، وكانت تديره شركة فرنسية. والآن تديره شركة وطنية مساهمة. وقد زرت المنجم عام 1972.

3 ــ الحديد:

اكتشف الحديد في صحراء موريتانيا الشمالية في منطقة (الزويرات)، وكانت تديره شركة فرنسية تسمى (ميفرما). والآن تديره شركة مساهمة. ويعتبر الحديد الموريتاني من أجود أنواع الحديد في العالم.

وحول المنجم تكونت بلدة (الزويرات). وقد زرت المنجم والبلدة عدة مرات أعوام 1972 - 1974.

4 ــ الفوسفات:

اكتشف الفوسفات بكميات كبيرة في الساقية الحمراء ووادي الذهب في منجم (بوكراع) وذلك من قبل الإسبان. ولما رحل الإسبان عام 1976 بدأ المغاربة في إدارته. وهو ينتج الفوسفات بكميات كبيرة، وله احتياط كبير.

كما اكتشف الفوسفات في صحراء مالي.

5 ــ اليورانيوم:

اكتشف اليورانيوم في صحراء النيجر الشمالية من قبل شركة فرنسية في منطقة (آرليت) وهي تحتكره. كما اكتشف في صحراء مالي الشمالية وجنوب الجزائر وشمال تشاد في جبال تيبستي وجنوب ليبيا.

6 ــ النفط:

ما زال التنقيب عن النفط في الصحراء الكبرى جارياً بالرغم من اكتشافه بكميات كبيرة في صحراء الجزائر وصحراء ليبيا.

وتقول التقارير الاستكشافية أن الصحراء تعتبر مخزناً هائلاً للنفط.

فلقد دلّت الدراسات الأولية عن وجوده في الساقية الحمراء، وموريتانيا، وشمال مالي.

6 ــ الجبس:

بدأ في موريتانيا استغلال الجبس في منطقة (سبخة تدراهمشة) عن طريق شركة وطنية (سنيم) وذلك في أكتوبر/ تشرين الأول 1973. كما يوجد الجبس في عدة مناطق من الصحراء الكبرى.

7 ــ البوتريوم:

اكتشف هذا المعدن في منطقة (بوناقة) بموريتانيا حيث استغلت العروق الحاملة لمعدن (الزينوتيم) (فوسفات البوتريوم) وذلك خلال عام 1970. ولكن استخراج المعدن توقّف بسبب هبوط الأسعار وارتفاع سعر التكلفة.

8 ــ الأسماك:

يعتبر شاطىء المحيط الأطلسي من أغنى الشواطىء بالأسماك في العالم. وبذلك تكوّنت مجموعات من الصيادين للأسماك في شاطىء المحيط. غير أن طرق صيدهم ما زالت بدائية. فمنحت موريتانيا، وكذلك منطقة الساقية الحمراء امتياز صيد الأسماك لشركات أجنبية من مختلف بقاع العالم وبوسائل تقنية متطورة وحديثة.

كما يقوم الأرتريون بصيد الأسماك من البحر الأحمر، والتشاديون من بحيرة تشاد.

وتكونت في هذه المناطق مجموعات من الصيادين تحترف الصيد.

9 ــ ملح النطرون:

يستخرج من بحيرة (قبرعون) بجنوب ليبيا ويدخل في عدة صناعات كما يعطى للحيوانات ليفتح شهيتها على الأكل.

هذا ولا تزال كل دولة من دول الصحراء تمنح امتيازات التنقيب على المعادن في الأراضي التابعة لها. وقد نشأ عن عدم الاستقرار في منطقة الصحراء وعدم وجود المراقبة المركزية أن أصبحت الصحراء مالاً مشاعاً للدول الكبرى، حيث أصبحت تردم فيها النفايات المشعّة. وتكلف بذلك شركات بحجة التنقيب عن المعادن، كما تفعل بعض الشركات في شمال مالي بحجة إقامة السدود على الوديان وهذه الشركات إيطالية وأميركية.

أما فرنسا التي فجرت قنبلتها الذرية في الصحراء عام 1958 غير آبهة بمصير الشعب الصحراوي المتواجد بها، فذلك موضوع غير قابل لأن يذكر به.

التضاريس

سطح الصحراء عموماً منبسط تتخلّله الهضاب المنبسطة والأراضي الجرداء وكثبان الرمال والجبال المتسلسلة أحياناً، والمتقطّعة أحياناً أخرى.

وأهم المناطق الجبلية من الغرب إلى الشرق:

1 ـــ أدرار:

تعني هذه الكلمة (الجبال) في لهجة التوارق. وتقع شمال موريتانيا. كما تقع سلسلة أخرى من الجبال في جنوب غرب الجزائر وتسمى بهذا الاسم.

وتقع سلسلة أخرى من هذه الجبال في شمال مالي وتسمى بهذا الاسم. وأحياناً تسمى (أدغاغ) وتقع فيها منطقة (كيدال) حيث تعيش قبيلة (أفوغاس) التارقية.

2 ـــ جبال الهقار:

والهقار باللهجة التارقية تعني (اسم لشجر تدبغ به الجلود)، وتقع هذه الجبال جنوب الجزائر وتقع فيها مدينة (تمنغست).

3 ـــ جبال أكاكوس:

تقع في منطقة (غات) بجنوب ليبيا وفيها كهوف، ونقوش أثرية. ووجد فيها أقدم مومياء بشرية.

4 ـ جبال الهروج:

تسمى جبال (السوداء) وهي مخلّفات بركانية وتقع في جنوب صحراء سرت وفيها أودية مكتظة بأشجار الطلح.

5 ـ جبار آير:

تقع في شمال النيجر. وتعني الآير باللغة العربية الفصحى (الحجر الصلد).

6 ـ جبال تيبستي:

تقع على الحدود بين ليبيا وتشاد وتقطنها قبائل التبو، وبها سميت الجبال.

7 ـ جبال دارفور:

تقع في شمال غرب السودان وجنوب شرق ليبيا وفيها بعض الواحات. ودارفور تعني المكان الذي تقطنه قبائل (الفور).

وإلى جانب الجبال هناك جبال من الرمال تمتد في سلاسل كبيرة، أهمها:

8 ـ سلسلة رمال زلاف:

وتمتد من سبها بجنوب ليبيا متجهة إلى الغرب إلى أن تصل ورقلة بجنوب الجزائر. وتمثل حاجزاً كبيراً بين غدامس وغات.

9 ـ العِرق:

وهي سلسلة من الرمال العالية تمتد بين صحراء موريتانيا ومالي.

وهناك عدة هضاب في الصحراء منبسطة، أهمها هضبة الحمادة الحمراء.

وهناك صحارٍ منبسطة كسهول، أهمها:

(صحراء التينري) أو كما يسميها الصحراويون صحراء الصحارى تمتد شمال النيجر وشرق مالي.

وصحراء (تيرس) شمال موريتانيا.

وإلى جانب هذه الصحارى والجبال والرمال هناك أودية جافّة ينمو في بعضها أشجار الطلح والسدر وبعض الحشائش.

والجزء الجنوبي من الصحراء تنمو فيه الحشائش الطويلة (السافانا)، ويظهر ذلك في النيجر وتشاد. أما جزؤها الشمالي فلا تنمو فيه الحشائش إلاّ أوقات المطر.

وهناك أودية خصبة مياهها قريبة سطحية وينمو فيها النخيل، أهمها:

1 ــ وادي الحياة:

كان اسمه القديم (وادي الآجال). ويمتد من سبها باتجاه الغرب إلى غات، وتقع فيه أغلب الواحات الفزانية.

2 ــ وادي الشاطىء:

يقع شمال سبها وفيه عدة واحات ومياهه قريبة.

3 ــ وادي سوف:

يقع في الجنوب الشرقي الجزائري، وفيه غابات من النخيل ومياهه قريبة.

وأغلب الواحات في الصحراء تقع في منخفض من الأرض تكون مياهه قريبة، بحيث ينمو النخيل على المياه الجوفية.

المدن

المدن المنتشرة على رقعة الصحراء العربية الكبرى. بعضها أنشىء حديثاً، وبعضها موغل في القِدم، نذكره للذكرى واسترجاع حوادث التاريخ.

وقد أنشئت أغلب المدن الصحراوية على طرق القوافل القادمة من الشمال أو الذاهبة من الجنوب. حتى إن الطرق كانت تسمّى باسم المدن كطريق غدامس ـ غات ـ أقدز، أو طريق غدامس ـ غاس ـ تينبكتو، أو طريق سجلماسة ـ تيندوف ـ تينبكتو ـ ولاته أو شنجيط، وغيرها.

ونحن لا نريد أن نتوسّع في هذا البحث لنذكر جميع المدن المقامة على أرض الصحراء الكبرى. ولكننا سنكتفي بالمدن المهمة التاريخية والحاضرة.

ولتسهيل البحث نقسم المدن إلى قسمين:

أ - المدن التاريخية، وهي التي لعبت دوراً في التاريخ ثم اندثرت أو أنها لا تزال تؤدي دورها في الحاضر.

ب - المدن الحاضرة، وهي التي أنشئت في تاريخ قريب وما زالت تزدهر وتؤدي دورها في الحاضر.

1 ـ المدن التاريخية:

1 ـ (أزوقي)[1]:

تقع هذه المدينة قرب مدينة آطار الحالية. وهي الآن غير موجودة. ولقد شاهدت آثارها عام 1978 أثناء التنقيب عنها من قِبل بعثة أثرية فرنسية. وتقول الدراسة المعدة عن موريتانيا من قبل المنظمة العربية للثقافة والعلوم «أن مدينة أزوقي بناها شعب البافور قبل مجيء العرب إلى تلك المناطق».

وقد اتخذها المرابطون عاصمة لهم في الصحراء وهي تقع بوادٍ مليء بالنخيل ويسمّى الوادي بالتارقية (تيارت) ولهذا يسمّيها بعض المؤرخين (تيارت).

2 ـ شنجيط:

مدينة تاريخية ينطقها الناس بالقاف (شنقيط) وينطقها أهلها بالجيم (شنجيط).

ويقول مؤرخو موريتانيا ومنهم محمد الأمين الشنقيطي[2] أن معناها (عيون الخيل) ولا أدري من أين أتى الشيخ الشنقيطي بهذه التسمية.

فكلمة شنجيط مؤلفة من كلمتين صنهاجيتين ما زال توارق النيجر ينطقونها حتى الآن.

فكلمة (شين) تعني (مكان) وينطقها بعض توارق ليبيا ومالي (تين) أما توارق النيجر فينطقونها (شين).

و(جيط) معناها بلهجة توارق النيجر (العين) وينطقها توارق مالي وليبيا (تيط) ومنها مدينة

---

(1) أنظر: الجمهورية الإسلامية الموريتانية: دراسة محلية شاملة، صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1978، ص 428.

(2) أنظر: مؤلفه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

(تيطاوين) بتونس ومعناها العيون. ولهذا تسمّى المدينة (مكان العين). وإذا علمنا أن بداية المدينة كانت كما تروي كتب التاريخ (عيناً) حفرها حبيب بن عقبة بن نافع تأكد لنا صحة الاسم. وقد أطلق العرب على كامل أرض موريتانيا الحالية (بلاد شنقيط) وعن أهلها الشناقطة.

زرتها عام 1972 فوجدت مدينة مبنية بالطين تحفّها أشجار النخيل وتتوسطها (قصبة) مربعة، وقد غمرت الرمال معظم مباني المدينة وهجرها جلّ سكانها. وتقع مكتبة شنقيط في وسط المدينة، وهي مكتبة صغيرة تحتوي على بعض المخطوطات الفقهية والنحوية. ومدينة شنقيط من المدن الإسلامية التي أسسها المسلمون الأوائل. ولم يعبد فيها غير الله.

3 ــ أودغشت:

وهي عاصمة المرابطين بعد أزوقي. وتقع في بلاد موريتانيا الحالية. استولى عليها التكرور من المرابطين وخربوها ثم أعادها المرابطون.

4 ــ كمبى صالح:

أي مدينة صالح. وهي مدينة أثرية غمرتها الرمال كانت عاصمة لمملكة غانا. تلك المملكة التي أسّسها قوم من العرب القادمين من الشمال (برقه).

وكمبى صالح مسماة على (صالح بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه).

وقد حدّدت مكانها الحفريات قرب مدينة ولاته في الشرق الموريتاني.

5 ــ ولاته:

مدينة عريقة في شرق موريتانيا ازدهرت بالعلم والعلماء وكانت تضم مدرسة علمية إسلامية من بلاد الصحراء وقد ذكرها ابن بطوطة.

ومدينة ولاته لا تزال قائمة حتى الآن. وبها قبر الشيخ البكاي. وبرز فيها الكثير من العلماء منهم سيدي أحمد الولي بن أبي بكر الولاتي[1].

---

(1) أنظر: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور لأبي عبد الله الطالب.

6 ــ السماره:

مدينة صحراوية تقع في شرق منطقة الساقية الحمراء بناها الشيخ ماء العينين ولد محمد فاضل واتخذها زاوية لتعليم القرآن وبنى بها مسجداً.

مر بها محمد الأمين الشنقيطي وذكر أن فيها أكثر من عشرة آلاف شخص ينفق عليهم الشيخ ماء العينين[1] منهم الفقير والمعدم وعابر السبيل والقارىء والمتعلم.

اتخذها الشيخ ماء العينين مركزاً لإدارة الجهاد ضد الفرنسيين في بداية هذا القرن.

والسماره: معناها نبات طويل السيقان ينمو في مواقع الماء تتخذ منه الحصر.

ولا تزال مدينة سماره قائمة حتى الآن.

7 ــ تينبكتو:

تقع في شمال جمهورية مالي على (عكفة) النهر، نهر النيجر، ومعنى الاسم (تين) أي (مكان) و(بكتو) اسم سيدة تارقية كانت تقيم في ذلك المكان حيث يختزن البدو أثقالهم عندها فسمّي المكان باسمها. أسسها التوارق، وازدهرت في طرق القوافل. وأمّها التجار من توات وغات وغدامس وبلاد المغرب.

اعتبرها الأوروبيون جوهرة الصحراء. وقاسى جواسيسهم الويلات في الوصول إليها. وقد وصلها الرائد لينج 1925 ولكن شيخ قبيلة البرابيش أحمد عبيده قتله. ثم وصلها من بعده (بارث) الذي انتقل تحت حماية الشيخ أحمد البكاي الكنتي.

اعتبرت تينبكتو في فترة من الفترات جامعة إسلامية لتعليم الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن وعلوم اللغة العربية. احتلها المغاربة أيام السلطان أحمد منصور الذهبي وبقوا فيها سبع عشرة سنة[2].

وتينبكتو هي الآن مدينة تغزوها الرمال ويثير منظرها الشجون في قلوب العرب والمسلمين. هجرها أكثر أهلها من جراء الجفاف وعدم الاستقرار في منطقة الشمال المالي.

وتينبكتو من المدن الإسلامية التي لم يذكر فيها غير الله. بنيت في عصر الإسلام وازدهرت

---

(1) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لمحمد الأمين الشنقيطي.

(2) أنظر: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، للناصري.

وأصبحت لها هالة علمية وتجارية كبيرة. وقد أنجبت تينبكتو مئات العلماء المسلمين[1].

8 ـ قاوه:

أهم المدن الحالية في شمال شرق مالي. أسسها التجار الطرابلسيون وتسمّى (كوكو) وازدهرت لمرور طرق القوافل فيها. وتربطها حالياً بالجزائر طريق صحراوي. وهي عاصمة أحد الأقاليم الشمالية بجهورية مالي.

9 ـ السوق:

وهي مدينة إسلامية أسستها مجموعة من العرب القادمين من برقه. واشتهر أهلها بالعلم والثقافة حتى أصبحوا ينتسبون إليها (كل السوق) أي أهل السوق، وهم عرب أصبحوا يتقنون لهجة التوارق ويمتهنون نسخ الكتب.

وتقع مدينة السوق شمال تينبكتو وهي الآن أطلال مدينة. ولكن قبيلة (كل السوق) لا تزال من القبائل المهمة في مالي[2].

10 ـ سيكوتو:

مدينة أسسها الشيخ عثمان دان فودي. واتخذها مركزاً لدعوته الإصلاحية ثم عاصمة لامبراطوريته التي أسّسها في أواخر القرن الماضي وانطلق منها يقاتل الوثنيين. وهي الآن تقع في شمال نيجيريا.

11 ـ أقدز:

إحدى المدن الصحراوية في شمال النيجر. وكانت مركزاً تجاريّاً مهمّاً.

استولى عليها الفرنسيون وهاجمهم فيها محمد كاوصن على رأس حملة من المجاهدين القادمين من ليبيا عام 1916 وحاصرها ثلاثة أشهر.

كان سلطانها عبد الرحمن تاقامه الذي انضم للحملة وقاد المقاومة ضد الفرنسيين لمدة أربعة أعوام حيث قبض عليه وقتل في السجن عام 1920.

---

(1) أنظر: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، لأبي عبد الله الطالب محمد.

(2) أنظر: تاريخ السوق مخطوط مكتبة المؤلف.

12 ــ زندر:

إحدى المدن المهمة في النيجر. يقطنها عرب التوارق الذين اختلفوا على من يحكم المدينة، وأخيراً استقرّ رأيهم على مكاتبة الوالي العثماني في طرابلس الغرب الذي أرسل لهم حاكماً من بلدة غات الليبية.

ولا تزال هذه الأسرة الغاتيه تحكم (زندر) حتى هذا التاريخ.

13 ــ غات:

من المدن التاريخية القديمة. وتقع في جنوب غرب ليبيا وهي عاصمة سلطنة (آزقر) التارقية. وتقع على الطريق المؤدي إلى الجنوب الصحراوي والقادمة من تونس ومن غدامس ومن طرابلس.

ويحتضن غات من الجنوب جبل (اكاكوس) الشهير الذي يحتضن نقوشاً ورسومات تاريخية مهمّة. وتتوسط بلدة غات قلعتها الشهيرة التي بناها الأتراك ورمّمها الطليان وما زالت تتحدّى الزمن. وبالقرب من غات قريتا البركت وتونين.

وتقع غربها قرية صغيرة على بعد 12 كيلومتراً تسمّى (الفيوت) وأبعد منها غرباً قرية (ايسين) التي وقعت على أرضها معركة بين الفرنسيين والليبيين أيام الثورة الجزائرية عام 1956.

14 ــ غدامس:

تقع في الجنوب الغربي من ليبيا وعلى الطرف الغربي للحماده الحمراء، عُرفت في التاريخ منذ أزمان سحيقة وأسماها الرومانيون (سيداموس). فيها (عين الفرس) التي قيل إنها نبعت من تحت حافر فرس الفاتح العربي الشهير عقبة بن نافع.

ويقول الصحراويون في الساقية الحمراء أيضاً أن (الفارسية) في شمال الساقية الحمراء نبعت فيها عين من تحت حافر فرس عقبة بن نافع وبذلك سمّيت الفارسية.

ولغدامس شهرة تاريخية كبيرة في التجارة. وسكانها تجار قوافل، وما زال في تينبكتو حي يسمّى دار الغدامسية وحومة الغدامسية. كما أنهم تجار مع نيجيريا والنيجر[1]. ولغدامس صناعات تقليدية خاصّة بها في النحاس والجلد. اشتغلت بها مدرساً لمدة عامين 1961 - 1962

---

(1) أنظر: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، لمحمد سعيد الحشائش.

فكان لدماثة خلق أهلها وعلمهم وورعهم ما يذهل الغريب. ولأهالي غدامس نظام مكتوب ودقيق لتوزيع مياه عين الفرس على مزارع المواطنين.

وتحف بغدامس غابة من النخيل الكثيف، وفيها عدة فوارات للمياه.

وبعد قيام الثورة في ليبيا أنشىء فيها مطار كبير وشُقت لها الطرق وبنيت مئات البيوت العصرية الجميلة حول غدامس. وأصبحت مدينة عصرية.

والمدينة القديمة لها طراز معماري خاص. والسطوح مخصّصة للنساء وهي متصلة. ولها أزقة ضيّقة مسقوفة ومظلمة[1].

15 ــ ورقلة:

واحة صحراوية ظليلة. ينمو فيها النخيل بكثرة وخاصة (دقلة نور) تمر بها الطريق القادمة من الجزائر العاصمة نحو الجنوب. وارتبطت بطرق قوافل مع غات وغدامس. تقطن ورقلة قبيلة الشعانبة العربية الكبيرة في جنوب الجزائر.

16 ــ عين صالح:

واحة شهيرة بجنوب الوسط الجزائري وتمر بها الطرق الصحراوية القادمة من الشمال (الجزائر) و(تونس) والمتجهة إلى جنوب الصحراء.

17 ــ إنجامينا:

هي عاصمة جمهورية تشاد الحالية. كان اسمها عند إنشائها (فورت لامي). وسبب التسمية أن الضابط الفرنسي والذي يدعى (لامي) كان يقود الجيش الفرنسي الذي اصطدم مع رابح الزبيري في شرق تشاد والذي قتل يوم 22 أبريل/نيسان 1900 في اليوم الذي استشهد فيه رابح. وتخليداً لاسمه أنشأ الفرنسيون هذه المدينة على الضفة الشرقية لنهر شاري.

وفي عام 1972 وفي محاولة من الرئيس التشادي (تومبلباي) إعادة الوجه الوطني لبلاده أسماها إنجامينا[2].

ولكن الفرنسيين أسقطوا (تومبلباي).

---

(1) أنظر: ـ (غدامس: ملامح وصور) ليوشع بشير قاسم.
ـ ومشاهداتي الخاصة.

(2) أنظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894 ـ 1960)، تأليف عبد الرحمن عمر الماحي.

18 ــ أوجله:

قرية صغيرة يحفّها النخيل، تقع في جنوب شرق ليبيا وعلى أنقاض مدينة قديمة تسمّى (أرزاقيه)[1]. وبها قبر الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح اخ سيدنا عثمان بن عفان من الرضاعة.

وبرز من أوجله مجموعة من المجاهدين ضد الطليان أهمهم الفضيل بو عمر رفيق عمر المختار في جهاده والذي استشهد في إحدى المعارك.

19 ــ زويله:

مدينة مشهورة بصحراء ليبيا الجنوبية. اتخذها بنو الخطاب عاصمة لملكهم في فزان في القرن الرابع الهجري.

فتحها عقبة بن نافع سنة 22 هـ، كما أعاد فتحها عام 49 هـ. فيها مقابر شهيرة يقال إنها للصحابة رضوان الله عليهم.

شاهدت هذه القبور عام 1982 وهي طويلة القباب تقع خارج المدينة. وزويلة فيها غابة من أشجار النخيل وهي واحة جميلة، وكانت تمر بها طرق القوافل القادمة من مصر باتجاه الصحراء.

وفي القاهرة باب يسمّى باب (زويلة).

ويقال إن جماعة من بني أمية صاروا إليها هروباً من العباسيين وفيها بعض الأشراف.

وقال البكري: (يوجد بزويلة قبر دعبل بن علي الخزاعي) واستشهد على وجوده بزويلة بقول بكر بن حماد الشاعر:

الموت غادر دعبلاً بزويلة وبأرض برقة أحمد بن خصيب

ويربط زويلة الآن طريق معبّد بمرزق وسبها[2].

20 ــ مرزق:

مدينة شهيرة بمنطقة فزان بجنوب ليبيا. واسم مرزق معناه بالتارقية (مناخ الإبل) وتقع على

(1) أنظر: معجم البلدان الليبية، للشيخ الطاهر أحمد الزاوي.

(2) أنظر: معجم البلدان الليبية للشيخ الطاهر أحمد الزاوي.

الطريق بين طرابلس وتشاد. اتخذتها أسرة أولاد امحمد عاصمة لملكهم (1550 - 1812) وشيّدت فيها قلعة[1]. وتحيط بمرزق غابة من النخيل. وكان الأتراك العثمانيون ينفون معارضيهم إلى مرزق.

وتعتبر مرزق من مدن الصحراء المهمة فنشأ بها فن غنائي وموسيقي راقٍ عرف باسم (المرزقاوي).

والأطعمة في مرزق تعتبر نموذجاً للطعام التركي والعربي.

وقد اتخذها الأتراك عاصمة لفزان. وبقيت على هذه الحال إلى دخول الطليان لليبيا حيث استبدلوها بسبها، ويحيط بمرزق سور من الطين عالٍ يصعب اقتحامه، وقد رأيته عام 1972 فلا يزال موجوداً حول المدينة محطماً في بعض أجزائه.

21 ـــ تراغن:

واحة جميلة فيها الكثير من أشجار النخيل وتقع شرقي مرزق بحوالى 60 كيلومتراً وعندما سيطر العرب الزغاويون على كانم امتد نفوذهم إلى فزان واتخذوا من تراغن عاصمة لملكهم، ولا تزال آثار قصر الحاكم ومقر جنوده غربي البلدة. ويوجد فيها قبر أحد حكام الزغاوة والمسمّى (بالمي علي). ويربط تراغن الآن طريق معبد بمرزق وبسبها وبزويلة وشيّدت فيها الدور الحديثة، شاهدتها عام 1983، ورأيت فيها المنازل الحديثة والكهرباء والمياه العذبه وأصبحت كأي مدينة عصرية.

ولكن آثار المدينة القديمة لا تزال ماثلة[2]. وإليها ينتسب الشيخ محمد الأمين الكانمى الذي حكم مملكة كانم من قبل يوسف القره مانلي وكذلك برنو.

22 ـــ جرمه[3]:.

جرمه مدينة أثرية موجودة (بوادي الآجال) (وادي الأمل والحياة) قرب مدينة أوباري وعلى الطريق بينها وبين سبها.

---

(1) المصدر السابق؛ وكذلك (فزان ومراكزها الحضارية عبر القرون) لأبي بكر عثمان القاضي الحضيري.

(2) أنظر كتاب: (فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور)، لأبي بكر الحضيري.

(3) أنظر: ـ معجم البلدان الليبية للزاوي.

أسسها الجرمنت وهم قبائل عربية نزلت بفزان[1]. واستولت عليه. وكانوا يستخدمون الخيول والعربات.

ومن الجرمنت ذهبت حملة إلى جنوب الصحراء وبقيت هناك وهم أجداد قبيلة (جرما) في نيامي ـ النيجر.

كما استولى الجرمنت على تراغن وطردوا منها الزغاوه وقد فتح جرمه عقبة بن نافع عام 49 هـ.

وقد دلّت الحفريات الأثرية على وجود مدينة جميلة متناسقة البناء بها ساحات وأفنية وشوارع، شاهدتها عام 1981 ورأيت فيها آثاراً بديعة ونقوشاً وبقايا قصور ومقابر[2].

23 ــ الجغبوب:

واحة صغيرة تقع في شرق ليبيا وعلى بعد حوالى 285 كيلومتراً على ساحل البحر الأبيض.

تقع في منخفض من الأرض. وبها زاوية أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي. تعلم القرآن وعلوم الدين، نمت وترعرعت وأصبحت جامعة للمسلمين يؤمها طلاب العلم من كل أنحاء أفريقيا.

زرتها عام 1977 وشاهدت القرية التي يستقر فيها مجموعات من طلاب العلم[3].

ب ــ المدن الحاضرة:

تعتبر هذه المدن حديثة الإنشاء والتأسيس ولكنها ازدهرت وكبرت بحيث أصبح بعضها عواصم لبلدان الصحراء أو مناطق رئاسة الإدارة لدول الصحراء، وأهم هذه المدن، ودائماً نبدأ من المغرب إلى المشرق:

1 ــ العيون:

مدينة عصرية أنيقة أنشأها الإسبان واتخذوها عاصمة لإقليم الساقية الحمراء. تقع على

---

(1) ـ فزان، للحضيري.

(2) ـ جرمة، سليمان أيوب.

(3) أنظر: معجم البلدان الليبية للزاوي.

مصب وادي الساقية الحمراء في المحيط الأطلسي وتبعد عن المحيط عدة كيلومترات هروباً من المدّ.

ويقع بالقرب منها منجم الفوسفات (بوكراع) مائة كيلومتر. وفي مدينة العيون الإذاعة الصحراوية والميناء. ولا تزال عاصمة لإقليم الساقية الحمراء[1].

2 ـــ الداخلة:

مدينة صحراوية تقع على رأس من البحر داخل المحيط. ولذلك سميت بالداخلة، بناها الإسبان في إقليم وادي الذهب وشيّد الصحراويون دُوْرهم بها.

وبمدينة الداخلة ميناء صالح لرسو السفن[2].

3 ـــ أنواذيبو:

مدينة موريتانية تقع على شاطىء المحيط الأطلسي في رأس يعرف (برأس السلوقي) وهي العاصمة التجارية لجمهورية موريتانيا الإسلامية. فيها تقع دوائر شركات الصيد. وإليها ينتهي الخط الحديدي القادم من (الزويرات) لنقل الحديد ومنها يصدر.

زرتها عام 1972 وشاهدت مدينة صغيرة وأنيقة، وفيها مطار صالح للملاحة الجوية، كما زرتها عام 1979.

4 ـــ انواكشوط:

هي عاصمة جمهورية موريتانيا الإسلامية.

تأسست عام 1958 بعد أن انتقلت الإدارة الموريتانية من مدينة (اندر) (سان لويس) السنغالية تحضيراً للاستقلال. وتعني كلمة (انواكشوط) (مكان القواقع) بلهجة صنهاجه حيث توجد كميات كبيرة من القواقع في الأرض المشادة عليها المدينة.

وقد فسّرها الشيخ علاّل الفاسي أيام مطالبة المغرب بموريتانيا بأنها (نواق الشط) أي النوق

---

(1) أنظر منشورات: (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب)، وكتاب (من ظفار للساقية الحمراء) للمؤلف.

(2) المصادر السابقة.

التي ترعى عند الشاطىء. وهذا تفسير ساذج ومضحك فمتى كانت الإبل ترعى عند شاطىء البحر!!

ويتكدّس آلاف المواطنين حول المدينة في أكواخ من الصفيح بعد أن طردهم الجفاف من صحرائهم وقضى على حيواناتهم.

لقد زرتها أعوام 1972 - 1973 - 1974.

وزرتها أعوام 1978 - 1979 - 1981 و1991، وفي كل مرة كنت أشاهد تضخم هذه المدينة وتكدس الناس حولها من مختلف بقاع الصحراء.

5 ــ القوارب:

مدينة تقع في أقصى جنوب الصحراء على نهر (صنهاجه) نهر السنغال.

يسميها الزنوج (روسو) ويسميها العرب القوارب. تعتبر هذه المدينة بوابة موريتانيا على أفريقيا السنغال، ومنها يعبر العابرون نهر صنهاجه باتجاه السنغال، وتقطنها مجموعة من الزنوج يحترفون الصيد النهري وصناعة القوارب من الخشب.

زرتها عام 1974 وعبرت النهر نحو السنغال. فيها شركة صينية زراعية تشيد مشروع لزراعة الأرز.

6 ــ أطار:

مدينة موريتانية تقع في الشمال في منطقة جبال (أدرار) واسم أطار بالتارقيه (الطريق) إذ تمر بها الطريق القادمة من المغرب.

وأطار واحة جميلة بجانبها وادٍ جميل مليء بالنخيل، يسيل في الخريف عند سقوط الأمطار. وإلى جانبها آثار مدينة (أزوقي) عاصمة المرابطين. وتعتبر أطار عاصمة الشمال الموريتاني. وعند تمزق دولة المرابطين إلى إمارات صغيرة، أصبحت أطار عاصمة إمارة (أدرار) التي يرأسها أولاد يحيى بن عثمان.

لقد زرت أطار أعوام 1972 - 1973 - 1974 - 1978 وأقمت فيها عدة أيام، حيث غمرني أهلها بكرمهم الحاتمي، فهم أولو فضل وأدب ومرح وطرب.

وقد كانت أطار مركزاً للجهاد ضد فرنسا بقيادة أميرها سيدى أحمد ولد أحمد عيده.

7 ــ الزويرات:

مدينة حديثة تقع في شمال موريتانيا، بينها وبين مدينة أطار حوالى ثلاثمائة كيلومتر.

وهي مدينة صناعية شيّدت بجانب جبل الحديد (الكدية) حيث يستخرج حديد موريتانيا. ويقطنها العمال وأسرهم.

زرتها عامي 1973 و1974 وشاهدت المباني الأنيقة المخصّصة للفرنسيين والأكواخ المخصّصة للعمال العرب، وبين الحيين سور من الحجر يتندر العمال بتسميته سور برلين. كان ذلك قبل تأميم الشركة الفرنسية (ميغرما). أما الآن، فأعتقد أن الفوارق زالت بعد ان تسلمت الشركة إدارة وطنية.

8 ــ وادان:

مدينة وواحة بنيت بالقرب من مدينة شنقيط الأثرية. ويقولون إن بناتها هم قبيلة أداو الحاج. وهي بلد العالم سيدي أحمد بن بلقاسم الواداني[1].

9 ــ تيجكجه:

واحة في وسط صحراء موريتانيا. بناها العلويون قبيلة (إداو علي) ودورها مبنية بالطين.

10 ــ الرشيد:

واحة كثيرة النخيل قريبة المياه بناها أفراد من قبيلة (كنته) العربية المشهورة. وتقع وسط موريتانيا.

11 ــ تيشيت:

واحة جميلة فيها نخل كثير. تقع بالقرب من بلدة الرشيد قريبة من منطقة الحوض وأهلها مشهورون بممارسة التجارة. وهي بلد الشيخ سيدي أحمد أبو الأوتاد التيشيتي[2].

---

(1) أنظر: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، لأبي عبد الله الطالب.

(2) أنظر: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، لأبي عبد الله الطالب.

12 ــ أبو تليـميت:

تقع إلى الجنوب الشرقي من ميدنة أنواكشوط. وهي قرية صغيرة تأسست حول بئر لأولاد بييرى ولما جاءها الشيخ سيديا وأسس بها زاويته الشهيرة لتعليم القرآن وعلوم الدين تكونت حول البئر قرية أصبحت الآن من القرى المهمة في الصحراء[1]. واشتهرت زاويتها وتكوّن بها معهد ديني في عهد الرئيس الموريتاني السابق المختار ولد داده.

13 ــ النعمة:

مدينة قديمة وشهيرة في أقصى شرق موريتانيا قريبة من الحدود مع مالي. وبينها وبين مدينة ولاته مسافة ليست بالبعيدة.

وتعتبر النعمة عاصمة لمنطقة الحوض الشرقي بموريتانيا وبالقرب منها قرية (عيون العتروس).

14 ــ تيندوف:

هي أقصى مدن الجنوب الغربي الجزائري. مدينة قديمة مبنية بالأحجار ومطلية جدرانها بالطين الأحمر تحف بها واحة نخيل. وتقع على طريق القوافل القادمة من شمال الجزائر. وسجلماسة والمتجهة للجنوب ـ النعمة وولاته وشنجيط وتينبكتو.

يقام بها سوق سنوي في شهر أبريل/نيسان من كل عام مدته شهر تعرض فيه البضائع والحيوانات ويقع استبدالها في السوق ويسمّى (المقار) وهي بلهجة التوارق (الكبير) أي (السوق الكبير).

ويجتمع في هذه السوق التجار من البلدان المجاورة المغرب، الساقية الحمراء. موريتانيا. مالي. النيجر. الجزائر. تونس. ليبيا.

وتقام هذه السوق منذ أكثر من أربعة قرون. وبمدينة تيندوف بلدية لقبيلة الرقيبات القاطنة بالجزائر. ويربطها بالجزائر العاصمة طريق معبّد يمر ببشار وبها مطار.

زرتها أعوام 1974 ـ 1975 ـ 1976 ـ 1977 ـ 1978 ويتجمع حولها لاجئو الساقية الحمراء ووادي الذهب.

---

(1) أنظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

15 ــ بشار:

مدينة في جنوب غرب الجزائر. متاخمة للحدود المغربية وهي عاصمة إقليم (الساوره) الذي وقعت بسببه الحرب بين الجزائر والمغرب عام 1963. واسماها الفرنسيون (كولمب بشار) نسبة إلى أحد ضباطهم الاستعماريين.

وبجانب بشار سهول فسيحة صالحة للزراعة. ويقام بالقرب منها مشروع زراعي كبير في سهل (العبادلة)، زرتها أعوام 1972 - 1973 - 1974 - 1975 - 1976 - 1977 - 1978.

وهي مدينة عصرية بها عمارات وشوارع معبدّة وفنادق ومصرف ومطار. يربطها بالجزائر طريق معبّد.

16 ــ أروان:

مدينة صغيرة شيدت شمال تينبكتو بها زاية لتعليم القرآن ودراسة علوم الدين وينسب إليها بعض العلماء (الأرواني)[1].

17 ــ بواجبيهه:

تصغير كلمة جبهة العربية. وهي مقدم الرأس. وهي قرية تقع إلى الشمال من تينبكتو وسكانها عرب من (أداو علي).

18 ــ المنيعة:

واحة جميلة فيها الكثير من النخيل تقع في الجنوب الجزائري وتشتهر بالتمور. تقطنها قبائل أولاد الشيخ. والجرامنة. زرتها عام 1975.

19 ــ غرداية:

واحة جميلة كثيرة النخيل تقع في صحراء الجزائر في وادي بنى مزاب. وفيها بقية من المذهب الأباضي. وقد كانت عاصمة الدولة الرسمية التي قامت على المذهب الأباضي[2].

(1) أنظر: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، لأبي عبد الله الطالب.
(2) أنظر: الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر.

20 ـ تمنغست:

قرية في جبال الهقار بأقصى جنوب الجزائر قرب الحدود مع مالي. وهي عاصمة توارق الهقار.

21 ـ جانت:

قرية وواحة بوادٍ ذي نخل تحفّه الجبال والتي هي امتداد لجبال أكاكوس القادمة من غات. كانت تتبع ليبيا واحتلها الفرنسيون عام 1908، وطردوا سلطانها الشيخ (أحمد أمود) الذي لجأ إلى غات والتي تبعد عنها حوالي 150 كيلومتراً. وأعادها المجاهدون عام 1916 في حملة قادمة من غات. ثم أعادها الفرنسيون مرة أخرى. وأغلب حدائق نخيل جانت ملك السلطان أمود وأولاده[1]. زرتها عام 1990.

22 ـ أوباري:

واحة كبيرة تقع بوادي الآجال (وادي الأمل والحياة) ازدهرت أخيراً بالزراعة وأصبحت المزارع على طول الوادي ثلاثمائة كيلومتر متشابكة وغير منقطعة. أصبحت أخيراً عاصمة بلدية تضم أوباري والقرى المجاورة لها وغات. زرتها عدة مرات، آخرها عام 1985.

23 ـ العوينات:

واحة جميلة بين غات وأوباري فيها شجرة غريبة تورق في الشتاء وتسقط أوراقها في الصيف وتحكى حولها القصص والأساطير على بركتها والأضرار التي لحقت أولئك الذين اقتطعوا منها أغصاناً[2]. فيها قلعة ومجموعة دور. زرتها عام 1981.

24 ـ القطرون:

قرية وواحة تقع جنوب مرزق على الطريق الصحراوي الرابط بين ليبيا والنيجر. وليبيا وتشاد. بها مجموعات من أشجار النخيل وآبار ضحلة وبجانبها جبال من الرمال. كان يعيش فيها بقر الوحش.

---

(1) أنظر: معارك الدفاع عن الجبل الغربي، محمد القشاط.

(2) تسجيلات الإذاعة المرئية في الجماهيرية العظمى.

25 ـــ سبها:

مدينة صحراوية كبيرة. هي عاصمة منطقة فزان اشتغلت فيها مدرساً عام 1963 - 1964. وكانت تضم بعض الأحياء المبنية بالطين. وأهم معالمها قلعة سبها (القاهرة) التي اقتحمها المجاهدون الليبيون ليلة 27 - 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 1914 وأخرجوا منها الطليان[1].

زرتها آخر مرة عام 1985، فإذا بها مدينة عصرية فيها العمارات الشاهقة والطرق المعبّدة والأنوار المتلألئة والفيلات الأنيقة وفيها مطار كبير دولي. وتحيط بها المزارع.

تعتبر سبها حالياً من أكبر مدن الصحراء الكبرى. وهي عاصمة بلدية باسمها.

26 ـــ اوزو:

واحة وارفة الظلال كثيرة النخل تقع بواد عميق في مصب سيول جبال تيبستي الشاهقة. وتقع بالقرب من الحدود الليبية التشادية وهي آخر قرى ليبيا تجاه تشاد. وصلها المجاهدون الفارون من الطليان الذين احتلوا بلدة واو عام 1930 بعد ستة أيام من السير المضني على الأقدام. وبعدها انطلقوا باتجاه التشاد للهجرة.

حاولت فرنسا ان تخلق بسببها مشكلاً بين الإخوة الليبيين والتشاديين وحوّل الموضوع لمحكمة العدل الدولية لتفويت الفرصة على المستعمرين، وليحل الموضوع سلمياً[2].

27 ـــ ودان:

إحدى قرى الواحات المسمّاة (الجفرة)، بوسط صحراء ليبيا. فيها نخل كثير. ويسكنها قوم أشراف. افتتحها بسر بن أرطأة سنة 23 هـ. أرسله إليها عمرو بن العاص. ثم فتحها بعد ذلك عقبة بن نافع عام 49 هـ[3].

28 ـــ هون:

إحدى واحات الجفره وأكبرها. فيها نخل كثير وحدائق. وأهلها ينتمون إلى قبيلة العلاونه المشهورة قرب طرابلس[4].

---

(1) مجلة الوحدة العربية: معركة القاهرة.

(2) وثائق الخارجية الليبية.

(3) أنظر: معجم البلدان الليبية، للشيخ الطاهر أحمد الزاوي.

(4) أنظر: معجم البلدان الليبية للشيخ الطاهر أحمد الزاوي.

29 ــ سوكنه:

إحدى واحات (الجفره) فتحها بسر بن أرطأة كغيرها من واحات الجفره ثم عقبة بن نافع وأهل سوكنه مشهورون بالزراعة ولهم عادات مميزة وهم أهل طرب وفن[1].

أنشىء بالقرب من سوكنه مشروع زراعي لتوطين البدو الرحل (قبيلة رياح).

30 ــ القفره:

مجموعة من الواحات تسمّى (القفره) نسبة للقفار وحرّفها النطق إلى (الكفره) لأن الليبيين ينطقون القاف قريباً من الكاف. وهي إحدى اللهجات العربية. فيها بساتين من النخل وزاوية لتعليم القرآن وعلوم الدين، أهمها واحة التاج. ولها مطار كبير ويربطها ببنغازي طريق معبّد.

31 ــ واو:

واحة في جنوب صحراء برقة تسمّى (واو الناموس) وأخرى تسمّى (واو حريرة). ولقد رأيت الأخيرة عام 1985. فيها واحة من النخيل الوارفة. وماؤها عذب وفيها آبار تجري مياهها بدون قوة دفع[2]. والقرية الأخيرة لا يوجد فيها سكان. وفيها آثار زاوية للتعليم.

أما واو الناموس فهي مأهولة، وفيها بحيرة مالحة.

32 ــ بلما:

إحدى واحات صحراء النيجر الشمالية. وتقع على الطريق القادمة من ليبيا. وبها سبخة لاستخراج الملح.

33 ــ جادو:

إحدى واحات صحراء النيجر الشمالية. وهناك بلدة أخرى بهذا الاسم في الجبل الغربي بليبيا ويجمعهما الاسم فقط. ويقطن جادو قبائل التوارق.

(1) أنظر: معجم البلدان الليبية للشيخ الطاهر أحمد الزاوي.

(2) مشاهدات المؤلف.

34 ـــ آرليت:

قرية في صحراء النيجر. أنشئت على منجم (الأورانيوم). وأغلب قاطنيها من عمال المنجم من الفرنسيين وبعض العرب. وفيها مطار صغير.

35 ـــ تشين براضن:

ومعنى الاسم (مكان الأولاد)، وهي واحة في وسط صحراء النيجر يقطنها التوارق. وهي مركز إداري تفجّرت فيه في السنوات الأخيرة معارك بين المواطنين التوارق والحكومة المركزية، فقمعتها الحكومة بعنف وقتلت مئات المواطنين من الأطفال والنساء والشيوخ.

36 ـــ قرو:

قرية بصحراء تشاد أسس فيها الشيخ محمد السني زاوية لتعليم القرآن عام 1896. وانتقل إليها الشيخ المهدي السنوسي وفيها توفى عام 1902، ونقل إلى واحة التاج حيث دفن.

هاجمها الفرنسيون عام 1907 واستولوا عليها بعد معركة[1] شهيرة، وكان يقود المجاهدين الشيخ محمد السني الذي كاد أن يقع في الأسر. وأُسرت عائلته وأولاده.

37 ـــ فايا:

واحة من واحات الصحراء التشادية. أسماها الفرنسيون (فايا لارجو) نسبة لأحد ضباطهم الاستعماريين، تعتبر عاصمة الشمال، وفيها دوائر الحكومة. وعندما هاجر الليبيون من جراء الاحتلال الإيطالي استقرّت قبائل زويه والمجابره بفايا. وقد اتخذتها (جبهة فارولينا) مركزاً لها لتحرير تشاد[2].

38 ـــ ماو:

قرية في وسط غرب تشاد وتعتبر عاصمة للمنطقة المحيطة بها[3].

39 ـــ برداي:

واحة في الشمال التشادي تمرّ بها الطرق القادمة من الشمال، طرابلس وبنغازي ومصر.

---

(1) أنظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، محمد القشاط.

(2) أنظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، عبد الرحمن عمر الماحي.

(3) أنظر: المرجع نفسه.

40 ــ فاده:

واحة في الشمال الغربي التشادي تعتبر مركزاً إدارياً.

41 ــ أبشّه:

واحة تقع في شرق تشاد قرب الحدود مع السودان وهي أقرب الواحات لمنطقة السافانا. وتعتبر بوابة تشاد من جهة السودان.

تستقر فيها مجموعات من القبائل الليبية التي هاجرت في سنوات متأخرة مثل المحاميد والسلامات وغيرهم.

42 ــ أزوار:

قرية تقع في جبال تيبستي في الشمال الغربي التشادي، فيها زاوية لتعليم القرآن.

43 ــ سيوه:

مجموعة من الواحات تسمّى واحات سيوه. تقع جنوب غرب جمهورية مصر وفيها مجموعات كبيرة من النخيل. استولى عليها الشيخ أحمد الشريف عام 1916 عند هجومه على الإنجليز في مصر. وتعاون أهالي سيوه معه ولكن الهجوم فشل. ولأهالي سيوه تجارة مع جنوب الصحراء ومع برقه.

44 ــ أسوان:

مدينة صحراوية تقع على نهر النيل في أقصى جنوب مصر اشتهرت بالسد المشاد على أرضها لتنظيم مياه النيل والمعروف باسم سد أسوان والذي تطوّر فيما بعد وأصبح (السد العالي).

45 ــ خشم القربة:

الخشم باللهجة السودانية تعني (الفم) ومعنى الاسم (فم القرية)، وهي قرية تقع في الطريق بين مصر والسودان قرب الحدود المصرية الجنوبية.

46 ــ الأقصر:

إحدى المدن الصحراوية بجنوب مصر. تقع على وادي النيل. ويتخذها أغنياء مصر مشتى لهم.

47 ــ وادي حلفا:

مدينة في أقصى شمال السودان قرب الحدود مع مصر. وتمرّ بها الطريق القادم من مصر أيام القوافل. ويربطها بلعاصمة السودانية خط حديدي. وتقع إلى شمالها بحيرة ناصر الخزان المائي الكبير المتراكم خلف السد العالي.

48 ــ الخارجة:

إحدى الواحات المصرية في الجنوب تقع شرقي الأقصر ويربطها بالمنيا طريق بري.

49 ــ بور سودان:

مدينة سودانية تقع على البحر الأحمر وهي ميناء السودان الوحيد. وببور سودان تلتقي الطرق البحرية من غرب آسيا وشمال أفريقيا.

50 ــ أسمره:

هي عاصمة أرتريا العربية وتحيط بها الجبال وهي مدينة كبيرة(1).

51 ــ مصوّع:

هي ميناء أرتريا على البحر الأحمر. وتقابلها مجموعة من الجزر العربية في البحر الأحمر. وتقطنها مجموعات من العمانيين واليمنيين القادمين للتجارة.

استولى عليها المصريون أيام محمد علي باشا، ثم استولى عليها الطليان ضمن أرتريا. وأخيراً استولت عليها الحبشة. تم استقلت كميناء لأرتريا المستقلة. وتلف الجبال ميناء مصوّع من جهة الغرب.

---

(1) أنظر: منشورات جبهة تحرير أرتريا.

52 ـ الخرطوم:

هي عاصمة السودان. وهي أكبر المدن الصحراوية بعد سبها. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 - خرطوم.

2 - خرطوم بحري.

3 - أم درمان.

زرتها عام 1973 ورأيت فيها دوراً أنيقة على ضفاف النيلين الأبيض والأزرق اللذين يلتقيان فيها. كما شاهدت مسجد الإمام المهدي في أم درمان المدينة الروحية للطائفة المهدية.

وقرب الخرطوم يقع جبل الأولياء. وإلى القرب منها تقع جزيرة (آبا) التي تعتبر المهد الأول لحركة المهدية، مثل جزيرة نهر صنهاجه على المحيط بالنسبة للمرابطين. وفي مدينة الخرطوم تقع الدوائر الحكومية والوزارات والقصر الجمهوري والسفارات الأجنبية. وفيها جامعة ومجموعة مدارس ومعاهد متوسطة ومستشفى[1].

(1) أنظر: جغرافية السودان، ومشاهدات المؤلف الخاصة.

الفَصْل الثَاني

أهمّ النَبَاتَات وَالحيَوانات الصَحْراويّة



ليس من السهل على أي باحث أن يقول إنه يستطيع جمع كل أسماء النباتات الصحراوية في كتاب أو مؤلف، أو أن يجمع أسماء الحيوانات الصحراوية أيضاً، وذلك لعدم وجود حصر شامل لنباتات الصحراء يحويها معجم معتمد، ولا مصدر مكتوباً أو مخطوطاً. فآلاف النباتات ذات الأنواع المختلفة تنمو وتزهر في فصل الربيع. وبحلول الصيف تذوي وتذروها الرياح حتى لتنعدم تماماً، ولا يستطيع أي إنسان أن يقول إن هنا كانت تنمو نباتات معيّنة فلا أثر يدلّ عليها.

تقذف السافيات بذورها الدقيقة وتغطيها الرمال حتى إذا ما أُغاثها المطر هبّت وترعرعت واخضرت وأزهرت في بساط بديع رائع من صنع صانع الحياة. وسبحان الذي جعل من الماء كل شيء حيّ.

لقد تنقلت في الصحراء لسنوات طويلة وفي مختلف الفصول. وأوردت هنا أسماء نباتات شاهدتها مزهرة في الصحراء، ذات أسماء مختلفة. إذ كل منطقة تسميها باسم يختلف عن الآخر مع أن شكل العشبة واحد وزهرها واحد وخصائصها واحدة.

سأذكر أسماء النباتات كما تذكر في منطقة الصحراء الغربية والوسطى. وقد يكون الاسم في شرق الصحراء مغايراً إلاّ أن النبتة واحدة.

عرفت هذه الأسماء من أناس التقيت بهم في الصحراء. ومن بعض المخطوطات التي أحتوت أسماء حشائش متعارف عليها في المنطقة.

وقد اعتبرت أن الاسم الأصلي هو الذي ورد عندي لأن الغرض هو معرفة الشيء لا المحاجّة فيه والإلغاز باسمه.

أما بالنسبة للحيوانات، فهي معروفة وأسماؤها متقاربة في كل المناطق الصحراوية، لأن البيئة واحدة مع بيئة صحراء العرب في جزيرتهم.

أولاً ــ النباتات

تنقسم النباتات في الصحراء إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ **الحشائش:** وهي العشب الذي ينمو على وجه الأرض بعد سقوط الأمطار في فصل الربيع وتزهر وتذبل. وتذروها رياح الصيف حتى لتختفي تماماً ولم يعد الرائي يظن أن هذه الأرض أنبتت شيئاً فيما مضى.

وتبقى بذورها مدفونة في الأرض لسنة أو لعدة سنوات حتى إذا ما سقاها الغيث نمت وترعرعت تكسي الأرض خضرة وبهاءً.

ب ـ **الشجيرات:** وهي شجيرات صغيرة ترتفع عن سطح الأرض إلى متر أو أكثر. وتبقى جذورها في التراب تخضرّ في فصل الأمطار وتيبس في فصل الجفاف، ومع ذلك تبقى ثابتة في الأرض. تتغذى عليها الحيوانات وقت اخضرارها.. ويستفيد منها الناس في بناء أكواخهم وحظائرهم.

جـ ـ **الأشجار الباسقة:** وهي إما أن تكون دائمة الخضرة كالنخيل، وإما أن تكون مخضرة في الصيف تتساقط أوراقها في الشتاء كالسدر وغيره. وينتفع الناس من أغصانها كأعمدة للخيم والأسقف. ومن ثمارها أحياناً طعاماً لهم ومن أوراقها غذاءً لحيواناتهم.

أولاً ــ الحشائش:

ما إن تسقط الأمطار حتى تهب الصحراء ببساط أخضر جميل سرعان ما يزهر بمختلف الألوان والأحجام. فترى الأرض وكأنها مكسوة ببسط مختلفة الألوان والأحجام في منظر بديع يسرّ الناظرين.

وأهم هذه الحشائش التي تنمو في الصحراء:

1 ــ حشائش السافانا:

وهي نباتات ذات سيقان ناعمة وأوراق نحيفة تمتد فروعها إلى قرابة المتر مشكّلة دغلاً من الأدغال يصعب اجتيازه سيراً على الأقدام. تعيش فيه الحيوانات البرية والأليفة.

2 ـ نباتات أخرى شمال السافانا، وأهمها:

1 ـ **الأقحوان:** نبات يفترش الأرض أخضر اللون، له أزهار بيضاء ناصعة، وسطها أصفر اللون يضرب بأزهارها المثل في جمال الثنايا، إذ يقول عمر بن أبي ربيعة:

غـادة تـفـتـر عـن أشـنـبـهـا   حـين تـجـلـوه أقـاحٍ أو بـرد

2 ـ **لحباليّة:** نبتة تفترش الأرض وتمتد سيقانها إلى مسافات بعيدة في الأرض بحيث تتشابك وتصبح كالبساط وترعاها الإبل وتسمن عليها. وتتكوّن منها في نهاية فصل الربيع سنابل دقيقة بها بذور.

3 ـ **النجم:** وهو النبات المعروف عربيّاً. يلتصق بالأرض وينبت في مجاري الوديان، وتأكله الخيل والحمير والبقر والأغنام.

4 ـ **النُّقُد:** نبتة ترتفع قليلاً عن الأرض ولها زهر أصفر ورائحة نفّاذه قوية. يأكلها الغنم والماعز والإبل وتعطي للبنها طعماً خاصاً.

5 ـ **أمَيُو:** وهي نبتة ترتفع قليلاً عن الأرض وأوراقها غزيرة وعريضة، ويسميها البعض (نُقُد غزال) ويعالج بها الصحراويون مرض السكر فتطبخ وتشرب ماؤها فيقلّ معدّل السكر في دم الإنسان.

6 ـ **أذينة عيشة:** بقلة ذات أوراق تشبه المعدنوس. قائمة الساق صغيرة، لها زهر أبيض مثل القمع وثمرها صغير جدًّا ترعاها المواشي.

7 ـ **الأذخر:** نبات يشبه نبات الحلفاء يرتفع في سيقان رقيقة ومتفرّقة تميل للبياض. وإذا وضع في النار تنبعث منه رائحة ذكية تبخّر به الدور. وللصحراويين فيه معتقد أن دخانه يطرد الجان والسحر.

ويقول الشاعر بلال بن حمامة:

ألا لـيـت شـعـري هـل أبـيـتنَّ لـيـلـة
بـفـج وحـولـي (أذخـر) و(جـلـيـل)
وهـل أردن يـومـاً مـيـاه رصـافـة
وهـل يـبـدون لـي شـامـة وطـفـيـل

8 - **البهمي:** نبات أخضر رقيق الورق. وأوراقه هي سيقانه وينبت قبل النباتات بعد سقوط المطر مباشرة، وعندما ييبس تصبح سيقانه شوكاً حادًّا مؤذياً وترعاها الماشية ما دامت خضراء. وفي الصيف تأكلها المواشي إذا وجدت الماء.

ويقول الشاعر العربي:

رعت بأرض البهمي حميماً وبسرة
وصمعاء حتى آنفتها نصالها

9 - **الإثم:** وهو نبت له ورق عريض يكسوه وبر ترعاه المواشي.

10 - **المكنان:** نبات يرتفع قليلاً عن الأرض طيّب الطعم تأكله المواشي كما يأكله البشر. وقد ورد في شعر كعب بن زهير:

فأنبت الغفو والريحان وابله
والأيهقان مع (المكنان) والزرقا

11 - **الزريقاء:** نبتة صغيرة لها أزهار صغيرة زرقاء ذكرها كعب في البيت السابق.

12 - **القرقاز:** نبات صغير ينمو على ساق واحدة وتعلوه زهرة صفراء اللون لها رائحة نفاذة. تأكله الإبل فتسكر منه وتجفل، وكثيراً ما تسقط في الأجراف والأحقاف وتتهشم وتموت.

والإبل التي ترعى القرقاز لا ترعى طوال اليوم وتجفل عند رؤية إنسان أو أي حركة.

13 - **الجرجير:** نبات يؤكل له رائحة نفّاذة، وهو حار له زهر أصفر أورده النابغة في شعره.

يتحلب الخضير من أشداقها   صفر مناخرها من الجرجار

وهو في مصر يزرع ويباع في الأسواق ويقدم في المطاعم.

14 - **الحوذلان:** نبات كالجرجير ولكن ليس فيه حرارته وله زهرة صفراء أكبر من زهرة الجرجير.

15 - **الشبرم:** نبتة ترتفع عن الأرض قليلاً، لها شوك وزهر أزرق، فإذا أكلتها الإبل وحدها تصاب بالألم في جوفها وقد تطرح العشراء جنينها. ولكن لا تضرّ الإبل إذا أكلتها مع حشائش أخرى. وهي تنبت في القرارات والأودية وتصبر على الجفاف.

16 - **الحنظل:** ويسميه الصحراويون (أحدج لحمار) وهو النبات المعروف بمرارته، قال امرؤ القيس:

كأني غداة البين يوم تحملوا   لدى سمرات الحي ناقف حنظل

ويقول عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلّة   بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

وسكان الصحراء وخاصة قبائل (التيو) و(التوارق) يأخذون بذر الحنظل ويطبخونه حتى تزول مرارته ويجقّفونه ويدقونه ويخلطونه بالتمر ويؤكل وهو لذيذ الطعم، أو يؤكل للتسلية كالبذر. وقد ذقته مراراً فوجدته لذيذاً ولا أثر للمرارة فيه.

17 - **التمام:** نبات يقوم على ساق ترعاه الإبل.

18 - **أزكيزك:** فرع من التمام يسمى (اللغوس) و(الصنبر) ويمتاز بدقة العود وملوسته.

19 - **أزيد:** ومن أسمائه الجل السام والشيكران، وهو نبت أخضر ترعاه البهم فتموت منه لسمومه.

وهو أشبه بـ (الفراس) نبات ينمو بالجبل الأخضر يقتل الغنم.

20 - **أسبيب الغزال:** نبتة ترتفع سيقانها الرقيقة في حزمة تشبه ذيل الغزال ولذلك أسموها بذلك. ترعاها الماشية.

21 - **الشقارة:** وهي نبتة ناعمة الملمس ذات ورق لها زهر أصفر جميل ورائحته حادّة وكريهة. تؤثر في لبن المواشي التي ترعاها.

قال الشاعر محمد بن الشيخ سيديا:

وثانِ الرملتان هما ذواتا   عليّان وذا خطٌّ (الشقارا)

22 - **النِّصِي:** نبات له سيقان رقيقة وزهر أشبه ما يكون بالسنبلة الهشّة تأكله الخيل ويعلو إلى قرابة نصف متر، إذا حركته الريح عند العشي يُرى والشمس منعكسة عليه كأنه غزلان تتقافز.

23 - **السحم:** نبات يشبه النصي أو يكاد أن يكونه تأكله المواشي.

24 - **أصفار:** وهو نبات رقيق السيقان يصفر قبل الحشائش الأخرى وترعاه الماشية.

25 ـ **الغاسول:** نبات له أوراق ملتصقة بالأرض مليئة بالماء تغسل به الملابس بدل الصابون ويسميه الصحراويون (أصدر لغسيل) ويسمى عربيًا (الحرض).

قال زهير:

كـأن بـريـقـة بـرقـان سـحـل جـلا عـن مـتنه حـرض ومـاء

26 ـ **العيشوم:** نبات له سيقان رقيقة ويرتفع عن الأرض ويتشابك ويصدر صوتاً إذا مرت به الريح. قال الشاعر:

للـجن بـالـليـل في حـافـاتـها زجـل كـمـا تـنـاوح يـوم الـريـح عـيـشـوم

وللعيشوم رائحة طيّبة.

27 ـ **القلقلان:** نبات ينمو على ساق ويرتفع عن الأرض قرابة الشبر وله زهر أزرق وينمو بكميات كبيرة ويغطي مساحات شاسعة عند سقوط الأمطار، وهي مرعى جيّد للماشية.

28 ـ **الـحِرثْ:** نبات يلتصق بالأرض وله زهر أبيض تأكله الأغنام، له مردود جيّد على صحتها. ويؤثر في طعم ألبانها.

29 ـ **الكرمب:** نبات يرتفع عن الأرض وله ورق عريض وزهره أصفر تأكله الحيوانات.

30 ـ **الربيانة:** نبتة صغيرة لها زهر أبيض جميل وأواسطها أصفر يُضرب بها المثل للأسنان.. تسمّى طبياً (الكاميلا) تطبخ وتشرب كمهدّىء للأعصاب ولوجع البطن.

31 ـ **تغوده:** عشبة خضراء تنبت بعد سقوط المطر لها جذور بها حبوب بيضاء يبحث عنها الأطفال لأكلها.

32 ـ **أمسّيكل:** عشبة خضراء ثمارها قرون صغيرة فيها حبوب صغيرة تأكلها الإبل.

33 ـ **طيرالال:** عشب أخضر تأكله الإبل.

34 ـ **أفلش:** عشبة تثمر حبًا صغيراً تأكله الإبل.

35 ـ **تبزواقت:** عشبة شهباء تفترش الأرض تأكلها الإبل.

36 ـ **تيتيّه:** عشبة تأكلها الإبل، لها شوك. والإبل التي تأكل هذه العشبة تكون أفواهها كأنها مدهونة بدهن أسود.

37 ـ **تاجوه:** أو (تشاوه) عشبة زهرها أحمر تأكلها الماشية.

38 - **تلقّيت**: وتسمى (تلبّوت) خضراء لها رأس مكوّر.

39 - **تقنقليت**: عشبة اذا أكثرت الإبل من أكلها تنفخ أجوافها وأحياناً تقتلها، لها زهر أحمر.

40 - **تغمّوت**: وتسمى (النسيلة) عشبة شهباء لها وبر تأكلها الغنم.

41 - **لقريده**: عشبة تنبت في الأودية يأكلها الناس والحيوانات.

42 - **أطوّز**: عشب رقيق ينبت في الجبال تأكله المواشي.

43 - **بوحريبه**: عشبة تأكلها المواشي ويبقى شوكها في أشداق الغنم إلى أن يقتلعها الراعي.

والصحراويون يسمّون جميع الحشائش الخضراء (الربيع) ويقولون تركت بعيري يأكل الربيع، أي يأكل العشب. وحتى السلطة وخضروات الأكل يسمّونها (اربيع).

ثانياً ـ الشجيرات

الشجيرات الصغيرة تنمو على امتداد الصحراء فوق الكثبان الرملية وفي الأودية والقرارات والقرع [جمع قرعاء) منفردة أو متشابكة، تكون أحياناً غابة صغيرة وترتفع إلى مترين في بعض الأحيان وأكثرها يكون غذاءً للحيوانات.

وأهم هذه الشجيرات:

1 - **السبط**: وهي شجيرات متوسطة الطول ترتفع إلى أكثر من متر. وتنمو فروعها متشابكة ومتجاورة. تنمو في الأراضي الرملية وأغصانها رقيقة وحادّة وأوراقها أشواك طويلة خضراء.

ويزهر السبط في آخر الربيع زهراً كالسنابل الهشّة تلوح كأعراف الخيل، فيه حب صغير يسمّيه بعض الصحراويين (بشنة) نسبة للذرة الرقيقة. يأكله بعض الصحراويين في سنوات الجفاف.

والسبط غذاء مهمّ تأكله الإبل والخيل والحمير والبقر ويخضرّ عند سقوط الأمطار، وييبس في فصل الجفاف. وتراه أسود اللون في كومة من الهشيم، وتُغطى بالسبط أكواخ البدو في شمال الصحراء.

2 - **الرتم:** شجيرات تطول إلى أكثر من متر وقد تصل إلى مترين ونصف. رقيقة الأوراق، طويلتها، مبرومة. وأغصانها طويلة تتخذ منها العصى. وهي وقود جيد للنيران. وقد يحوّلها بعض الصحراويين إلى فحم للوقود. والرتم مرّ المذاق. يزهر في أوائل الربيع زهراً صغيراً يشبه زهر الفول إلاّ أنه أصغر يتحوّل إلى ثمار كحب الزيتون الصغير.

والرتم غذاء شهي للماعز، ويؤثر في لبنه، بحيث الذي يشرب لبن الماعز الذي يأكل الرتم يصاب بالدوار ويصبح (كالسكران).

والبدو يتخذون من الرتم (القطران) لمكافحة الجَرَبِ الذي يصيب إبلهم وذلك بالتقطير. ويعالجون بالرتم الأورام والطوالع في الجسم والتورّم الذي يصاحب الكسور وذلك بدقّ أغصانه ووضعها ضمائد. أو بطبخ عروقه والدهن بها كالمرهم، وهو مفيد ومجرّب.

3 - **العرفج:** شجيرة صغيرة شهباء لها زهر أصفر مكوّر.

تأكلها الإبل والماعز والضان. ويشبّه بسرعة اشتعال ناره وانطفائها فيقال (كنار العرفج) وذلك لمن يتحمّس للشيء بسرعة ويتخلّى عنه بالسرعة نفسها.

4 - **العريفجة:** ويسميها البعض (شجرة الماء) لأنها تنبت في القرارات التي يتجمّع فيها ماء المطر.

وهي تشبه العرفج إلاّ أنها أصغر. طعمها مرّ المذاق وإذا وجدت في منطقة يرعاها الغزال وحدها فطعم لحمه يكون مرًّا ولا يمكن أكله. وقد حدثت لنا مرّة ولم نستطع أكله فرميناه.

5 - **القُزّاح:** شجيرة طويلة السيقان لا ورق لها تزهر كزهر (الجزر) لها رائحة نفّاذه طيّبة تأكلها الحمير.

6 - **الشيح:** شجيرة صغيرة لها رائحة طيبة. ويتخذ منها بدو الصحراء أدوية لأمراض المعدة.

يقول الشاعر العربي عمر بن أبي ربيعة:

إحـــدى بـــنـــيـــات عـــمـــي دون مـــنـــزلـــهـــا
أرض بـــقـــيـــعـــانـــهـــا الـــقـــيـــصـــوم والـــشـــيـــح

7 - **الأرقية:** شجيرة صغيرة بل هي أصغر الشجيرات في الصحراء وهي لولا صلابة سيقانها عُدت من العشب، تنمو في القيعان وفي سفوح المرتفعات وفي الأرض الطينية وتعمر

الشجيرة وتنمو شجيراتها متجاورة. والمنطقة التي توجد فيها (الأرقية) يوجد فيها (الترفاس) (الكمأة) وبها يعرف الناس أمكنة الترفاس.

8 - **الفلزلز:** ويسمّونه في مناطق أخرى (الفلجلج) وهو شجيرات خضراء ورقها عريض. إذا أكلها الجراد تؤثر فيه وإذا أكل الناس الجراد يصابون بالجنون. أما إذا أكل الناس الفلزلز فإنهم يجنون ويمزّقون ملابسهم ويهيمون في الصحراء إلى أن يموتوا. ويعالج الصحراويون آكلي الفلزلز بحساء الفلفل أو السمن.

9 - **آسكاف:** وهو شجيرة مالحة تأكلها الإبل في الشتاء لملوحتها ويسمّيها الصحراويون عدة أسماء.

10 - **الحاد:** شجيرة في حجم شجيرة العرفج، شهباء، لها شوك ليّن، تأكلها الإبل في فصل الخريف للاستفادة من ملوحتها.

11 - **الضمران:** شجيرات صغيرة تشبه شجيرات الحاد، تأكلها الإبل في فصل الخريف والشتاء فتفيدها ملوحتها وتعوّضها عن الملح الذي فقدته.

12 - **شجرة الريح:** شجيرة تشبه (القزاح)، لها أغصان طويلة ورقيقة. وتزهر زهراً أصفر كزهر (الجزر) والبصل في تركيبه. لها رائحة نفّاذه كريهة يعالج بها الصحراويون احتباس الريح في البطن.

13 - **الرمث:** شجيرة متوسطة الطول وتفترش الأرض تذهب عروقها بعيداً في الأرض، وعادة ما يكون لها عرق واحد. تأكلها الإبل ولكن ليس بشهية كبيرة. يعالج بها الصحراويون أمراض المعدة. ويخلطون برمادها نشوق التبغ والذي يسميه البعض (السعوط). والبعض (النفه).

14 - **الأراك:** شجيرة لها عيدان طيّبة يؤخذ منها المسواك، وقال الشاعر:

لا أحب السواك من أجل أني
إن ذكرت السواك قلت سواك

وأحب الأراك من أجل أني
إن ذكرت الأراك قلت أراك

والأراك مرعى للمواشي طيّب.

15 ـ **أفرنان:** شجيرة بيضاء الأغصان وأوراقها قليلة وصغيرة كلسان العصفور. فإذا ما جرحت أغصانها يخرج منها لبن أبيض. والأفرنان ترعاه المواشي في سنوات الجفاف لأنه أصبر على الجفاف وتعافه إذا وجدت سواه في المرعى.

16 ـ **الطليحة:** تصغير الطلح. وهي شجيرة صغيرة تشبه الطلح في ورقها وشوكها، تأكلها المواشي.

17 ـ **الغردق:** ويسمى بالفصحى (الغرقد) وهو شجيرة كثيرة الشوك لها ورق مدور أخضر مليء بالماء. ولهذه الشجيرة الكثير من الجذور وتفترش الأرض وتحبس الرمل عندها فتصبح كومة بارزة فوق الأرض. وثمارها كالعنب الأحمر يأكله طير (الحبار)، ولهذا ينصب الصحراويون فخاخهم لصيد (الحبار) عند شجيران الغردق.

18 ـ **الفِرش:** شجيرة تنمو في الأودية لها أغصان تأكلها الإبل ويتخذ من عيدانها حطب للنار.

19 ـ **الحلمة:** شجيرة مالحة تشبه (الحاد) تأكلها الإبل في الخريف.

20 ـ **الباقل:** شجيرة مالحة تنبت في الأرض الجبسية القريبة من السبخة، ترعاها الإبل. وإذا ما رعتها الإبل وحدها دون عشب آخر تسبب لها الإسهال لحرارتها.

21 ـ **الأُرطي:** شجيرة متوسطة الطول. تتخذ منها بعض الحيوانات البريه أوكاراً لها تنام تحتها لتقيها الحر والبرد والرياح.

22 ـ **أم ركبة:** شجيرة متوسطة الطول تشبه السبط والحلفاء. لها سيقان رقيقة ولها ركب في الساق تتعرّج عندها. تأكلها الحمير. وتنمو في الأودية ويسميها بعض الصحراويين (التمام).

وفي الساقية الحمراء بعض الأودية تسمى (وديات أم ركبة) قيل إن النفط عثر عليه فيها.

23 ـ **الطعمية:** شجيرة صغيرة شهباء اللون تأكلها المواشي وتبقى خضراء إلى آخر الربيع.

ويقول الصحراويون في صحراء مالي في أمثالهم الشعبية (أعقاب اللحم الريَّة، واعقاب الربيع الطعمية، واعقاب أولاد آدم لادم) ولادم قبيلة عربية صحراوية. والمعنى أن الرئة تبقى في آخر اللحم لا تؤكل لرداءتها، وكذلك شجيرة الطعمية تبقى آخر الربيع لأنها ليست محبوبة كثيراً لدى الماشية. ويبقى آخر بني آدم قبيلة لآدم والمثل يقال لهم للذمّ.

24 - **القندول:** شجيرة ذات شوك أوراقها خضراء وتزهر في آخر الشتاء زهراً أصفر جميلاً. والقندول يأكله الماعز. وينمو في الأودية والسواقي العميقة.

25 - **الحلاّب:** شجيرات متوسطة الطول يأكلها الماعز والغزال. وإذا قطعت أغصانها خرج منها لبن يتخذه الأطفال علكاً بعد جفافه.

ثالثاً ـ الأشجار الباسقة

تنمو بالصحراء أعداد وفيرة من الأشجار الكبيرة والباسقة وأغلبها في جنوب الصحراء، حيث تصل كثرتها إلى غابات كمثل غابة شجر الصمغ بجنوب موريتانيا محاذية لنهر (صنهاجة). وتنمو في أواسط الصحراء وشمالها أشجار متفرقة بعضها في الأودية والقرارات.

أهمها:

1 - **الطلح:** وهو شجر معروف. والذي جاء ذكره في القرآن الكريم. وهو شجر يرتفع على ساق واحدة، ثم يتفرّع، أشبه بشجرة الأرز في لبنان، وله شوك، وثماره قرون صغيرة. يصنع الصحراويون من أخشابه بعض الأواني كالأقداح وغيرها وكذلك بعض الآلات الموسيقية حيث يصنعون قواعدها منه.

والطلح غذاء جيد للإبل والماعز والغزال وقد شاهدته يقف على أرجله الخلفية ويتمطى بعنقه ليقطف الأغصان القريبة من الطلح.

2 - **السدر:** يسمّي الصحراويون كل الشجر (اصْدَرْ) ومفردها (صدراية) أما السدر هنا فهو شجر له شوك وأوراق صغيرة نسبيًّا مدوّرة.. ومنه ما يذهب في الفضاء. ومنه ما يكبر فوق الأرض كالكومة الكبيرة. ويثمر السدر (النبق) وهو أحمر مدوّر له قلب صغير، بداخل ذلك القلب لب أحمر لذيذ أيضاً يتسلّى به صغار الصحراويين. والنبق غذاء مفيد. وقد اتخذ منه المجاهدون الليبيون زاداً لهم في الحمادة الحمراء عند هجومهم على الطليان في معركة (القطّار) قرب (درج) عام 1925. والسدر تأكله المواشي ويخضر في الصيف.

3 - **التّمّات:** وهو شجر السلم. وهو مرعى للحيوانات وتدبغ بورقة الجلود.

4 - **إيكنين:** أو (ايقنين) شجر كبير به شوك وأغصان ترعاه الإبل ويثمر ثمراً يشبه الكرز ولكنه لا يؤكل.

5 - **تيشط:** شجر كبير. ومنه المتوسط. له شوك طويل. وله تمر شبيه بتمر النخل يأكله بعض الناس فيكسرون نواته، وفي داخلها لب يؤكل.

6 - **تيتارك:** شجر كبير ليس بذي شوك وله أوراق، ويثمر ثمرة على هيئة قرون اللوبياء.

7 - **تورجه:** شجر ليّن العود أملس وله ورق كبير وهو في الفصحى شجر (العشر).

8 - **اكنات:** شجر كبير لا شوك له، ثماره قرون كقرون الخروب، وحبها أسود.

9 - **أكجور:** ويسمى في الفصحى (النبع) وتستخدم أغصانه اللينة للقسي ومغازل للوبر والنبال والعصي والخدور (الهوادج) ومحامل القرب.

10 - **العوسج:** شجرة كثيرة الشوك، يقول الشاعر:

منعمة لم تدر ما عيش شقوة
ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

إذ يُتخذ من عيدان العوسج مغازل لغزل الصوف والوبر.

11 - **السرح:** شجر عظيم تأكله الحيوانات ويستفاد من أغصانه كعصى وأعمدة للخيام، ورقه أخضر ولا شوك له.

12 - **الجداري:** شجر كبير ينمو في الأراضي الحجرية ومجاري الأودية، تدبغ بعروقه الجلود والقرب. وتتخذ من جذوعه أوانٍ كالأقداح وغيرها. ويتخذ الحدادون منه أخامص البنادق لصلابة عوده.

13 - **البطُّوم:** شجر كبير ينبت في الجبال ويسيل منه صمغ يتخذه الصحراويون لباناً يمضغونه. ثمره أخضر يميل للزرقة يأكلونه ويسمّى (قظّوم).

14 - **التيدوم:** شجر عظيم يشبه في كبره شجر الأرز، يقول الصحراويون في أمثالهم:

(كيف طير التيدوم يطير لا يندري بيه).

أي أن الطائر الذي ينزل على هذه الشجرة لا تعلم به وإن طار لا تدري به، وذلك لكبرها.

15 - **الضال:** شجر يشبه السدر ولكنه أكبر منه ولا يثمر وترعاه الإبل والماشية.

16 - **اسبيحيّة:** ويسمونها (الغَرَبْ) (والأبهل) و(الشيزي) و(الأبنوس) وهي شجرة كبيرة صلبة

الجذع. يصنع من جذعها الأحمر الأواني الخشبية كالقداح والقصاع، وغيرها. كما يصنعون منها القطران لطلاء الإبل.

17 - **الأثل:** شجر ينبت في الأرض المالحة (السبخة) وهو الاسم العربي نفسه (الفصيح).

18 - **الدوم:** ويسميّه بعض الصحراويين (أزقلم) وهو يشبه النخل ولو أن خوصه ينبت بأطراف جريده، ثمره مكوّر الشكل. ومنه نوع يتخذ منه الليف للحبال. ونوع منه يستخرج منه (ماء مُشكر).

19 - **البـان:**هو شجر معتدل الطول. ورقه ليّن كورق الأثل، يؤخذ من حبّه دهن طيّب الرائحة.

والبان تشبّه به قدود النساء.

قال امرؤ القيس:

بـــرعـــبـــوبـــة رودة رخـــصـــة كـخـرعـوبـة الـبـانـة الـمـنـفـطـر

20 - **أذن الفرس:** وهي عبارة عن شجرة كبيرة سوداء الساق ذات قشور على طبقات وأوراقها تشبه أذن الفرس مؤلله فسميت بذلك.

21 - **أدرس:** وهو شجر كبير يسمى بالفصحى (البشام) يؤكل ورقه في سنوات المجاعة. وقال الشاعر ينفي عن نفسه الجوع:

يــا مــن رأى أثــري عــنــد الــبــشــام فــلا
وقــال ذا يــجــتني حــب الــبــشــام فــلا

مــا أن أروم هــنــا إلا الــســواك بــه
إن الــمــروءة تــأبــى غــيــر مــا جــمــلا

22 - **آزرم:** وهو شجر ينمو على ساق واحدة ويكون جذعه أسود ويسمّى بالفصحى (آستن) وقد شبهه النابغة بالأماء اللواتي يرفعن على رؤوسهن الحطب، إذ قال:

تــحــيــد مــن أســتنٍ ســودٍ أســافــلــه
مــثــل الإمــاء الــغــوادي تــحــمــل الــحــزمــا

23 - **النـخـل:** وهو أهم شجر الصحراء. فحيث ما تجد العرب تجد الإبل والنخل. وهو ينمو

بكميات كبيرة في الصحراء مشكلاً واحات بعضها متقارب وبعضها متباعد. وفي أودية مياهها الجوفية قريبة.

وأهم مواقع النخل في أودية الشاطىء والأمل والحياة بليبيا. ووادي سوف بالجزائر. وبواحات فزان. وجنوب الجزائر. وشمال موريتانيا والنيجر وتشاد وجنوب مصر.

ويعتبر التمر من أهم الأغذية في الصحراء مع حليب الإبل واللحم. ويتخذ من النحل الحبال وأسقف المنازل ومن جريده الأكواخ.

24 - **أبو فريوه:** شجرة ضعيفة العيدان مرة الثمر يضرب المثل بها في قلة المنفعة، فيقال فلان مثل أبو فريوه، لأنها ليست مرعى. ولا يتخذ من عيدانها حطباً ولا أعمدة ولا يؤكل ثمرها.

25 - **أوَزْوَار:** شجر كبير به شوك ويخرج منه صمغ يعالج به الصحراويون أمراض البطن.

26 - **أتيله:** شجر كبير. يؤخذ منه المسواك. وتشاهد العرب الصحراويين في منطقة شجر (الأتيل) كل شخص يحمل في فمه مسواك. ويقول الشاعر الشعبي الموريتاني (الحساني):

هـــو لـــك هـــذا وامـــعـــانـــا أمـــك
إذا عـــادت مـــا هـــي مـــســـحـــيـــلـــة

شـــفـــت انـــا مـــســـواك افّـــمّـــك
يـــا ســـعـــد مـــن الـــعـــاد (ايـــتـــيـــلـــه)

أي أنه شاهد مسواكاً في فمها من عود شجر (الأتيل) فيتمنى ان يكون (أتيله) حتى تضعه في فمها.

27 - **أمورا:** شجر كبير له شوك وولادته قرون مستطيلة كالخرنوب تدبغ بها الجلود.

28 - **السدرة البيضاء:** شجرة كبيرة تدبغ بقشورها الجلود ويسميها عرب صحراء فزان (القرظ).

29 - **تيشّاط:** وتسمى (توقّا) شجرة طويلة الشوك ولها نبق تؤكل قشوره ويرمى لبّه.

هذه هي أغلب نباتات وأشجار الصحراء شاهدتها شخصيًا. ووقفت عليها. وعرفت أسماءها

من سكان الصحراء. وتظلّلت بظلال أشجارها في هجير الصحراء. ووقفت بجانب قطعان الإبل وهي ترعى ما ترعى منها، وقطعان الماعز والضان وهي تقتطف زهور الربيع وحشائش الأرض وأشجار المنطقة. ورأيتها أيضاً تأكل هشيم الحشائش في فصل الصيف. ورأيت الأشجار وهي خضراء، ورأيتها وهي بدون أوراق في فصول العام المختلفة، ولهذا سجلت أسماءها وفوائدها هنا بناءً على معرفة شخصيّة بها.

أهم الحيوانات
في الصحراء

عالم الصحراء مليء بشتى أنواع الحيوانات الأليف منها والمتوحّش. المعروف منها وغير المعروف. الذي يشاهده الإنسان الصحراوي كل يوم. والذي يشاهده يوماً ويختفي أياماً ومنه ما هو نادر الوجود يشاهد مرة وقد لا يشاهد بعدها أبداً.

من هذه الحيوانات ما هو أليف يرحل مع الناس حيث ارتحلوا أو أنهم يرتحلون عليه. وينزل معهم حيث نزلوا ويستقر حيث يستقروا ومنها ما هو كالشبح ما إن يرى حتى يختفي.

أما عن الحشرات والهوام والزواحف، فهي كما خلقها الله وأرادها أكثر من أن يحصيها حاص أو يعدّها عاد. منها ما يسير على أربع ومنها ما يسير على أربعين. ومنها ما يزحف على بطن، ومنها ما لا يملك بطناً تلك إرادة الله جلّت قدرته.

أردنا أن نقسم الحيوانات تيسيراً للدراسة إلى الأقسام التالية:

أ - حيوانات أليفة.

ب - حيوانات متوحّشة.

جـ - هوام وحشرات.

وباختلاف سطح المنطقة من أودية وجبال وسهول منبسطة وجبال تتواجد الحيوانات وخاصة البرية. ما يعيش في السهل لا يعيش في الجبل وحيوانات الرمال ليست كحيوانات الجبال... وهكذا.

أولاً ـ الحيوانات الأليفة

سكان الصحراء يألفون من الحيوانات ما ألف أجدادهم منذ آلاف السنين في صحرائهم المترامية الأطراف. وسنذكر هنا أهم الحيوانات الأليفة دون إطالة في الحديث عنها لأنها معروفة لجميع العرب.

وأهم هذه الحيوانات:

1 ـــ الإبل:

الإبل هي رفيقة العربي الصحراوي ومحمل زاده وأولاده. وساقية أسرته بالماء من مواقع بعيدة وجالبة ميرته من أقطار قاصية. وقاطعة الصحراء شمالاً وجنوباً منذ آلاف السنين بل هي التي شقت الطرق. وما زالت آثارها تلوح خطوطاً متوازية في الصحراء عندما كانت طرق قوافل.

الإبل هي التي حملت جيوش الفاتحين العرب إلى جنوب الصحراء وإلى مشارف أدغال أفريقيا حاملة الزاد والماء والسلاح والكتب.

والإبل هي الحيوان الذي قال فيه تعالى ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**﴾.

الإبل هي المنفعة كلها للعربي الصحراوي. فلبنها غذاء له ولأولاده، ووبرها يتخذ منه الأغطية وحتى الخيام، ومن جلودها الأحذية، أما لحومها فهي الطعام الرئيسي للصحراويين في مهمة الصحراء.

الإبل هي أعلى مرتبة الكرم. فإذا ما نحر الرجل لضيفه بعيراً اعتبر ذلك قمة الكرم والإكرام.

الإبل هي التراث الشعبي في الصحراء، شعراً وأمثالاً وعادات وتقاليد.

إذا مات الجمل لا يلقى برأسه في الأرض إكراماً له بل يوضع فوق شجرة دلالة على رفعته ومكانته.

البعير، الحيوان الوحيد الذي يرفع رأسه إذا حضره الموت، فلا يموت ورأسه متدلياً في الأرض، ولا يموت ورأسه في التراب.

البعير الحيوان الوحيد، ناقة أو جمل، يرفع رأسه عند الموت ويضعه فوق غاربه.

الإبل هي زينة حياة البدوي في الصحراء يرى فيها ثروته ومكانته وقدره في القبيلة.

إن مكانة الإبل في الصحراء لا تضاهى. ولها عدة أنواع متباينة، وفي كل نوع أنواع مختلفة.. مختلفة قوة ومختلفة تحمّلاً ومختلفة لبناً ولحماً وشحماً، ومختلفة طبائع وتطبع، مختلفة طولاً وعرضاً وقصراً وعرضاً. يحتاج الباحث في الإبل إلى مجلدات لا تفيها حقها من البحث والدراسة.

تنبعث حياة الإبل سنوات طويلة وفي كل مرة أكتشف أشياء جديدة فيها لم أكن أعرفها من قبل.

وفي هذه العجالة، سألقي الضوء على أنواع الإبل في الصحراء بدون إطالة.

تنقسم الإبل في الصحراء إلى الأنواع التالية:

أ - **الإبل العراب:** هكذا يسميها عرب صحراء موريتانيا. وهي طويلة القامة، نحيفة الأطراف، قليلة الوبر تعيش في منطقة موريتانيا، وفي السودان وأرتريا وتشاد، وفي الساقية الحمراء وجنوب المغرب، وفي أغلب مناطق الصحراء. ولبنها أغزر من الأنواع الأخرى من الإبل. ورأيت الناقة من هذا النوع تحلب في المرة الواحدة أكثر من ستة لترات.

ب - **الإبل المهاري:** وهي رقيقة الأطراف طويلة القامة جميلة التناسق في الأعضاء، مرفوعة الرأس مؤللة الأذان، تكون ألوانها بيضاء أو صفراء وتتواجد بشمال مالي، وشمال النيجر. وهي سريعة العدو يقطع بعضها أكثر من مائة كيلومتر في اليوم ورأيت من قال لي أنه يقطع بعضها قرابة المائتي كيلومتر في اليوم. والأنثى أكثر عدواً من الجمل ما لم تلد. ويقول الشاعر محمد ولد سيديا في إحدى قصائده:

رويدك إنني شبهت ناراً   على أمثالها تقف المهاري

وعرب الصحراء جميعاً يمتطون المهاري لصبرها وقوة تحملها على التعب والسفر وصبرها على قلة الماء والأكل. وسميت بهذا الاسم نسبة لقبيلة (المهرة) باليمن.

جـ - **إبل آير:** وهي إبل تتواجد بمنطقة جبال (آير) شمال النيجر. أقصر من سابقتها وأقوى على حمل الأثقال. وتكون في الغالب (ربشاء) أي مبقعة. وأثناء سيرها تكون رقابها ممتدة للأمام. ويقول مربوها الصحراويون إنها صماء لا تسمع. وكذلك كل بعير (أربش) ولكن حاسة الشم عندها قوية.

د - **إبل الشمال:** تتواجد في شمال الصحراء، المغرب، الجزائر، ليبيا، تونس ومصر.

وهي إبل أكثر وبراً من غيرها وأكثر لحماً، قصيرة القامة، مدورة الجسم، خاصة في منطقة غرب ليبيا وتونس والجزائر. أما وسط وشرق ليبيا فهي مختلطة بإبل جنوب الصحراء، فهي أطول قامة من إبل مناطق الشمال الأخرى.

ولو أن الإبل تتفاوت في الحجم والوبر واللبن من منطقة إلى أخرى ولكن هذه السمات مشتركة فيها. أما اللبن فيتحكم فيه صنف الناقة، وجودة المرعى.

والناقة تحمل اثني عشر شهراً وتضع حواراً يرضعها سنة كاملة.

والجمل يبقى في القطيع وحده ولا يرضى أن يشاركه فيه جمل آخر. وإذا التقى جملان في أجمة يتقاتلان حتى يموت أحدهما أو يهرب. والجمل من أكثر المخلوقات غيرة على أنثاه. وأنثى الإبل من أكثر المخلوقات حبّاً لفحلها لدرجة أنها إذا تغيّر عليها الفحل لا تلقح. وهي تتبع فحلها طيلة مدّة الإخصاب.

وعرب الصحراء يحبون إبلهم حبهم لأولادهم. ويتغنّون بها ويمجّدونها في أشعارهم ويهوّنون رؤوسهم دفاعاً عنها، ويضربون بها الأمثال في الغيرة، والثأر، وعدم نسيان الإساءة والصبر، وحب الوطن، والخبرة في الأرض، والهداية للطريق.

والبعير لا ينسى وطنه. وهو يعود إليه مهما بعد أو أقصي عنه. ويعود للبئر التي شرب منها ولو مرة واحدة.

وقد علمت أن مجموعات من الليبيين عادوا من منطقة (كانم) في التشاد فرجعت إبلهم إلى هناك دون أن تضل الطريق.

والصحراوي إذا ما ضلّ طريقه يرخي لجمله الزمام فيوصله إلى الماء أو لموقع الخيام.

ولبن الإبل غذاء رئيسي للصحراويين. وهم يحلبون إبلهم بثلاث طرق:

أ - **الشْمَالْ**: وهو مشبك من خيوط الوبر يربط على ضرع الناقة حتى لا يرضعها فصيلها. وعند المساء يخلع ذلك الشمال عن الضرع ويقولون (يبهل) ويترك فصيلها يرضعها حتى إذا ما درّت وامتلأ الضرع بالحليب يطرد الفصيل وتحلب، وأكثر الأحيان يترك أحد الأثداء للفصيل ليرضعه.
وهذه الطريقة تستخدم في شمال الصحراء وغربها.

ب - **الفصل**: وهو أن تحجز الحيران عن أمهاتها في زريبة تصنع لذلك. وتذهب الإبل للرعي. وفي المساء تخرج الفصائل واحداً واحداً لترضع أمهاتها وتحلب، وهذه الطريقة تستخدم في وسط الصحراء.

جـ - **الصرار**: وهو أن تُربط حلمة الثدي للناقة بخيط بحيث يمنع الفصيل من الرضاعة. ويسمون هذه الطريقة (الصرار) من الصر.

وعند المساء ترجع الإبل إلى مباركها يحلّون ذلك الخيط ويترك الفصيل يرضع أمه حتى إذا ما درّت يقوم الراعي أو صاحب الإبل بحلبها.

والصرار من عادات العرب القديمة وتستخدم أحياناً لصر الماعز والضان.

قال عنترة عندما طلب منه والده شداد أن يكر على الأعداء ممتنعاً:

«أنا عبد لا أحسن الكر بل أحسن الحلب والصر».

وقال الشاعر:

إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها ولا كريم من الولدان مصبوح

وقد يؤثر الصر على ضرع النياق فيقطع حلماتها أحياناً. وقد شاهدت بعض إبل السودان مقطوعة الحلمات من الصرار. والشمال أفضل الوسائل وأقلها مشقّة. وجميع هذه الطرق الموجودة في الصحراء لحلب الإبل عادات عربية في الجزيرة.

2 ــ الخيل:

الخيل في الصحراء قليلة الوجود ولا يعتمد عليها كثيراً لأن الإبل تكفي عنها وتستخدم في الركوب. وذلك لأن الخيل لا تتحمّل السفر الطويل، ولا تتحمّل العطش والجوع، ولكن مع ذلك وجدت بعض الأنواع من الخيول العربية التي جلبها الفاتحون الأولون، أو روضت من الخيول البرية الموجودة في مناطق من الصحراء مثل (جبل بقزن) شمال النيجر.

واهتم الصحراويون بسلالات هذه الخيول ودرّبوها وأتقنوا تربيتها ودللوها لدرجة أنها لا تشرب إلا حليب النوق.

وقد اشتهرت بعض السلالات في الصحراء، أهمها:

أ ـ **الجريبات**: وهي خيل من سلالة فرس جرباء قيل في الأسطورة الصحراوية انها نزى عليها حصان جني، فولدت مهراً جميلاً خرج من صلبه سلالة من أجود الخيول العربية في المنطقة وأكثرها سرعة.

وتوجد هذه السلالة في شرق موريتانيا.

ب ـ **الزريقات**: وهي سلالة توالدت وتربت في منطقة (أزواد) شمال مالي عند قبيلة كنته. ويضرب بها المثل في السرعة. وأن المجموعة من الناس تشترك في فرس واحدة وينتظر

الواحد من الشركاء عدة أعوام ليتحصّل على مهر منها. وقد اشتهرت بهذه الخيول خيمة (أهل الشيخ).

جـ ـ **الغزالات:** سلالة من الخيول الأصيلة تربّت وتكاثرت في منطقة (أدرار) شمال موريتانيا، وهذه السلالة خاصة بأمراء أدرار ولا يوجد من سلالاتها شيء في بقية الصحراء.

د ـ **لـحيويات:** سلالة جيّدة وجدت في منطقة الصحراء الغربية.

هـ ـ **خيل بقزن:** (بقزن) هذا جبل في شمال النيجر تتوالد فيه مجموعة من الخيول البرية لا تزال إلى الآن. فيخرج الناس وقت ولادتها يتربّصون بها ويختلونها إلى أن يقبض بعضهم على مهر حديث الولادة فيقيده ويؤدّبه ويصبح من أعدى الخيول في المنطقة. فيقولون إنه من سلالة خيل (بقزن).

وقد حدثني أحد توارق النيجر قال:

«خرجنا للصيد بسيارات، ووجدنا هذه الخيول، وطاردناها كثيراً لنتحصل على واحد منها فلم نستطع. وأخيراً قررنا إطلاق النار عليها فأسقطنا واحداً منها وبقينا نستمتع بالنظر لجماله وتناسق أعضائه وصورته الرائعة».

هذه هي أهم السلالات الجميلة والسريعة في الصحراء، وقد استطاعت إمارة أولاد امبارك أن تدخل خيولاً عربية أصيلة للمنطقة وتربّيها. كما أدخلت للمنطقة أنواع من ضروب الفروسية ولا تزال سلالات تلك الخيول يتوارثها الصحراويون حتى الآن.

أما الخيول المنتشرة في وسط الصحراء وشرقها وشمالها فهيَ خيول عادية منها الجيّد، ومنها الرديء. ولم أعثر على اسم سلالة جيّدة في هذه المناطق.

وأثمان الخيل الجيّدة مرتفعة في الصحراء، وقد يصل ثمن الحصان الواحد إلى ثلاثين ناقة. ويسمون الخيل العربية الأصيلة (الحراير) نسبة للأحرار. ويسمون الحصان الذي لم يكن دمه نقيّاً (حرطاني) أي ليس حراً، أي إنه نصف حر ونصف عبد.

3 ـ البقر:

البقر يربى بكثرة في جنوب الصحراء وتعد ثروة بعض الأسر بأكثر من ألف بقرة. وللبقر رعاته ويضعون على رقابه سمة الأسرة وهي كي بالنار. ولهم طقوس وعادات في حلبه وعلاجه. ويربطون صغاره في حبل طويل (ربقة) إلى أن ترجع أمهاتها من المرعى فيحلبونها.

ولأن البقر لا يتحمّل العطش لا يربى في شمال الصحراء.

وهناك قبائل مشهورة بالبقر. وبعضها يسمى (البقارة) في شرق الصحراء (السودان)، والصحراويون يركبون على البقر ويحملون عليه.

وللبقر أثر في الأمثال الشعبية والقصص الصحراوية.

4 ـ الحمير:

الحمير في الصحراء شاهدت من يملك منها قطعاناً يخصص لها راعياً وتستخدم في جلب الماء للخيام. ويضع الصحراويون على رقابها سمة العائلة أو القبيلة.

وهناك حمير بريّة بعضها مخطّط، وبعضها غير مخطّط (أشهب). والرجال في الصحراء لا يركبون الحمير ويعتبرون الركوب عليها عاراً ما بعده عار. ولكن النساء يركبن الحمير. ولكن الرجال في شمال الصحراء هم الذين يركبون الحمير وعار على النساء ركوبها.

5 ـ الكلاب:

يعتبر الصحراويون الكلاب نجاسة، ولذلك هم لا يقبلون على تربيتها باستثناء قبيلة (النمادي). عند الحدود بين موريتانيا ومالي، فإن الرجل الواحد تقدر ثروته بما يملك من كلاب سلوقية التي يستخدمها في الصيد، وحتى مهور نسائهم تدفع كلاباً.

6 ـ الضان والماعز:

يربى الضان والماعز بأعداد وفيرة في الصحراء. وغنم الصحراويين عدة أنواع، منها ما لا يوجد عليه صوف وكذلك الماعز منه نوع قصير الشعر.

وللغنم الصحراوية ذيول طويلة بعكس غنم شمال الصحراء التي لها (إلية).

ويسمي الصحراويون الغنم ذات الذيول والعديمة الصوف (تيهري) و(مازقرى) نسبة لسلطنة (آزقر) التارقية.

ويستفيد الصحراويون من الغنم التي بها أصواف ليصنعوا منها الخيام، والأغطية والفرش، ومن جلودها الوسائد والخيام أيضاً في جنوب الصحراء. ويستخدمون السمن في دهن شعور النساء، وفي الأكل.

7 ـ الطيور والقطط:

لا يربي الصحراويون الطيور إلا نادراً. ويرونها من التفاهة بحيث لا يجب الاهتمام بها. وحتى بعضهم لا يأكل لحم الطير ويراه كريه الرائحة.

أما القطط، فقد تجوّلت في الصحراء من غربها إلى شرقها فلم أشاهد من يربي القطط إلا في بعض القرى أو المدن.

ثانياً ـ الحيوانات المتوحشة

الحيوانات المتوحشة في الصحراء كثيرة ومتنوعة حسب تنوع الصحراء وتضاريسها. هناك نوع يعيش في الصحراء المنبسطة وآخر يعيش في الجبال. ونوع لا تجده إلا في الرمال، وهكذا.

وأهم أنواع الحيوانات المتوحّشة في الصحراء:

1 ـ الغزال:

وهو ذلك الحيوان الجميل المشهور. يتواجد ويتوالد على امتداد الصحراء الكبرى. ويوجد منه أكثر من ستة عشر نوعاً أهمها المهر، الدامي، الريم، لريل، بوكليخة، وغيرها. ويعيش الغزال على الأعشاب، ويتوالد في فصل الربيع، مثل الماعز. وتلد الشاة ولداً واحداً في الغالب. وقال لي بعض الناس أنه شاهد غزالاً يلد توائم في (الرملة).

ويصطاد الصحراويون الغزال بالفخاخ، وبالبنادق، وبكلاب الصيد (السلوقي).

وقد يقبض بعض الصحراويين على صغار الغزلان ويربيها ويرضعها حليب الماعز فتعيش وتصبح أليفة.

2 ـ البقر:

بقر الوحش، جميل الصورة، مخطّط الوجه بخطوط سوداء وأغلبه أبيض اللون. يعيش في منطقة الرمال وقرونه طويلة ودقيقة ذاهبة في الجو.

يعيش في مناطق الصحراء الرملية. وقد شوهد واصطيد في رمال مرزق عام 1972.

ويصطاد الصحراويون بقر الوحش بالبنادق. وذكره إذا جرح يصبح خطراً على الصياد. وتروى القصص في الصحراء عن صيادين قتلهم ذكر البقر الوحشي.

3 ــ النعام:

وهو الطائر المعروف. وذكره يدعى (الظليم) ويتواجد في أواسط الصحراء. ويشبه الصحراويون بريشه شعر النساء لجماله ونعومته. ويصنع الصحراويون من ريشه الوسائد الناعمة، والمراوح.

ويستخدمون من شحمه مرهماً لعلاج الروماتزم والتمزّقات العضلية.

وكان ريش النعام من أهم تجارة الصحراء في فترة سابقة. كما يفرغ بيضه ويزخرف بالجلد ويعلق للزينة.

والنعام سريع العدو ولا يطير. وتلد أنثاه بيضاً كبير الحجم وتحضنه وكذلك ذكرها الذي يهيج في فترة حضانتها. ورأيته يعترض السيارة ليمنعها من المرور، حسب رأيه.

4 ــ حمار الوحش:

ويتواجد في الصحراء في عانات (مجموعات) ويصيده الصحراويون.

5 ــ الخيل البرية:

وهي خيل جبل (بقزن) شمال النيجر وهي خيول برية جميلة المنظر تعيش في مجموعات.

6 ــ الزراف:

يتواجد الزراف في منطقة الغابات المتاخمة للصحراء في الجنوب وكذلك في منطقة السافانا. والزراف مشهور برقبته الطويلة وجسمه الرشيق الذي يجمع فيه بين صفة الجمل وصفة الثور.

ويقول الصحراويون إن الزراف الذكر إذا نزى على الناقة تلد جملاً (مهرياً) لا يسابق. ويقولون للجمل الذي يجري في عروقه دم الزراف (زرغاف) ويقولون ذلك على الجمل (الأربش).

وقد شاهدت في السودان الصيادين يطاردون الزراف على الخيول. وكذلك في الصحراء الوسطى يطاردون النعام على الخيول السريعة.

7 ـــ الطيور:

وتعيش في الصحراء مجموعات من الطيور المعروفة، أهمها:

أ ـ **القطا:** وهو طائر معروف عند العرب ويطير في أسراب كبيرة وسريع الطيران وهو الذي يقول فيه الشاعر العربي:

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلّي إلى من قد هويت أطير

ب ـ **والحبارى:** وهي الطائر الذي يضرب به المثل في الجبن، فيقولون (أذل من الحبارى) و(أجبن من الحبارى) وذكرها يسمى الخرب. وعندما يهيج يضع رأسه تحت جناحه ويدور على الشجيرات ولا يرى الصائد إلى أن يقبض عليه وأحياناً ينصبون له الفخاخ بقرب الشجيرات التي يدور عليها فيقبضون عليه.

جـ ـ **والدجاج البري:** وهو أشبه بالدجاج ولكنه يطير في أسراب ولحمه لذيذ.

د ـ **والحجل:** وهو الطائر الموجود في مناطق شمال الصحراء ولحمه لذيذ، ويحدث جلبة عندما يطير.

وهناك من الطيور الصغيرة كالقبّرة والسحوم (الحسون) وتبيي، والمكاء وغيرها.

وتوجد بالصحراء الطيور الجارحة كالحدأة والصقر والنسر ولا توجد صقور مروضة.

ويوجد الغراب. وهو مبقّع في منطقة الصحراء الوسطى والشرقية.

وقد شاهدت وثيقة في بعض الإمارات العربية على الخليج العربي موقّعة بين الأمير والإنكليز يقولون إنها تبقى إلى أن يشيب الغراب. وليتهم شاهدوا غراب الصحراء إذن لبطلت المعاهدة.

8 ـــ ذوات الظفر:

وهي الحيوانات البرية الكاسرة ذوات المخلب وذوات الناب. وأهمها:

أ ـ **الأسد:** ويعيش في الصحراء قرب المياه والأودية. ويهجم على الحيوانات الأليفة ويأكلها. وقد يأكل البشر.

والصحراويون يصطادون الأسود بالبنادق. وقد شاهدت شيخاً في منطقة (أزواد) قال لي إنه قتل سبعة وأربعين أسداً في حياته. وكانت مهنته صيد الأسود.

ب - **النمر:** وهو أخطر الحيوانات الكاسرة على الإطلاق لشراسته وعدوانيته.

جـ - **الفهد:** وهو حيوان جبان وكسول.

د - **القط البري:** وهو أشبه بالقط الأليف إلا أنه أكبر قليلاً.

هـ - **الببّر:** وهو شبيه بالنمر.

و - **الخنزير:** ويسميه الصحراويون (العر) وهو كريه المنظر والرائحة يعيش في الغابات.

ز - **الذئب:** وهو الحيوان المعروف. ويصفه الصحراويون بالذكاء وينسجون حوله القصص. ويسمّونه في حكاياتهم وأساطيرهم (محمد) ويهاجم الغنم. وأحياناً يقتل إذا جاع صغار البقر وصغار الإبل.

ح - **الدب البري:** ويسميه الصحراويون (شرتات) و(قرفاف) و(القابون) ويسمونه في أساطيرهم (عبد الرحمن). وينسجون حوله مئات القصص والأساطير المضحكة والمسلية.

وهناك دويبة صغيرة كالقط البري حادة الأسنان تقطع عراقيب الإبل. وجسمها قوي بحيث تسير فوقها السيارة فلا تتأثر وتواصل عدوها. ويسميها الصحراويون (بهنوس) و(بخنوس) وهذا ليس اسمها وإنما اسم يطلق على فصيلة الحيوانات آكلة اللحم.

ط - **الأرنب:** تعيش في الصحراء وتتكاثر ويسميها الصحراويون (النيرب) ويأنفون من أكلها ويعتبرونه عيباً ويسمونها (مكروه) وعندما حاورتهم في ذلك قالوا إنها تحيض مثل المرأة وبالتالي أكلها عيب.

كما توجد بالصحراء الفئران، والجرذ، والجربوع، والسلحفاة التي يقولون إنها كانت رجلاً يسقي إبله فمر عليه رسول الله ﷺ مع مجموعة من الصحابة ذاهبين لغزوة فاختبأ الرجل وجلس في القصعة التي يسقى فيها الإبل. ووضع الدلو على ظهره. ولما ذهبت الغزوة خرج فالتصقت به القصعة والدلو وأصبح سلحفاة.

ي - **الضب:** ويقول الصحراويون في أساطيرهم أن رجلاً اختبأ من رسول الله لأنه لا يريد الذهاب معه في غزوه فمسخه الله ضباً. والصحراويون يأكلون الضب.

وهناك حيوان آخر صغير في حجم القطة يسمى (كوكو) يعيش في جماعات. وينتصب أحدها للحراسة وترعى بقية المجموعة. وعندما يرى شيئاً يصيح فتفر المجموعة وهو يشبه الأرنب. ويربى في المنازل. وتنام مجموعاته الواحد فوق الآخر. وقد شاهدت بعضها في منطقة غات.

وهناك حيوان يشبه التمساح يسمى (الورل) يعيش في الصحراء وهو صغير الحجم تقول الأساطير الصحراوية إنه كان راعياً للغنم فغسل جسمه (بالميص) وهو الماء المصفّى من الحليب المجبن فمسخه الله (ورلاً). وقد شاهدت الورل يرضع الماعز ويتصارع مع الثعابين فيقتلها. ويستخدم ذيله للضرب. ويقول الصحراويون إن الرجل الذي يضربه الورل بذيله يصبح عقيماً فلا يلد. ولا أفهم ما علاقة ضربة ذيل الورل بالإنجاب.

وهناك الحرباء المعروفة، وأبوبريص وهو شبيهها، و(أبو كشاش) وكلها متقاربة في اللون والحياة.

9 ـ الهوام والزواحف:

يوجد في الصحراء أنواع من الثعابين، والأفاعي والعقارب، وأكثرها سام.

وأهل الصحراء يعالجون لسعة العقرب والأفعى بالتعاويذ والأحجية. فيحضرون فقيهاً للملسوع فيقرأ عليه شيئاً من القرآن فيشفى. وقد شاهدت ذلك بنفسي. والمرأة الصحراوية إذا وجدت عقرباً تقتلها وتحرقها وتخلط رمادها بالزيت وتُلحسه لولدها الصغير. وبذلك يكتسب مناعة ضد لسعة العقرب.

وهناك أنواع من الحشائش تؤكل عند لسعة العقرب ونهشة الأفعى فيشفى الملسوع. ويعرف هذه الحشائش بعض الصحراويين.

وهناك أنواع من الأفاعي والثعابين كبيرة الحجم يصطادها الصحراويون في منطقة الغابات ويسلخونها ويتخذون من جلودها حقائب وأحذية. وقد شاهدت ذلك في السودان والنيجر، ورأيت جلداً لثعبان طوله خمسة عشر متراً.

ويوجد في الأنهار (نهر صنهاجة ونهر النيجر ونهر النيل) التماسيح، والمواطنون يصطادونها ويتخذون من جلودها حقائب، ولكنها خطر على السابحين. كما يفترس التمساح الحيوانات التي تقترب من النهر للشرب.

ويعيش في الأنهار فرس البحر والحيتان الصغيرة وكذلك في البحيرات، بحيرة تشاد، وبحيرة ناصر.

وتوجد في الصحراء بعض الزواحف التي تجري على أرجل صغيرة. وهي صغيرة الحجم مثل (الغوّاصة) وهي تشبه الأفعى ولكنها بأرجل وتعيش في منطقة الرمال وتغوص فيها. ولهذا يسميها الصحراويون الغوّاصة. وتقول الأسطورة الصحراوية إن الغواصة تأكل من الرمل ملء كفها يوميّاً مخافة أن ينفذ الرمل اقتصاداً بها.

10 ــ الحشرات:

يوجد في الصحراء الكثير من الحشرات المعروفة محليّاً. وبعض الحشرات توجد في أماكن أخرى من غير الصحراء. وأهم الحشرات التي تتكاثر في الصحراء:

الجراد: وهو الحشرة المعروفة. ويتوالد في الصحراء ويأتي إليها كوباء يأكل الأخضر واليابس. ويتوالد متى وجد الأرض الرطبة المبلّلة بالماء.

ويطير الجراد في أسراب تغطي الشمس. ويقول الصحراويون إن للجراد قائداً (زميم) يطير إذا طار وينزل إذا نزل. وبعض الصحراويين يأكلون الجراد ويطبخونه بالماء والملح. ويجفّفونه ويؤكل لذيذ الطعم.

وهناك أيضاً الذباب المعروف. وهناك نوع منه يقلق الإبل في منطقة الغابات. فيُجن البعير منه ويقولون عنه (مذبوب) أي أصابه الذباب.

وهناك (الشعران) وهو ذبابة كبيرة ملونة حادة المنقار تؤذي الإبل والخيل والحمير والبقر.

وهناك ذبابة تسمى (النعرة) تلسع الحمير فيفرون منها. وترى الحمار يجري بدون هدف ويقفز في الهواء من ألم لسعاتها ويسقط المتاع الذي يكون على ظهره إن كان محمّلاً. وهناك حشرة مثل الذباب تسمى (الطقوق) تلسع البقر فينفر منها ويهرب.

ويوجد النحل في الصحراء. فتراه يتنقل بين الأزهار في فصل الربيع. ويتخذ من الجبال بيوتاً يضع فيها العسل. وتشاهد في مروج الأزهار الفراشات في فصل الربيع.

ومن الحشرات المضرّة بالإبل (القراد) وهو الحشرة المعروفة عربياً. فيقال في الأمثال (أسمع من قراد). ويقول الصحراويون (فرحة القراد) أي أنه يسرع لملاقاتك ليلسعك.

وهو يلتصق بجلود الإبل ليمتص دمها.

وعندما يكبر القراد يصبح (دلة) وهي حشرة مملوءة دماً، وإذا كثر في جسم البعير يسمى (الفنديس) وعلاجه أن يطعم البعير الملح.

وهناك ديدان تلتصق بأوراق الأشجار وعندما يأكلها البعير يمرض.

ولا يوجد بالصحراء البق والبراغيث. ولكن القمل يوجد بكثرة لقلة المياه والصابون.

ويوجد النمل في الصحراء، وهو نوعان: نمل صغير ونمل كبير الحجم. والنمل الكبير ثلاثة أنواع: نمل أسود ونمل أبيض ويسميه الصحراويون النمل (الفارسي) نسبة للفرس، ونمل أحمر ويسميه الصحراويون نمل النصارى لأنه أحمر مثلهم.

الفَصْل الثَالِث

أهمّ القبَائل العرَبيّة في الصحْراء



قال الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ...﴾.

صدق الله العظيم

تنتشر القبائل العربية على امتداد الصحراء الكبرى طولاً وعرضاً، فهم سكانها وحماتها، وحفرة آبارها، وشاقّو طرقها ورعاة أعشابها، وماتحو أمواهها.

في أفيائها تنتصب خيامهم شامخة هازئة بالأنواء تتحدّى الفناء وترسم على ضحاضيحها مياسم العرب منذ قرون مضت. وتلوح ديارهم على أديمها كباقي الوشم في ظاهر اليد. على قول الشاعر العربي.

يتنقل العرب على امتداد الصحراء، بل إن الكثير من القبائل العربية توغّلت جنوباً حتى دخلت مناطق الأدغال. فاختلطت بالزنوج تزاوجاً وتجاوراً وابتعد ما بينها وبين العرب في صحرائهم فاستبدلت لوناً أدكن من ألوانها ولغة أعجم من لغتها. وفعل الزمن فعاله في التباعد، وطرق المستعمر أوتاراً ساعده الزمن، فحال بين تلك القبائل وأصولها، وقطع عروق تغذيتها من معين لغة الضاد وثقافة أمة العرب وتراث أصول قحطان وعدنان. وهكذا تناست أصولها وتزنجت وأنشأت أصولاً جديدة ولغة جديدة جعلها المستعمر أصولها الحقيقية ولغتها الحقيقية. وهكذا أصبح النشء الجديد لا يعرف من أصوله القديمة إلا ما لقّنه المستعمر في نشراته ودورياته وكتابات مستشرقيه ومدارس بعثاته التبشيرية التي ملأت أفريقيا منذ أكثر من قرنين من الزمن.

وأصبحت بلاد السنغال التي هي تحريف لاسم (صنهاجة) القبيلة العربية الشهيرة تتنكر لعروبتها، التي تحتوي على أكثر من 60٪ من شعبها.

وتتنكر للغتها العربية التي كانت حتى عام 1910 هي اللغة الرسمية وذلك بقرار من الحاكم الفرنسي الذي ألغى اللغة العربية ورسم بدلها الفرنسية.

وكما السنغال، غينيا وغانا وساحل العاج وبوركينا فاسو ومالي والنيجر وبنين ونيجيريا، وغيرها من بلدان وسط الشمال الأفريقي وغربه.

وإن هذه البلدان تحتوي على أكثر من 90٪ من العرب بين سكانها في الغالب. ويكفي أن نعرف أن قبائل الهوسا (الحوصة) عربية الأصول ويتشكّل منها أغلب سكان النيجر ونيجيريا.

وإن قبائل الفلان من أصول عربية وهم غالبية سكان بوركينافاسو وبنين وغينيا، ولهم في نيجيريا والنيجر تواجد كبير. وكوّنوا الإمارات في المنطقة وساهموا في نشر الدين الإسلامي.

لقد أردنا في هذا البحث أن نسلّط الضوء على أهم القبائل العربية في منطقة الصحراء العربية الكبرى، مبتدئين بذكرها حسب تواجدها من الغرب إلى الشرق، ذاكرين أهم القبائل الكبيرة عدداً والمؤثرة تاريخياً، والأكثف سكاناً، والأشهر فعالية في المنطقة.

ونحن هنا لا نستطيع أن نذكر جميع القبائل العربية، فهي أكثر من أن يحصيها حاصٍ أو يذكرها ذاكر.

1 ـ قبيلة أعريب

هي مجموعة من القبائل العربية تسمى (أعريب) اشتهرت بصناعة الأسلحة والاتجار بها.

استقرت بجنوب الجزائر حول منطقة (بشار) وكذلك بجنوب المغرب حول مدينة (إقليميم)، ومنها بعض الأسر بصحراء مالي والنيجر وبصحراء موريتانيا.

ولقبيلة (أعريب) فرع كبير بمنطقة برقة بليبيا يسمى (العريبات).

وقد قاومت قبيلة (أعريب) الاستعمار الفرنسي حين دخوله للجزائر، وساهمت بدعم القبائل العربية في المنطقة بالأسلحة.

ولما انتصر الاستعمار الفرنسي على المقاومة في الجزائر نكل بقبيلة (أعريب) وقتل أكثر رجالها وفر الباقون وتشتتوا في المناطق.

أما قسمها الموجود بليبيا، فقد ساهم في مقارعة الاستعمار الإيطالي عندما هاجم الإيطاليون ليبيا عام 1911.

2 ـ قبيلة تكنه

هي إحدى القبائل العربية الكبرى في المغرب العربي. تقطن قرب شاطىء المحيط الأطلسي في (وادي نون) و(إقليميم) شمال الساقية الحمراء، وتتحرك في صحراء جنوب المغرب وجنوب غرب الجزائر، ولها النفوذ والسيطرة على المناطق التي تتحرّك فيها بحيواناتها وخيامها.

وتنقسم قبيلة تكنة إلى:

1 ـ الزرقيون.

2 ـ آيت لحسان.

3 ـ آيت الجمل.

4 ـ آيت أوسا.

5 ـ الايقوت.

6 ـ آيت ابراهيم.

7 ـ آيت مسعود.

8 ـ آيت حمو.

9 ـ آيت سعيد.

10 ـ لعبيدات.

وكلمة (آية) أو (آيت) تعني عائلة وهي مختصرة. وتعتبر قبيلة (تكنه) من القبائل القوية والكثيرة العدد في غرب الصحراء. ولها مفاوضات واتصالات مع الإنكليز في سنوات 1836 وما بعدها. وقد منعوا التوغل التجسسي الإنكليزي والإسباني والفرنسي في المنطقة. وقد استطاع شيخ تكنه المسمى (بيروك) أن يعقد معاهدات مع الإنكليز ومع الفرنسيين دون الرجوع إلى أحد وذلك لمنحهم موانىء في المنطقة للصيد والتبادل التجاري في (وادي نون) و(بوالجدور).

وكان أفراد قبيلة تكنه تجاراً بطبيعتهم ينظمون قوافل التجارة جنوباً للسنغال وشمالاً للمغرب.

وعندما هاجمت فرنسا الأراضي الصحراوية (موريتانيا) وقفت قبيلة تكنه مع الشيخ ماء العينين تصد العدوان تحت قيادته.

وعندما انتهت المقاومة زحفت هذه القبيلة للشمال حيث استوطنت جنوب المغرب. ويقول بول مارتي:

«.. ولا توجد طبقات اجتماعية في التكنه مثلما هو الشأن عند القبائل الموريتانية. فالكل يعيشون على قدم المساواة..».

ويقول أيضاً:

«.. إنهم تجار بالطبيعة..».

ويقول أيضاً:

«.. وتوجد موانىء التكنه حالياً - إذا صح أن نطلق عليها هذا الاسم - في كل الخلجان الموجودة من إيفني حتى مصب (وادي الشبيكة). تقوم البواخر الأوروبية باستغلال القوارب لتنزل على الشاطىء الأسلحة والذخيرة والأقمشة القطنية والأرز والسكر والشموع.. إلخ. ولا يستورد الملح الذي يجده الأهالي في السباخ المجاورة. وتشحن البواخر الجلود والأصواف واللحوم الطازجة وريش النعام والذهب. ولا توجد قرى على الساحل بل مضارب في بعض الفصول..»[1].

وقد وجدت في شجرة نسب لقبيلة تكنه انتمائها لمحمد الحنفية[2].

3 ـ قبيلة أولاد دليم

قبيلة عربية تنتمي إلى بني هلال في هجرة العرب الأخيرة وتسمى باسم جدها الملقب بـ (دليم)، وذلك كما تقول الرواية الشفهية أنه كان صغير الحجم وابن أمة صغيرة الجسم دميمة يلقبونها بـ (دليمة) ولما ولدته قالوا إن الدليمة ولدت (دليم) فعلق الاسم به.

ودليم هذا ابن حسان الذي تنسب إليه أغلب القبائل العربية في الصحراء الكبرى (بنوحسان) وتنتقل قبائل أولاد دليم على الشريط الساحلي للمحيط الأطلسي عند مصب وادي الساقية

(1) بول مارتي: قبائل موريتانيا العليا.

(2) أنظر: وثيقة شجرة نسب تكنة في ملحق الوثائق.

الحمراء. وقد يتوغلون شمالاً في جنوب المغرب، ولهم مجموعات هناك، ولهم فروع في شمال موريتانيا الحالية.

وقبيلة أولاد دليم من القبائل العربية المحاربة القوية التي لها نفوذ كبير في المنطقة.

وتنقسم إلى تجمعين كبيرين، هما:

أ ـ أولاد الرميث.

ب ـ أولاد الشويخ.

وينقسم التجمع الأول، أولاد الرميث، إلى:

1 ـ اللوديكات.

2 ـ السراخنة.

3 ـ أولاد خليفة.

4 ـ أولاد تيقدي.

5 ـ أولاد بن عمار.

ويتبعهم وليسوا منهم:

1 ـ أولاد تدرارين. وهم ينتسبون للأنصار.

وينقسم أولاد الشويخ إلى:

1 ـ أولاد اللاب.

2 ـ أولاد ممالجة.

3 ـ دكّون.

4 ـ أولاد محيمد.

وتنقسم كل قبيلة من هذه القبائل إلى فروع صغيرة وأفخاذ.

وقد اصطدم أولاد دليم بالقوات الفرنسية الغازية للصحراء وقاتلت تحت راية الشيخ ماء

العينين وابنه أحمد الهيبة، ولما ضايقتهم فرنسا رحلوا إلى الشمال مع الشيخ أحمد الهيبة واستقر أكثرهم في جنوب المغرب.

ويقول بول مارثي:

«.. واشتد التوتر تماماً في عام 1913 حيث بدأ أولاد دليم القتال صراحة ضد الفرنسيين مستجيبين لنداء (الأغظف) خليفة الهيبة في الصحراء الموريتانية ومربيه ربُّو شقيقه. وكان عدد كبير من مقاتليهم في صفوف الحرس الأزرق للهيبة الطموح. فتارة توجد قواتهم في (البويرات) 1913/1/10 وأخرى في وادي (تقلبات) 1913/3/10، حيث بقي كثيرون منهم في هذا المكان..»[1].

ويزاول أولاد دليم تربية الحيوانات وخاصة الإبل والتجارة. وكانوا يغيرون على القبائل الأخرى لاستياق الإبل، كما كانت عادة العرب قديماً.

وأولاد دليم مقاتلون أشداء. وتوجد بمنطقة فزّان بجنوب ليبيا قرية تسمى (دليم) لا أدري إن كان لها علاقة بأولاد دليم أم لا. ولهم فخذ كبير من أولاد دليم بالعراق.

4 ـ قبيلة أولاد بوالسباع

قبيلة عربية قوية تقطن مناطق الساحل على المحيط الأطلسي عند الساقية الحمراء.

اشتهرت هذه القبيلة بالفروسية والشجاعة، والغارات على القبائل المجاورة.

تصادم أولاد بوالسباع مع الرقيبات فأجلوهم إلى الشمال حيث استقروا بجنوب المغرب.

وتروى الكثير من القصص والنوادر عن حب أولاد بوالسباع للفخر والاعتزاز بالنفس.

ولهذه القبيلة فروع في تونس وليبيا (السبعة) ويقطن مجموعات منها في منطقة (اقجوجت) شمال موريتانيا، كما يقطن بعضهم شمال وادي درعة بجنوب المغرب.

5 ـ قبيلة أولاد شبل

قبيلة عربية، يقطن جزء منها في الصحراء الغربية (موريتانيا ويسمون (شبل) وجزء منها في

---

(1) بول مارثي: قبائل موريتانيا العليا.

شمال مالي وأصبحت تتكّلم اللهجة العربية التارقية وتحسب منهم ويسمّونه (شبل) ولهم جزء في ليبيا في قرية شكشوك غربي طرابلس وهم إخوة أولاد بوالسباع.

وفي الجزيرة العربية (آل شبل) بطن من بني مهدي بالبلقاء بالشام[1].

6 ـ قبيلة الرقيبات

أشهر القبائل العربية في الساقية الحمراء ووادي الذهب وجنوب المغرب وجنوب غرب الجزائر وشمال موريتانيا.

تنتمي هذه القبيلة إلى جدها أحمد الرقيبي الذي قيل إنه سمي (الرقيبي) لأنه اشترى الساقية الحمراء بملء جلد رقبة بعير ذهباً. ويقول البعض إن اسمه جاء نسبة لمنطقة (الرقيبة) الواقعة في شرق موريتانيا. وتروى الكثير من الأساطير عن سبب التسمية. ولكن الكل يتفق على أن سيدي أحمد الرقيبي ينحدر بنسبه إلى عبد السلام بن أمشيش جد الأشراف في المغرب.

وتنقسم قبائل الرقيبات إلى قسمين كبيرين:

أ ـ رقيبات التل (الشمال).

ب ـ رقيبات الساحل (الغرب).

وتضم المجموعة الأولى قبيلة القواسم.

أما المجموعة الثانية، رقيبات الساحل، فتضم:

1 ـ أولاد موسى.

2 ـ السواعد.

3 ـ الرحالات.

4 ـ أولاد الشيخ.

5 ـ أولاد داود.

6 ـ أولاد طالب.

وتنقسم كل قبيلة من هذه القبائل إلى فروع وأفخاذ لا داعي لذكرها خوف الإطالة.

---

(1) أنظر: نهاية الإرب، للقلقشندي.

وتعتبر قبيلة الرقيبات من أقوى القبائل في منطقة الصحراء الغربية. وتملك ثروة طائلة من الإبل. يقول الفرنسيون عند وصولهم للصحراء 1912 إن الرقيبات يملكون 30,000 رأس من الإبل.

وتمتهن قبائل الرقيبات الإغارة على القبائل المجاورة لاستياق الإبل. وتصل في غاراتها إلى بلاد السنغال وإلى شمال مالي (تبنبكتو).

وللرقيبات عداوات تقليدية مع قبائل أولاد غيلان وأولاد بوالسباع والكنته.

وقد انضوت الرقيبات تحت راية الشيخ ماء العينين للجهاد ضد فرنسا. وقد اتخذ الشيخ ماء العينين إقامته في مدينة السمارة حيث يتواجد الرقيبات. وقد برز من الرقيبات مجموعة من أبطال الجهاد أمثال علي ولد ميارة الذي استشهد مع العشرات من الرقيبات في معركة (أم التونسي) شمال موريتانيا عام 1934.

ولما قرّر الشعب الصحراوي الانتفاضة ضد الإسبان عام 1973 كانت قبيلة الرقيبات على رأس الثوار الصحراويين الذين ثاروا ضد إسبانيا في المنطقة. وكان الولي مصطفى السيد على رأس الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب وكان يدعى (الولي الرقيبي).

واستطاعت قبائل الصحراء الغربية أن تخرج إسبانيا من الصحراء في 27 فبراير/ شباط 1976 بمساعدة الثورة في ليبيا.

ويتواجد الرقيبات بجنوب المغرب، وفي منطقة تيندوف بالجزائر، وفي بئر أم قرين وصحراء تيرس بموريتانيا وبالساقية الحمراء ووادي الذهب.

ويوجد للرقيبات فرع بليبيا بمنطقة ترهونة وفي تونس. وكذلك بأرتريا فرع ضمن قبائل بني عامر، وفي السودان مع قبائل جهينة.

7 ــ قبيلة أولاد يحيى بن عثمان

قبيلة عربية تنحدر في أصولها إلى جعفر بن أبي طالب والملقب بجعفر الطيار. وتتخذ من مدينة (أطار) شمال موريتانيا مقرّاً لها، حيث كونت إمارة فيها.

وتتكوّن هذه القبيلة من عدة أفخاذ، أهمها:

1 ـ أولاد الجعفرية، وهم أولاد عمنى وأولاد أكشار.

2 ـ أولاد غيلان الذين ينقسمون إلى:

أ ـ الطرش.

ب ـ أولاد سلمون.

جـ ـ أهل مانت.

د ـ نغموشة.

هـ ـ أولاد سلّة.

وتسمى إمارة أولاد يحيى بن عثمان إمارة (أدرار)، وينضم إليها بعض القبائل العربية الأخرى والتي ليست منها، وهي:

1 ـ العويسات.

2 ـ أولاد بولحية.

3 ـ الطرشان.

وقد كوّنت هذه القبيلة إمارتها على غرار الحكومات الصغيرة في الشمال الأفريقي حيث شكلت لها إدارة وجيشاً ومستشارين وأتباعاً. ويشكّل مجلس الأعيان السلطة التشريعية في الإمارة.

وقد وقفت قبائل (أدرار) أولاد يحيى بن عثمان وإمارتهم سدّاً منيعاً ضد الفرنسيين حينما تقدموا لاحتلال الصحراء. ووقعت بينهم عدة معارك شهيرة التي أدت أخيراً للقبض على أمير أدرار وسجنه. ولما أطلق سراحه عاد للثورة فقتل في إحدى المعارك[1].

8 ـ قبيلة السماسيد

وهي قبيلة عربية تقطن المنطقة القريبة من أطار، وتنسب لجدها (شمس الدين).

ومن السماسيد فخذ أهل الطائع يقولون إنهم شرفاء، ومستقرهم قرية (عين أهل الطائع) جنوب أطار بمسافة قصيرة.

وتنقسم السماسيد إلى فخذين، هما أولاد بوعبد الله وأولاد إسحاق. ويرجعون بنسبهم إلى

(1) أنظر كتاب: أعلام من الصحراء، للمؤلف.

الحسن بن علي رحمه الله. ومن قبيلة السماسيد العالم الكبير سيدي بن خليل[1].

9 ـ قبيلة كنته

قبيلة عربية شهيرة، تتواجد في الصحراء الكبرى من موريتانيا إلى النيجر وإلى جنوب الجزائر.

ينتهي نسبها إلى عقبة بن نافع فاتح أفريقيا ومؤسس مدينة القيروان. وقد اطلعت على شجرة نسب لكنته توردهم إلى سيدي علي بن يحيى بن عثمان بن عبد الله الملقب بيهس بن عمر الملقب دومان بن وريد الملقب شاكر بن يعقوب بن العاقب بن عقبة بن نافع الفهري.

ولقد عاش سيدي علي في بداية القرن الخامس عشر الميلادي[2].

وتشتهر قبيلة كنته بالعلم والورع والتقوى ونشر الإسلام في المناطق الأفريقية المتاخمة لها.

وتنقسم هذه القبيلة الكبيرة ـ والتي جاءها هذا الاسم من جدها لأمها محمد بن كنته ابن زم من قبيلة ايدوكال التارقية ـ تنقسم إلى القبائل التالية:

1 ـ أولاد الوافي.

2 ـ أولاد بوسيف.

3 ـ أولاد بونعامة.

4 ـ أولاد أحمد الرقاد.

5 ـ أولاد سيدي حبيب الله.

6 ـ أولاد الشيخ بوحامية.

7 ـ أولاد سيدي بادي المختاتير.

8 ـ أولاد الهاملي.

9 ـ أولاد الأزرق.

---

(1) أنظر: بحث سيدي بن خليل، حياته العلمية، إعداد الطالبة زينت بنت يرو، إشراف الدكتور يحيى معلوم، بحث لنيل التبرز، جامعة نواكشوط.

(2) بول مارتي: كنتة الشرقيون.

10 ـ أولاد المصطفى.

11 ـ أولاد أحمر الركاب.

12 ـ النقظ.

13 ـ أولاد سيدي أبو بكر.

14 ـ أولاد الشيخ سيدي المختار.

15 ـ أولاد بنعمر.

وجميع هذه القبائل تنقسم إلى أفخاذ وبطون. وهي موزّعة ما بين موريتانيا والمغرب والجزائر ومالي والنيجر وحتى نيجيريا والسنغال.

وأغلب الكنتيين شيوخ طرق لهم أتباع في أفريقيا والسنغال ونيجيريا وسيكوتو. ولهم أولاد وأسر في أفريقيا من نساء زنجيات بقوا زنوجاً ولكن بحنين عربي وانتماء عربي.

وفي ليبيا فرع لأولاد الوافي من قبيلة كنته يتواجد بمنطقة براك الشاطىء بفزّان ويسمون أولاد الوافي.

وإلى جانب القبائل الصميمة في كنته هناك مجموعات من القبائل المنضمة تحت جناحها وتحسب منها، وأهمها:

1 ـ **قبيلة أهل السيد:** وهم أبناء امحمد بن السيد من أولاد البقار إحدى قبائل أولاد بوالسباع من الساقية الحمراء.

2 ـ **أولاد ملوك:** وهم أهل الحبيب وأولاد عامر الذين نزحوا من موريتانيا بسبب خلاف لهم مع أبناء عمومتهم مشظوف.

3 ـ **أولاد مشظوف:** فرع من القبيلة المذكورة في موريتانيا نزح فرع منها إلى تينبكتو واستوطن المنطقة تحت حماية كنته.

4 ـ **فلاّن:** جزء من قبيلة الفلان المشهورة والتي يرجع نسبها إلى حمير. استوطنت المنطقة مع كنته وتتلمذ رجالها على علماء كنته مثل الشيخ أحمد بن عثمان الذي تتلمذ على الشيخ باي ويرثيه بعد موته بقصائد مطولة، منها:

والنفس بين الخافقين تناقلت
والقلب أصبح يا له متضرما

مما به تعساً له الناعي نعى
ما إن نعاك بمثله ناعي صمى

لا بارك الله له في نعيه
لقد استفز به القلوب وأقصما

وقد أنجبت كنته مجموعة كبيرة من العلماء في المنطقة الذين ساهموا في نشر الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن الكريم وأصول اللغة العربية، وأهمهم:

1 - **الشيخ سيدي المختار الكبير،** الذي أسس مدرسة علمية في تينبكتو ما زالت نبراس علم في المنطقة حتى الآن.

2 - **الشيخ محمد ولد سيدي المختار الكبير،** سار على نهج والده وهو مؤلف كتاب (الطرائف والتلائد في أخبار الشيخين الوالدة والوالد).

3 - **الشيخ أحمد البكاي،** مؤسس الطريقة البكائية التي لها فروع ومريدون في السنغال ونيجيريا وجنوب الصحراء.

4 - **الشيخ سيدي حبيب الله.**

وغيرهم كثيرون منتشرون في بلاد أفريقيا وعلى امتداد الصحراء الكبرى ينشئون المدارس العلمية ويحافظون على القرآن الكريم وحفظه ويعلّمون الناشئة أصول الفقه والشريعة وقواعد اللغة العربية.

وما زالت خيام الصحراء تزخر بمخطوطات مشايخ كنته في الفقه والحديث وأصول الدين وغيرها، وكذلك دواوين الشعر الفصيح التي تركها شعراء وعلماء كنته. وهي قبيلة معتدة بنفسها، فخورة بكرامتها وأصولها، لها في الكرم قدم راسخ تعترف لها به جميع القبائل في المنطقة.

10 ـــ قبيلة الأغلال

قبيلة عربية تقطن منطقة (شنجيط). اشتهر أهلها بالعلم والورع والتقوى. ونبغ منهم شعراء وعلماء. يوجد من هذه القبيلة فخذ كبير في منطقة الحوض شرقي موريتانيا، وفخذ آخر كبير في شمال النيجر قرب منطقة (طاوة) و(شين براضن) انضم للتوارق وبدأ يتحدث اللهجة التارقية

يسمى (كل أغلال). ومن كل أغلال دائماً أئمة المساجد والقضاة في شمال النيجر وكذلك الإمام في السلطنات التارقية[1].

11 ـــ قبيلة أهل بارك الله

وهي قبيلة عربية صغيرة تسكن منطقة الساقية الحمراء وموريتانيا، يشتغل أهلها بالعلم والتدريس، منهم صديقنا الصحافي السياسي أحمد بابا مسكة.

12 ـــ قبيلة الزراهنة

قبيلة عربية كبيرة تحوي عدة أفخاذ وبطون يتواجد ثقلها البشري في صحراء جنوب الجزائر وشرق المغرب. ولها فروع في صحراء مالي وصحراء النيجر.

وقد التقيت بمجموعات منهم في جمهورية مالي.

13 ـــ قبيلة أداو يعقوب

قبيلة عربية تقطن في منطقة وادي الذهب وشمال موريتانيا يقال لهم (اليعقوبيون) ينحدر نسبهم من جعفر الطيار. نبغ منهم شعراء وعلماء من أشهرهم امحمد بن محمد بن المختار الفغ موسى اليعقوبي صاحب القصيدة الجيمية الشهيرة في الصحراء والتي يعارض فيها قصيدة الشماخ بن ضرار والتي يقول في مطلعها:

تطاول ليل النازع المتهيج
أما لضياء الصبح من متبلّج

ولا لظلام الليل من متزحزح
وليس لنجم من ذهاب ولا مجي[2]

ومنهم أيضاً مولود بن أحمد اليعقوبي علاّمة لغوي وشاعر مفلق.

ولأولاد يعقوب فرع في تونس. وفرع كبير في ليبيا بمنطقة غريان وبها قبر أحد أجدادهم أحمد بن يعقوب. وكذلك في صرمان والجميل بليبيا.

---

(1) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

(2) أنظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لمحمد الأمين الشنقيطي.

14 ـ قبيلة أولاد الحسن

أو

أداو بالحسن

قبيلة عربية يرجع نسبها إلى الحسن بن علي عليه رضوان الله. تقطن منطقة موريتانيا وبعضها بالمغرب.

نبغ منها علماء وشعراء وفطاحل في الأدب، منهم: عبد الله بن أحمد رام البوحسني الذي كان من أهم وأشهر شعراء الصحراء. وهو القائل:

أما والغواني من أناة وناهد
وما طاب من أيامها والمعاهد

وما لذ للعينين من بشراتها
وللسمع قدماً من حديث الخرائد

لقد نزلت أرضاً أميمة منزلاً
من القلب لم تظهر به عين رائد

وكذلك الشاعر محمد بن السالم وكذلك الشاعر عبد الله الأحول ومحمد بن حنبل ومحمد بن لحظان وغيرهم[1].

ويقول القلقشندي «الحسنيون بطن من العلويين من بني هاشم العدنانية وهم بنو الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه»[2].

15 ـ قبيلة أداو علي

أو

أولاد علي

قبيلة عربية مشهورة في صحراء موريتانيا ترجع بنسبها إلى سيدنا علي بن طالب كرّم الله وجهه ويربطون صلتهم بدولة العلويين في المغرب.

---

(1) أنظر: الوسيط، المصدر السابق.

(2) القلقشندي، المصدر السابق، ص 125.

لهم صولات وجولات في الصحراء. شديدو البأس نبغ منهم الشعراء والعلماء والفقهاء، أمثال:

عبدالله بن محمد العلوي الشاعر، وبابا بن أحمد بيبنه الشاعر، وسيدي عبدالله العلوي وغيرهم.

ولقبيلة أولاد علي معارك مع القبائل المجاورة لها والحرب بينهم سجال.

والصحراويون يتندرون بسرعة انفعال العلوي وأنه لا يحتمل الإهانة وهو سريع الرد لذلك.

16 ـ قبيلة أولاد أحمد بن دامان

قبيلة عربية تقطن صحراء موريتانيا الجنوبية. أسست إمارة في جنوب الصحراء الغربية (موريتانيا) عرفت باسم إمارة (البراكنة) بعد معارك وتطاحن مع القبائل المنافسة لها. وتنقسم هذه القبيلة إلى عدة قبائل، أهمها:

أولاد الساسي وهم إخوة أولاد أحمد بن دامان وكذلك أهل عتام. وأهل عبّلّ وأهل اقمتّار وجميعهم إخوة أولاد أحمد بن دامان. إلاّ أن أولاد أحمد بن دامان هم الشيوخ ولديهم الرئاسة. وإمارة (البراكنة) من الإمارات التي اعتمد عليها الفرنسيون في تقدّمهم عند احتلالهم لموريتانيا مثل إمارة (الترارزه)، وقد عقدت هذه الإماراة اتفاقيات مع الفرنسيين.

17 ـ قبيلة أولاد ديمان

قبيلة عربية تقطن في المنطقة المتاخمة لنهر (صنهاجه) (السنغال) في الجنوب الموريتاني. لها اهتمام زائد بالعلم وشؤون الدين وحفظ القرآن.

زرتها عام 1972 وقابلت كهلاً من كهولها في خيمته وتحدثت معه، فكشف الحديث عن بحر زاخر من العلم والأدب والحفظ.

وقبيلة أولاد ديمان يضرب بها المثل في الصحراء في برودة الأعصاب وعدم الغضب لدرجة لا توصف. ويحكون عنها القصص والنوادر.

ومن شعراء أولاد ديمان، محمد سعيد الديماني وله عدة تآليف في النحو وقصائد في مدح الرسول ﷺ.

ومنهم محنض بابا بن عبيد الديماني عالم من علماء الصحراء ومدرس للطلاب وشاعر مجيد[1].

18 ـ قبيلة أولاد بييري

قبيلة عربية تقطن إلى الجنوب الشرقي من مدينة أنواقشوط حول بلدة (أبو تليميت). قدم إليها الشيخ سيديا الكبير فرفع من شأنها وأصبحت هذه القبيلة قبلة الدارسين والباحثين عن العلم.

ويضرب الصحراويون الأمثال بغفلة أولاد بييري وبفهمهم، فيقولون:

«قاضي أولاد بييري»[2].

ولو أن ذلك أصبح من التراث. فأولاد بييري اليوم من القبائل المشهورة بالعلم والمعرفة.

وأصبحت مدرسة أبو تليميت الدينية محج طالبي العلم والمعرفة[3].

والرئيس الأسبق لموريتانيا مختار ولد داداه من هذه القبيلة. وله مواقف عربية جيّدة يذكرها له التاريخ.

19 ـ قبيلة كل انتصر

قبيلة عربية ترجع في نسبها إلى الأنصار بالمدينة المنورة. نزحت من الجزيرة العربية أيام فتنة علي ومعاوية معتزلة الحرب. وسكنت منطقة تينبكتو شمال مالي، واختلطت بقبائل عرب التوارق وأصبحت تارقية.

وتنقسم القبيلة كل انتصر إلى عدة قبائل، أهمها[4]:

أ ـ **كل انتصر الغربيون**، ويضمون:

1 ـ أبو بكر.

2 ـ حمات الطاهر.

---

(1) أنظر: الوسيط، المصدر السابق.

(2) أنظر: الأمثال الشعبية في الصحراء، للمؤلف.

(3) أنظر: الوسيط، المصدر السابق.

(4) أنظر: (كنتة الشرقيون) تأليف بول مارتي، تعريب محمد محمود ولد دادي.

3 ـ الحسن.

4 ـ محمد انقونا.

5 ـ محمد مولود.

6 ـ الطاهراق المهدي.

7 ـ حماداق علي.

8 ـ الشرفاء.

9 ـ كل تجابس.

10 ـ اينتا بن الواف.

11 ـ ايدنان.

12 ـ كل تاشرير.

13 ـ كل اروزيل.

14 ـ كل رزاف.

15 ـ بانكور.

16 ـ ايدككامن.

17 ـ اينتا بن هانييونفو.

18 ـ كل تينتوهن.

19 ـ كل انتابوريمت.

20 ـ كل دوكوتر.

21 ـ كل انتجايت.

22 ـ كل تنبوكرى.

23 ـ كل ابو كحك.

21 ـ كل إينوكوندر.

ب ـ كل انتصر الشرقيون:

1 ـ كل أحمد طال

2 ـ كل هندا هندا.

3 ـ كل إيكومن.

4 ـ كل انطرشاون.

5 ـ كل امقشارن.

6 ـ كل إينا بلجين.

7 ـ كل غزان.

8 ـ كل اينا قوزم.

9 ـ كل عبيدان.

10 ـ كل اتنولك.

11 ـ كل انديارن.

وقد اشتهرت قبيلة الأنصار بالعلم والأدب والثقافة الواسعة، وبرز منهم علماء وشعراء[1].

وقد اشتهرت قبيلة الأنصار بمصادمتها للفرنسيين وسقط منهم عدة شهداء.

كما كانت دائماً تواقة للحرية فقادت ضمن القبائل الأخرى الانتفاضات ضد الحكام المستبدين في مالي مثل (موديبوكيتا) و(موسى تراوري).

وكان أمير الأنصار إلى عهد قريب محمد بن علي الأنصاري الذي سجنته حكومة مالي عام 1963 وأفرج عنه عام 1978، وهو الآن لاجىء بالمغرب وعمره جاوز المائة سنة، وللأنصار فروع في غدامس وغات وزواره بليبيا وكذلك قبيلة الفضول بجنوب ليبيا.

20 ـ قبيلة البرابيش

قبيلة البرابيش قبيلة عربية كبيرة تسيطر على شمال غرب مالي. وتكوّن كونفدرالية كبيرة تنضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من القبائل.

وأهم قبائل البرابيش:

1 ـ أولاد يعيش.

2 ـ أولاد غنام.

3 ـ أولاد سليمان.

---

(1) أنظر: أعلام من الصحراء، للمؤلف.

4 ـ أولاد عمران.

5 ـ أولاد شبل.

6 ـ أولاد سعيد.

7 ـ أولاد أحمد.

8 ـ أولاد عمر.

9 ـ أولاد إدريس.

10 ـ المحافيظ.

وتنقسم كل قبيلة من هذه القبائل إلى مجموعة من القبائل الأصغر منها. ولهذه القبائل فروع في مناطق أخرى من الصحراء.

فأولاد سليمان يقولون إنهم قادمون من ليبيا وهم فرع من قبيلة أولاد سليمان المتواجدة في مناطق سرت بوسط ليبيا. وقبيلة المحافيظ يقولون إنهم إخوة قبيلة أولاد علي المتواجدين في الصحراء الغربية لمصر والشرقية لليبيا.

وأولاد سعيد لهم فرع في تونس.

وأولاد غنام هم إخوة قبيلة الغنانمة المقيمة بمنطقة يفرن بليبيا بالجبل الغربي.

وأولاد شبل هم إخوة أولاد شبل المقيمين بقرية شكشوك.

وإلى جانب هذه القبائل هناك قبائل أخرى مع البرابيش، أهمها:

1 ـ **أولاد بو خصيب:** الذين ينحدرون من جدهم خصيب بن عباد أحد ولاة المأمون على مصر والذي مدحه أبو نواس بقوله:

هذا الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر

وعندما قبض المأمون على الخصيب وصلبه أوصى لأولاده بالهروب غرباً فتوغلوا في الصحراء ووصلوا إلى صحراء مالي الحالية.

2 ـ **رقان:** وهي قبيلة كبيرة ومفردها رقاني.

3 ـ **السكاكنه:** وتنضوي تحتها ثلاث قبائل (أهل بوصبيع وأهل الكيني. وأهل كيجاجا).

4 ـ **أهل أروان:** ويتكونون من عدة قبائل، أهمها[1]:

أ ـ بنو سيدي أحمد بن صالح.

ب ـ بنو أحمد بن أير.

جـ ـ الحية.

د ـ أولاد بهده.

هـ ـ النواجى.

و ـ الوسره

ز ـ تجكانت.

5 ـ أهل بو جبيهه.

6 ـ أهل تاودني.

7 ـ أولاد بنو هنده.

8 ـ اديلبه.

9 ـ ترمز.

وهذه القبائل جميعها تكوّن كونفدرالية البرابيش في المنطقة منذ مئات السنين.

ويعدّد بول مارتي في كتابه (من عرب مالي. البرابيش بنو حسان) قبائل البرابيش بسبعة وخمسين قبيلة كلها تسمى (البرابيش).

ومن المعروف تاريخياً أن شيخ البرابيش السليماني المسمى أحمد ولد عبيده هو الذي قتل الجاسوس الإنجليزي (الماجور لينج) عام 1826 قرب تينبكتو وسبّب مشكلة سياسية كبيرة بين حكومة يوسف القره مانلى في طرابلس الغرب والحكومة البريطانية، مما تم بسببها إسقاط وزير الخارجية الليبي حسونه الدغيس الذي اتهمه القنصل البريطاني بالتحريض على مقتل لينج وإخفاء أوراقه وتسليمها للقنصل الفرنسي الأمر الذي دعا حسونه الدغيس الطرابلسي للاستقالة والذهاب إلى لندن ليعرض مشكلته وبراءته أمام مجلس العموم البريطاني في حديث طويل[2].

---

(1) أنظر: مخطوط نبذة من تاريخ أروان للشيخ أبي الخير عبد الله الأرواني، مخطوط.

(2) أنظر كتاب: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، عبد الجليل التميمي.

وأثناء وصول الفرنسيين للمنطقة هب البرابيش تحت زعامة شيخهم محمد ولد امحمد لقتال الفرنسيين ثم من بعده ابنه الخليفة[1].

والبرابيش يمتلكون ثروة هائلة من الإبل. ولو أن الجفاف قضى على جلها.

وفي منطقة أروان تعيش الكثير من الأسر من أصل مغربي من سجلماسه ومن منطقة توات بجنوب الجزائر. ومن غدامس بليبيا قدموا إليها كتجار ثم استوطنوها[2].

21 ــ قبيلة إفوغاس

قبيلة إفوغاس قبيلة عربية ترجع بنسبها إلى الحسن بن علي رضي الله عنه[3].

وكلمة إفوغاس بلهجة التوارق تعني (أشعل النار) وتقطن هذه القبيلة منطقة (كيدال) شمال مالي في المنطقة الجبلية التي تقع قرب الحدود الجزائرية (أدغاغ).

وهي قبيلة محاربة، شديدة المراس، لها صولات وجولات في التاريخ العربي الإسلامي في المنطقة.

وتنقسم قبيلة إفوغاس إلى عدة قبائل وأفخاذ[4].

وعند وصول الفرنسيين إلى المنطقة وقفت قبيلة إفوغاس تقاتلهم ببسالة. كما وقف رجالها ضد التغلغل التجسسي المسيحي طيلة القرن الماضي.

وفي عام 1963، بعد خروج الفرنسيين من مالي، قادت هذه القبيلة تمرداً ضد حكم الرئيس المالي (موديبوكيتا) واستمر هذا التمرد أكثر من سنة. ولم ينته إلاّ بعد أن قبض موديبوكيتا على رأس القبيلة الأمير زيد بن الطاهر وأودعه السجن مع مجموعته القيادية. وأقصاه عن رئاسة القبيلة وعيّن أخاه انتاالله الطاهر الذي لا يزال على رأس القبيلة حتى الآن.

ولقبيلة إفوغاس فرع في ليبيا في منطقة غدامس. وفي السنوات الأخيرة قادت قبيلة إفوغاس انتفاضة ضد الرئيس المالي (موسى تراوري) وساهمت في إسقاطه. وقد فشل في إنهاء الانتفاضة بالقوة بل وانتقلت إلى وسط البلاد وإلى العاصمة.

---

(1) أنظر كتاب: (البرابيش)، بول مارتي. وكذلك كتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، للمؤلف.

(2) أنظر مخطوط: نبذة من تاريخ أروان، للشيخ أبي الخير بن عبد الله الأرواني.

(3) شجرة نسب افوغاس.

(4) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

ولا تزال مشكلة الشمال قائمة حتى كتابة هذه السطور. ولو أن هناك بعض الاتفاقيات لإنهاء المشكل مع الحكومة والاعتراف بحقوق عرب الصحراء والكف عن اضطهادهم.

22 ـ قبيلة لمتونة

قبيلة لمتونة هي القبيلة العربية الشهيرة التي كوّنت نواة دولة المرابطين في الصحراء الكبرى والمغرب والأندلس.

وقبيلة لمتونة تنتمي إلى قبيلة حمير اليمانية. ويعد قسم كبير منها حالياً في قبائل عرب التوارق. أما القسم الأكبر، فهو عربي اللسان والثقافة يساهم في نشر الدين الإسلامي وازدهار اللغة العربية في المنطقة وخاصة في موريتانيا.

ويتواجد القسم الآخر التارقي في بوركينا فاسو والنيجر وشرق مالي ويسمّى (والليمدن) والتي كونت سلطنة بعد اضمحلال دولة المرابطين. ولما وصل الفرنسيون إلى المنطقة وقفت قبيلة لمتونة تقارع الاستعمار سنوات طويلة وسقط سلطانها (فهرون بن الأنصار) شهيداً في إحدى هذه المعارك، كما سقط مئات القتلى والشهداء.

وبعد انتصار الفرنسيين في معاركهم واحتلالهم للبلاد قسموا سلطنة والليمدن إلى مشيخات صغيرة ووضعوا على رأسها شيوخاً موالين لفرنسا[1].

وقبيلة لمتونة موريتانيا يقولون إنهم أحفاد أبو بكر بن عمر أمير المرابطين الذي أسقط مملكة غانا، والذي يعتبر المؤسس الأول للمرابطين في الصحراء والذي قادهم إلى المغرب[2].

23 ـ قبيلة تيندغه

قبيلة عربية كبيرة من بقايا المرابطين. تقطن المنطقة الجنوبية من موريتانيا إلى شمال السنغال مدينة (اندر) (سان لويس) وتضم هذه القبيلة أكثر من أربعين قبيلة.

وأهل تيندغه أهل علم وثقافة. ولهم مجموعات كبيرة من العلماء في السنغال، وغينيا

---

(1) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

(2) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.
وكتاب: دولة المرابطين، محمد عبد الله عنان.

كوناكري، وغينيا بيساو، يشتغلون بتعليم القرآن وعلوم الدين وأصول اللغة العربية، ويقول أحد شعرائهم العلماء:

وفعل ما لا ينبغي لا ينبغي   لتندغي أو لغير تندغي

24 ـ قبيلة مسومه

قبيلة عربية من بقايا دولة المرابطين تنتمي إلى صنهاجه وتمتد من منطقة كيفا جنوب موريتانيا على نهر صنهاجه إلى منطقة الحوض شرق موريتانيا على الحدود مع مالي وتتفرع إلى مجموعة كبيرة من القبائل. ويشتغل رجال مسومه بالعلم ونشر الدين وإقامة المدارس العلمية. وقد شاهدت بعض رعاة الإبل يرعونها وعلى ظهورهم ألواحهم يحفظون القرآن.

وأشهر أسرها العلمية أسرة (أهل بيّه).

25 ـ قبيلة أولاد الناصر

قبيلة عربية شهيرة في منطقة الحوض الشرقي لموريتانيا وفي منطقة (عيون العتروس) مشهورة بالمرح والنوادر.

وأهم قبائل أولاد الناصر:

1 ـ العناترة.

2 ـ أولاد سعيد.

3 ـ الغياسات.

4 ـ أولاد حمه معتوق.

5 ـ أولاد شبيشب.

ولأولاد الناصر علماء وفقهاء. وهم مؤسسو زاوية أولاد الناصر بوادي نون جنوب المغرب ومنهم صاحب (الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى)[1].

وقبيلة أولاد الناصر لها فرع في ليبيا وفي تونس يقال لهم (أولاد سيدي الناصر).

---

(1) هو الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.

26 ــ قبيلة النمادي

قبيلة عربية تقطن المنطقة الواقعة على الحدود الموريتانية ـ المالية. وبالرغم من أنهم يعيشون في الصحراء فهم بيض البشرة. تقول بعض الروايات إنهم من بقايا مملكة نوميديا ومن هنا جاءهم الاسم.

والنمادي يحترفون الصيد. ولا عمل لهم إلاّ صيد الوحوش بالكلاب السلوقية. وتعد ثروة الرجل بمقدار ما يملك من الكلاب. وهم أشد الناس عدواً فترى الرجل منهم يعدو مع كلبه يطارد الغزال وأحياناً يسبق الرجل كلبه. وكذلك هم من أول الناس خبرة بالصحراء.

ويعيش النمادي على لحم الصيد. يقددونه وينشرونه في الشمس لتجفيفه، ثم يبيعونه ويشترون بثمنه ما ينقصهم من الأسواق القريبة. وأقرب الأسواق لهم (النعمه) والقرى القريبة منها.

والنمادي مشهورون بالوفاء ورد الجميل ويعتبرون أسياد تلك المناطق الصحراوية وأخبر الناس بآبارها وموارد مياهها.

والنمادي يتعاملون فيما بينهم بالمقايضة. ويتقاضون بالكلاب. ويدفعون مهور نسائهم بالكلاب أيضاً.

ويلتحق بالنمادي أفراد من مختلف القبائل الصحراوية ويعيشون معهم. ويمتهنون مهنتهم وخاصة أولئك الذين يرتكبون الجرائم في قبائلهم[1].

27 ــ قبيلة أداو الحاج

أداو الحاج أو قبيلة أولاد الحاج قبيلة عربية مشهورة في مناطق الوسط من موريتانيا وفي منطقة تينبكتو شمال مالي.

وقد كانت قبيلة أداو الحاج تقطن منطقة (وادان) و(شنقيط) ثم نزحت إلى الشرق.

لهذه القبيلة مشاحنات ومعارك مع القبائل المجاورة وخاصة كنته. وبينهما مساجلات شعرية ومعارضات.

---

(1) أنظر كتاب: الوسيط، المصدر السابق.
ورواية (عرقاب) لأحمد عبد القادر من موريتانيا.

كما وقعت بينها وبين قبيلة (أداو علي) حروب أوردها الشيخ حرمه بن عبد الجليل العلوي في رسالة موشحه بالشعر واصفة الحرب وخسائرها ونتائجها[1].

28 ـ قبيلة أولاد داود

قبيلة عربية تقطن منطقة الحوض شرقي موريتانيا، وتتفرع إلى الأفخاذ الآتية:

1 ـ الجعافرة.

2 ـ الرعيان.

3 ـ أهل بني جاره.

4 ـ أولاد علوش البقر.

5 ـ أولاد علوش الشرق.

6 ـ ايد البا.

7 ـ أهل عبدوكه.

8 ـ لحمنّات.

وقد اشتهرت من هذه القبيلة مجموعة كبيرة من الرجال في بداية استقلال موريتانيا وأيام الاستعمار الفرنسي وقد قاتل (أهل عبدوكه) الفرنسيين بضراوة أيام زحف هؤلاء على موريتانيا في بداية هذا القرن.

29 ـ قبيلة الفلان

الفلان. والفلاته. والبلار. والهال. والبول. والتكارير. والتكارن. والفلاشه.

كل هذه الأسماء تطلق على اسم قبيلة عربية تقطن جنوب الصحراء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر في كل الأقطار المتواجدة في هذا الحزام: موريتانيا، مالي، السنغال، غينيا بيساو، غينيا كوناكرى، بوركينا فاسو، ساحل العاج، بنين، نيجيريا، النيجر، تشاد، الحبشه.

ويقدر عدد الفلان بحوالي اثني عشر مليون نسمة ويشتغلون بالرعي والزراعة والتجارة.

---

(1) أنظر: الوسيط، المصدر السابق.

والفلان سمر البشرة أميل إلى البياض رقاق الملامح أشبه باليمانيين.

ويرجع الفلان أنسابهم إلى (حمير) ومنهم من يرجع نسبه إلى عقبه بن عامر أحد الفاتحين العرب للصحراء. وتقول هذه الرواية إن عقبه بن عامر وبعضهم يقول إن الاسم عقبه بن ياسر تزوج بابنة ملك (تور) وتسمّى (يجمع) وولد له منها أربعة أولاد هم (دعت) و(واي) و(ناس) و(رعرب).

وتناسل هؤلاء الأولاد فولد (دعت) قبيلة (جل) وولد (واي) قبيلة (بَرِ) وولد (ناس) قبيلة (شُهُ) وولد (رعرب) قبيلة (بَهْ)[1].

وقد لعب الفلان دوراً بارزاً في نشر الإسلام والدفاع عنه في أفريقيا. وبرز منهم العلماء والفقهاء والمجاهدون والمصلحون أمثال عثمان دان فودي. والشاعر محمد سعيد البوصيري صاحب قصيدة البردة الشهيرة.

والفلان لم ينصهروا في القوميات الأخرى بالرغم من اختلاطهم معهم في الأرض وفي المناطق التي يعيشون فيها.

ويسعى الفلان لخلق كيان سياسي لهم، وقد نجحوا في بعض الأحيان عندما أسسوا مملكة سيكوتو ومملكة ماسينا ودولة (فوتاتورو).

والفلان على قناعة بأنهم قومية منفصلة عن الزنوج بالرغم من تشتتهم في البلدان الأفريقية.

وقد قام الفلان بمحاولات كثيرة في العصر الحديث لتكوين دولة لهم تصبح بمثابة مرتكز لقوميتهم كتلك المحاولة التي قاموا بها في غينيا كوناكري وفي السنغال.

وكان الأمين العام السابق لمنظمة الوحدة الأفريقية فلاتياً وهو السيد (جل تلي) الذي قتله الرئيس الغيني أحمد شيخو توري لاتهامه بمحاولة انقلاب ضده.

كما أحبط الرئيس السنغالي الأسبق سينغور عدة محاولات للفلان في إقامة دولة لهم. وقد أُقيل وسُجن رئيس الوزراء السنغالي الفلاتي (محمّد جه) عام 1962، وكذلك رئيس الأركان للجيش السنغالي (الجنرال فال) وهو من أصل عربي موريتاني.

وقد حاول الاستعمار الفرنسي بشتى الوسائل والطرق أن يحول بين الفلان وقوميتهم العربية

---

(1) أنظر: شجرة نسب الفلات، مصورة آخر الكتاب.

وأمتهم العربية، ونشر في سبيل ذلك المئات من الكتب والنشرات التي ترجع الفلان إلى أصول أوروبية أو غير عربية.

وفي غفلة من العرب أصبح الفرنسيون ينجحون في بث كراهية الفلان للعرب كما حدث في موريتانيا.

غير أن عقلاء الفلان ومثقفيهم يعرفون جيداً أصولهم العربية القحة. والمتفحص للمجتمع الفلاني يلاحظ بكل جلاء من خلال عاداتهم وتقاليدهم وشجرات أنسابهم رجوعهم للأمة العربية.

وفي السنوات الأخيرة نقل الإسرائيليون عشرات الآلاف من الفلاشه إلى إسرائيل بحجة أنهم إسرائيليون لأنهم يهود. والمعلوم أن اليهودية دين وليست قومية وأن بعض العرب كانوا يعتنقون اليهودية قبل الإسلام ولكنهم عرب مثل السموأل.

ومن الفلان علماء وأدباء وشعراء في العربية والإسلام. منهم صاحب قصيدة البردة محمد سعيد البوصيري. منهم الشيخ عثمان دان فودي. وأحمدو بلّلو. والحاج عمر تال. وغيرهم.

30 ـ قبيلة تنواجيبو

قبيلة عربية. ترجع بنسبها إلى الحسين بن علي عليه رضوان الله.

تقطن في منطقة الحوض بشرق موريتانيا حول منطقة (عيون العتروس).

وتضم قبيلة تنواجيبو مجموعة من الأفخاذ، أهمها:

1 ـ أهل أفّاه ولد الشيخ المهدي.

2 ـ أهل أحمد رارا.

3 ـ أهل محمد ساسي.

4 ـ أهل محمد مهدي.

5 ـ أهل شيخنا ولد أبّان.

ولقبيلة تنواجيبو باع طويل في العلم والأدب. ولها مجموعة من المدارس الدينية (محاضر) في المنطقة.

31 ـ قبيلة مشظوف

قبيلة عربية كبيرة تقطن منطقة الحوض الشرقي من موريتانيا. وفدت على المنطقة من الشمال واستقرت في الحوض بعد معارك كبيرة مع القبائل المتواجدة في المنطقة مثل أولاد الناصر، وغيرهم.

واستطاعت قبيلة مشظوف أن تنتصر على إمارة أولاد إمبارك عندما ضعفت في نهايتها، الأمر الذي جعل آخر أفراد أمراء أولاد إمبارك يقول بالشعر الحساني[1]:

أشـــكِ مـــن تـــصـــريـــف الـــقـــيـــوم
واشـــكِ بـــذاك الـــتـــصـــروف

مـــشـــظـــوف اقْـبَـلْ مـــلـــكـي. والـــيـــوم
عـــدت أنـــا مـــالـــكـــنـــي مـــشـــظـــوف

والمعنى أنه يتعجب. وكلمة (أشكِ) للتعجب من تصرف الزمن الذي دار دورته وأصبح الأمير مملوكاً لمشظوف بعد أن كان مشظوف مملوكاً للأمير.

وقبيلة مشظوف يتواجد بعض أفخاذها في شمال مالي. ولها بعض الخيام في النيجر.

32 ـ قبيلة مدلش

قبيلة عربية من بقايا المرابطين تقطن جنوب انواكشوط عاصمة موريتانيا وتمتهن العلم والتعليم. ونبغ من مدلش مجموعة من الشعراء والعلماء.

ولمدلش قرابة مع قبيلة كنته العربية في (أزواد) وهي قرابة مصاهرة قديمة.

وتتبع قبيلة مدلش إمارة الترارزه التي تمثل الثقل السكاني في جنوب موريتانيا العربية.

33 ـ قبيلة ادنان

هي قبيلة عربية تارقية تنتمي إلى قبيلة (عدنان) العربية واسمها تحريف لذلك الاسم.

تقطن شمال مالي. ولها دور فعال في حرب الفرنسيين عند وصولهم إلى المنطقة وكانت مع

---

(1) الشعر الحساني هو الشعر الشعبي في المنطقة.

قبيلة (إفوغاس) تمثل القوة العربية الإسلامية التي وقفت ضد التغلغل الفرنسي في المنطقة.

وقد قام رجال من أدنان بمقاومة ظلم الرئيس الأسبق لمالي (موديبو كيتا) وكوّنوا مع قبيلة (إفوغاس) وبعض القبائل العربية الأخرى انتفاضة عام 1963 والتي قتل وسجن فيها الكثيرون ولكنها خنقت في المهد لعدم وجود مساند لها من الخارج.

ولقد التقيت بمجموعة من رجال (أدنان) وهم رجال حرب وصحراء[1].

34 ــ قبيلة أولاد ملوك

قبيلة عربية. تقطن صحراء موريتانيا، وتنقسم إلى قسمين:

أولاد ملوك البيض، وأولاد ملوك الكحل. وقد وقع خلاف بين الفريقين نزح بسببه أولاد ملوك الكحل إلى شمال مالي ولا يزالون فيها حتى الآن.

35 ــ قبيلة كل السوق

قبيلة عربية تارقية. قدمت للمنطقة من عرب برقة بليبيا بعد الفتح الإسلامي.

تقطن هذه القبيلة شمال جمهورية مالي حول مدينة السوق التي سمّيت بها.

وسمّيت القبيلة باسم المدينة لأنهم كانوا يداومون على تواجدهم بها يعلّمون الناس الدين ويحفّظونهم القرآن الكريم.

وأهل السوق مشتهرون بنسخ الكتب، بل ويمتهنون هذه المهنة ويحترفونها في تلك الأصقاع التي لا وجود للمطابع بها ولا وجود للآلات الكاتبة.

وخطوطهم جميلة مغربية أندلسية وأغلب الكتب المنسوخة في المنطقة نسخها فقهاء من كل السوق.

ولقد ساهم علماء كل السوق في الحفاظ على الدين الإسلامي ونشره في المنطقة.

وقد عرف الليبيون في مناطق فزان الفقيه السوقي إبراهيم السوقي الذي ساهم في الجهاد الليبي ضد الطليان[2].

---

(1) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

(2) أنظر: معارك الدفاع عن الجبل الغربي، للمؤلف.

وفي مدينة كل السوق مقبرة فيها قبور مجموعة من الصحابه، رضي الله عنهم[1].

36 ــ قبائل الهقار

وهي مجموعة كبيرة من القبائل العربية التارقية التي تقطن (جبال الهقار) فسمّيت بها. وهي سلسلة من الجبال الشاهقة تقع حالياً على الحدود بين جمهورية الجزائر وجمهورية مالي، وينمو فيها شجر تدبغ به الجلود يسمّيه عرب التوارق (الهقار) فسميت الجبال باسمه وسمى الناس بالجبال. وأهم قبائل الهقار:

1 ـ كيل أغلا. وهي قسم من قبيلة الأغلال المتواجدة في موريتانيا والنيجر.

2 ـ تيطوق.

3 ـ كل أغري.

4 ـ تاغت ملّت. ومعناها (أهل العنز البيضاء).

هذه القبائل تقطن منطقة الهقار والتي عاصمتها مدينة (تمنغست).

وقد تعاونت هذه القبائل مع الأسف ـ مع الاستعمار الفرنسي في احتلال المنطقة بقيادة سلطانها (موسى اق اماسطان) وساعدت الفرنسيين في القضاء على المجاهدين في المنطقة وعلى ثورة محمد كاوصين وثورة فهرون بن الأنصار.

وقد استخدمت فرنسا خبرتهم في الأرض والطرق والآبار، وعداوتهم السابقة مع القبائل المجاورة الناتجة عن استباق الإبل والغارات القبلية السائدة في تلك الأيام[2].

37 ــ قبيلة الشعانبه

قبيلة عربية كبيرة تقطن الجنوب الجزائري حول مدينة (ورقله). وتقول المصادر إن هذه القبيلة قادمة من برقه بليبيا في زمن ليس بالبعيد. وأن سبب تسميتها أن جدة هذه القبيلة كانت لها (كلبة) تهشّها لأن تنبح على الناس فتقول لها: «اش عانبه» وكان اسم الكلبة (عانبه) فسمّوها (الشعانبه)[3].

---

(1) أنظر: تاريخ أهل السوق، ملحق الوثائق.

(2) أنظر: كتاب:التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.
وكتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء، للمؤلف.

(3) أنظر: الساسي، المصدر السابق.

وقبيلة الشعانبه قبيلة كثيرة العدد قوية الشكيمه لها غارات على القبائل المجاورة. وقد ساهمت في الجهاد ضد فرنسا في بداية الغزو الفرنسي للجزائر. وساهمت مع ثورة أولاد الشيخ. وثورة المقراني وثورة بو عمامه. وبرز منها بعض الأفراد الذين قاتلوا الفرنسيين في الصحراء أمثال (علي قدور) الذي استشهد في معركة مع الفرنسيين في صحراء مالي عام 1907 وهو يقود مجموعة من المجاهدين من الشعانبه ومن عرب المنطقة.

وتتواجد مجموعات من الشعانبه في صحراء النيجر وصحراء مالي. أما غالبيتهم فيستقرّون في جنوب الجزائر. ولقد تعرفت على بعض الأسر من الشعانبه في منطقة غدامس. ودرج وأوباري وغات بليبيا.

38 ـــ قبيلة المخادميه

قبيلة عربية، تقطن صحراء جنوب الجزائر. ولهم صلات مع قبيلة الشعانبه. وللمخادمه بعض الأسر بليبيا، وهم خدام سيدي الشيخ دفين (لبيض) بجنوب الجزائر.

39 ـــ قبيلة الجرامنه

قبيلة عربية تنتمى لجدها (جرمون) أخ زياد جد قبيلة الزياديين المتواجدين في منطقة (تمسه) بفزان، وغيرها من المناطق.

تقطن قبيلة الجرامنه في جنوب الجزائر حول مدينة (المنيعه) وثارت على الفرنسيين عام 1871 وقتلت الضابط الفرنسي الحاكم للمنطقة. واصطدمت مع القوات الفرنسية، والتحقت بثورة (بو عمامه). ولما فشلت هذه الثورة هاجر جل أفراد قبيلة الجرامنه إلى ليبيا. واستقروا بالجمادة الحمراء ومناطق غدامس ودرج.

ولما هاجمت إيطاليا ليبيا عام 1911، ساهم الجرامنه في الجهاد ضد الغزو الإيطالي واستشهد منهم عدة رجال في معارك الساحل، ومعارك فزان.

وقد عاد أغلب أفراد قبيلة الجرامنه إلى جنوب الجزائر. وبقيت منهم حوالى مائة أسرة في ليبيا موزّعة ما بين غدامس ودرج وادرى وأوبارى.

والجرامنه من أخبر الناس بالصحراء. وهم مربو إبل يحسنون تربيتها ويهتمون بها. وقد رأيت بعضهم يعرف آثار إبله في الأرض دون أن يراها.

40 ــ قبيلة العبادلة

قبيلة عربية. تقطن بجنوب الجزائر قرب مدينة (بشار) ولهم فرع بمنطقة سرت بليبيا. قال القلقشندي عنهم.. «بطن من جذيمه من جرم طي من القحطانيه منازلهم مع قومهم طي ببلاد غزة..»[1].

41 ــ قبيلة إدو إسحاق

قبيلة عربية تارقية تقطن شمال مالي في صحراء تينبكتو. وهي مشهورة بالعلم وحفظ القرآن.

ولإدو إسحاق فرع بليبيا في منطقة ورفلله يسمى (الأساحقه)، وفرع موريتانيا يسمى (ادو اسحاق)، وفي الصومال لهم فرع يسمى الإسحاقيين[2]. ويقول القلقشندي في كتابه نهاية الإرب.. «بنو اسحاق بطن من البكريين بن ابي بكر الصديق رضى الله عنه من بني تيم بن مره من قموين العدنانيه.. قال الحمدانى هم من أقارب بني طلحه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق». ويقول: «ومساكن بن اسحاق هؤلاء ببلاد الاشمونيين من صعيد مصر فيما ذكره الحمداني..»[3].

42 ــ قبيلة اغطفان

قبيلة عربية تارقيه في شمال مالي. واسمها تحريف للقبيلة المشهورة (غطفان).

وتكوّن هذه القبيلة مع غيرها من قبائل المنطقة (سلطنة والليمدن كيل اطرام) اي (سلطنة لمتونة الغرب)[4].

43 ــ قبيلة القديرات

وتسمّى (الغديرات) تقطن جنوب الجزائر. وهي قبيلة عربية لها فرع بمنطقة بئر الغنم قرب طرابلس الغرب بليبيا، وتنقسم إلى عدة بطون وأفخاذ. وتتمركز بمنطقة وادي سوف.

---

(1) القلقشندي. أنظر المصدر السابق، ص 138.

(2) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

(3) أبو العباس القلقشندي في كتابه: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ـ الطبعة الأولى 1405 هـ، 1984 م، ص 47.

(4) أنظر كتاب: التوارق، المصدر السابق.

44 ـ قبيلة الأتواج

قبيلة عربية تنتسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق عليه رضوان الله. والأتواج يتباهون بنقطة حمراء صغيرة تحت كعب رجل كل منهم يقولون إن تلك النقطة هي أثر لسعة العقرب التي لسعت سيدنا ابي بكر (جدهم) عندما كان مع رسول الله ﷺ في الغار هاربين من قريش في طريقهما إلى المدينة.

وقد شاهدت هذه النقطة في كثير من رجال الأتواج.

وتملك قبيلة الأتواج ثروة هائلة من الإبل.

وتتوزع قبيلة الأتواج بين جنوب الجزائر وشمال مالي وشمال النيجر.

وتنقسم قبيلة الأتواج إلى:

1 ـ أهل لجهوري.

2 ـ أولاد سيدي محمد.

3 ـ أولاد عابدين.

وقبيلة الأتواج من القبائل الصحراوية التي تملك موهبة خبرة الصحراء ومعرفة مسالكها ومناهلها. وقد شرّد الفرنسيون هذه القبيلة وصادروا ممتلكاتها من الإبل والحيوانات.

وتوجد مجموعة من الأتواج بليبيا قدموا إليها أيام الغزو الفرنسي للصحراء. ومجموعات أخرى قدمت أخيراً هاربة من الجفاف.

وتتمركز قبيلة الأتواج في جنوب الجزائر قرب زاوية كنته بالأدرار جنوب الجزائر. ومنهم خيام بالنيجر.

45 ـ قبيلة يدّاس

من أكبر القبائل العربية في صحراء النيجر وتقطن حول منطقة (بالزقور) جنوب مدينة (أقدز)، وتنقسم هذه القبيلة إلى:

1 ـ أهل ياسين.

2 ـ أهل الحبشي.

3 ـ أهل القبله.

وتنقسم كل قبيلة من هذه القبائل إلى مجموعة من الأفخاذ والقبائل الصغيرة.

وقد بطش الفرنسيون بهذه القبيلة أيام زحفهم على الصحراء وصادروا أموالها وقتلوا رجالها.

وقبيلة يدّاس من أشهر القبائل العربية في الصحراء في تربية الإبل والماشية.

وليدّاس مجموعة من الأسر في ليبيا.

46 ـ قبيلة الخنيشات

قبيلة عربية تقطن في صحراء النيجر حول منطقة (تاسره) حيث تتناثر مخيماتها غربيها وتنتشر في وسط النيجر. وتختلط مع قبيلة (درمشاكه).

وللخنيشات مجموعة من الأسر في جنوب الجزائر وفي ليبيا.

47 ـ قبيلة الطرشان

قبيلة عربية تقطن في صحراء النيجر قرب قرية (شين براضن).

ولهذه القبيلة فروع في موريتانيا ومالي وجنوب الجزائر، وفي وسط ليبيا.

والطرشان منطلقون من موريتانيا بمنطقة (أقصير الطرشان) جنوب أطار.

48 ـ أهل سيدي عمر الشيخ

قبيلة عربية وهي فرع من فروع قبيلة (كنته) العربية التي قلنا إنها ترجع بنسبها للفاتح العربي الكبير عقبه بن نافع الفهري.

وتقطن قبيلة أهل سيدي عمر الشيخ في صحراء النيجر قرب قرية (انقال) وهي مشيخة مستقلة. ولها زاوية خاصة بها لتعليم القرآن وعلوم الشريعة واللغة العربية يقال لها زاوية أهل سيدي عمر الشيخ.

49 ـ قبيلة الرماة

الرماة ليست قبيلة ولكنها الجنود العرب المغاربة الذين قدموا في حملة منصور الذهبي على منطقة تينبكتو. واستقروا هناك وتزاوجوا مع المواطنين وأصبحوا يسمّون (الرماة) أي المحاربين.

ويتواجدون بمالي والسنغال وكوّنوا ما يشبه قبيلة. وهم عرب مغاربة خرج منهم زعماء قادوا المنطقة ضد فرنسا.

50 ــ قبيلة أولاد سيدي محمد ولد باي

قبيلة عربية. وهي إحدى افخاذ قبيلة كنته انفصلت منها والتحقت بالنيجر حيث استقرت بمنطقة (الأزرق) قرب مدينة (اقدز). وتختلط هذه القبيلة مع قبيلة (تاشرورت) العربية التارقيه.

51 ــ قبيلة كل نان

قبيلة عربية تارقيه يكون منها سلطان سلطنة (تقرقريت) التارقيه في شمال النيجر مدينة (طاوه).

وتقود هذه القبيلة مجموعة كبيرة من القبائل العربية التارقيه في هذه السلطنة. وأهمها:

1 ـ كل اغلال: وكل معناها أهل باللهجة التارقيه.

والاغلال فرع من قبيلة الاغلال بشنقيط.

2 ـ تقرمت.

3 ـ أراولن.

4 ـ أزرياضن.

5 ـ تلميديس.

6 ـ أقيران.

7 ـ كل إزار.

8 ـ آيب أواري، وهذه القبيلة نزحت من سرت بليبيا[1].

9 ـ الشريفن، وينتمون إلى بني هاشم.

10 ـ داغمنا.

11 ـ إقدالين، (بقية قبيلة قداله المعروفه).

12 ـ إزاويتن، (بقية الزوايا).

---

(1) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

13 ـ اجوانجواتن.

14 ـ ابهيوان.

15 ـ ايكدّمان.

16 ـ إيينكلان.

17 ـ إلبكان.

18 ـ ابضيضاين.

19 ـ انمغراون، (بقايا قبيلة مغراوه المذكورة في الشمال الأفريقي).

20 ـ إبكلان.

21 ـ إبراكيتان.

22 ـ إيشيديوان.

وقد تصدّت هذه القبيلة أو هذه السلطنة بقبائلها المذكورة سابقاً للزحف الفرنسي على الصحراء وسقط منها آلاف الشهداء عليهم رحمة الله[1].

52 ــ قبيلة إيكزكزن

هي قبيلة عربية تارقية تقطن شمال النيجر ضمن سلطنة (والليمدن كيل اطرام)[2] وسلطنة (تمزقدا) وقد خاض رجالها الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي بقيادة سلطان (تمزقدا) (موسى دمرقوما) الذي استشهد في إحدى المعارك مع الفرنسيين وخلفه (خنجر)[3] في قيادة القبيلة.

واشتهر من رجالات هذه القبيلة محمد كاوصن الذي هاجم (أقدز) وحاصرها لمدة ثلاثة أشهر عام 1916 على رأس حملة متوجهة من ليبيا.

وتتكوّن سلطنة تمزقدا من القبائل العربية التالية[4]:

1 ـ الشريفن، (وهم أشراف من بني هاشم).

2 ـ كل فروان.

3 ـ إيفدين.

(1) أنظر تفاصيل ذلك في كتاب: التوارق، للمؤلف.

(2،3،4) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

4 - إيكشكشن.

5 - إفوغاس، (قسم من إفوغاس مالي).

6 - امزوراك، (قبيلة محاربة ضد الفرنسيين).

7 - كل انيرده.

8 - إبرضيانن.

9 - إزقايان.

10 - ايزغران.

11 - اقدالن، (جزء من قبيلة قداله).

12 - كل طمّات.

13 - إيمزوغن.

ولقبيلة (إيمزوغن) فروع في ليبيا في منطقة ترهونه تسمى (المزاوغه) وفي تونس أيضاً.

53 ــ قبيلة الحوصة

قبيلة الحوصة قبيلة عربية شهيرة. حرّف اسمها في أفريقيا إلى (الهوسه) وذلك لعدم استطاعة الزنوج نطق حرف (حاء) العربي.

انتقلت إلى أفريقيا في تاريخ غير معروف واختلطت مع القبائل المتواجدة في المنطقة فاكتسبت منها سمرتها.

والحوصة تمثل غالبية سكان نيجيريا والنيجر. ويفوق عدد الحوصة ثلاثين مليوناً. وهم تجار. وتعتبر لهجة الحوصة هي لهجة التجارة في المنطقة الصحراوية حيث يتكلمها سكان غات وغدامس في ليبيا وبعض مناطق جنوب الجزائر.

والحوصة لا يستطيعون نطق حرف الفاء فينطقونه (باء) ولذلك تسمون الفلان (بول).

ولهجة الحوصة تحتوي على أكثر من عشرين في المائة من كلماتها عربية صحيحة.

ولهجة الحوصة إحدى اللهجات العربية الموجودة في الجزيرة العربية قبل نزول القرآن.

ويقال لمفردهم (هوساتي) وقد كوّنتَ الحوصة مجموعة من الإمارات والممالك[1].

---

(1) أنظر أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جزء 6، ص 280، وما بعدها.

54 ـ قبيلة كل أمنير

قبيلة عربية تارقيه تقطن شمال النيجر وتتكون من مجموعة من القبائل، كما تتحد مع قبائل أخرى لتكوّن سلطنة (كل اقرس) بمنطقة (آضر).

وتتعاون هذه المجموعة مع مملكة (جوبير) المعروفة في التاريخ.

ومع قبيلة (كل أمنير) والتي معناها (أهل خبير الصحراء) توجد قبائل أخرى عربية تارقيه، أهمها:

1 ـ إغاون.

2 ـ كل اغلال.

3 ـ إتيسان.

4 ـ مجموعات (اغويلن) والتي معناها العبيد والموالى.

وتختلط هذه القبائل مع قبائل (الحوصه) وتكتسب الكثير من عاداتها وتقاليدها. كما تتكلم إلى جانب اللهجة التارقيه اللهجة الخاصة بقبائل (الحوصه).

55 ـ قبيلة البمباره

هي من أكبر القبائل في مالي. ويقولون إن جدهم (الملك الأسود) قدم من المغرب. وهو ابن بلال بن رباح. وأن أمهم شريفة عربية من ولاته.

عادات البمباره وتقاليدهم وغيرتهم لا تزال عربية. لهجتهم اختلطت بلهجة الزنوج. ويعد البمباره من القبائل العربية الكبيرة في جنوب الصحراء.

56 ـ قبيلة تاقاط

قبيلة عربية متوزعة على امتداد الصحراء الكبرى من موريتانيا إلى النيجر.

وقد بطش الفرنسيون بقبيلة تاقاط عند زحفهم على الصحراء الشمالية للنيجر. وأيام حروب كاوصن ضد الفرنسيين.

وقد التقيت مع بعض شيوخها وأخبروني عما شاهدوه من جرائم الفرنسيين وهم صغار.

ومن تاقاط مجموعة كبيرة من المشايخ والعلماء في المناطق المختلفة من أفريقيا. عرفت

منهم الشيخ أبو المعالى بالسنغال قرب (دكار) له محضرة كبيرة يعلّم فيها الصغار والكبار القرآن وفرائض الدين واللغة العربية.

كما لهذا الشيخ محضرة أخرى في منطقة (افطوط) بموريتانيا يديرها علماء من تاقاط.

وتنقسم قبيلة تاقاط إلى قسمين كبيرين، هما:

1 ـ لقشيرات.

2 ـ أهل بكي.

وقد نزحت مجموعات من تاقاط إلى مكة والمدينة. ويتواجد منهم مجموعات بليبيا نزحوا إليها بعد الجفاف الأخير عام 1972.

57 ـ قبيلة السونكي

قبيلة عربية تقول المصادر إنها قادمة من برقة، وهي التي أسست مملكة (السنغاي)[1] التي اتخذت من مدينة (قاوه) عاصمة لها أو مدينة (كوكو)، وهي التي تقول الروايات أن بُناتها هم تجار قدموا من طرابلس الغرب.

وكلمة سنغاي معناها الرجل الأبيض بلهجة زنوج المنطقة.

وقبائل السنغاي الآن هم سود البشرة نتيجة لاختلاطهم بالزنوج بالمصاهرة والجوار.

وأغلب كبار السن من السنغاي يعرفون نسبهم العربي ويفخرون به.

وتختلط قبائل السوننكي أو (السونغاي) بعرب التوارق في منطقة (قاوه) شمال مالي.

كما يختلطون بعرب شمال غرب مالي في منطقة تينبكتو.

ونبغ من هذه القبائل شعراء وفقهاء وعلماء متضلّعون في أصول الدين. كما ساهموا في نشر الدين الإسلامي بين القبائل الوثنية في المنطقة.

58 ـ قبيلة القوايده

قبيلة عربية من بني زغب بطن من بطون سليم. كانت تنتقل في الصحراء وتعيش حياة

(1) أنظر: السعدي: تاريخ السودان، ص 64 ـ 65.
وكتاب: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جزء 6، ص 257 إلى 280.

البادية والتنقل. لها فرع بدوي في شمال النيجر هاجر من ليبيا في سنوات سابقة ويقيم جزء منها في بلدة (ونزريك) بفزّان. وفرع بالحراية بالجبل الغربي. وقسم من هذه القبيلة ببلدة بني وليد بورفلله، وقسم آخر بقرية قبرعون. ولها فرع بشمال تشاد.

59 ـ قبيلة الحطمان

قبيلة عربية. تعيش حياة البادية بفزّان جنوب ليبيا تنتمي لبني سليم.

واستقرّ الحطمان في قرية (برقن) بفزّان ولهم فرع (المسالخية) بمزدة.

60 ـ قبيلة السهكة

قبيلة عربية تنحدر من أولاد بدر القبيلة العربية بقرية شكشوك بسفح الجبل الغربي قرب بلدة جادو، وهم يستقرون حاليًا بقرية (برقن) بفزّان بجنوب ليبيا.

61 ـ قبيلة (درمشاكه)

قبيلة عربية، وهي فرع من قبيلة أولاد دليم العربية بالساقية الحمراء. انتقل جدها في فترة سابقة إلى شمال النيجر واستقر بها في منطقة الصحراء الشمالية للنيجر.

وتقول قصة التسمية بهذا الاسم ان (الدليمي) هذا جد القبيلة كان يشتكي من جيرانه فيقول الناس (الدليمي شكي) وحرّف الاسم مع الزمن إلى (درمشاكة).

وهي قبيلة كبيرة اختلطت بقبائل عرب التوارق وأصبحت تتكلّم اللهجة التارقية وصارت في عدادهم. والتفّت حولها مجموعات من القبائل الصغيرة وصارت في عدادها.

وتتكوّن قبيلة درمشاكة من القبائل التالية:

1 ـ أهل عثمان.

2 ـ أهل الحاج أحمد.

3 ـ الزراهنة.

وترأس قبيلة (درمشاكة) خيمة الشيان أهل محمد الأمين من الزخيمات كنته[1].

ويوجد مجموعات من درمشاكة في جنوب الجزائر وفي ليبيا.

---

(1) لقاء مع بعض كبار السن من قبيلة (درمشاكة).

62 ـ قبيلة التبو

قبيلة عربية سكنت المنطقة منذ القدم واستقرّت بجبال تيبستي وبها سميت.

ذكرهم هيرودوت في زمانه بأنهم من سكان ليبيا ويعتبرون من عرب الصحراء. هاجر أجدادهم القدماء من الجزيرة العربية قبل الإسلام واستقرّوا بجنوب ليبيا وشمال تشاد وشرق النيجر، وينقسم التبو إلى:

أ ـ التيدا، ويعيشون في جبال تيبستي.

ب ـ الدازا، ويعيشون في بوركو وانيدي.

وينقسم كل قسم من هذين التجمعين إلى قبائل شتى. ويمتهن التبو تربية الماشية والرعي والصيد والتجارة. وهم يسيطرون على طرق القوافل القادمة من فزّان باتجاه بحيرة تشاد ونيجيريا.

وفي القديم كان التبو يغيرون كغيرهم من القبائل العربية على القبائل المجاورة.

ويملك التبو أعداداً هائلة من الإبل والماشية، أما قسمهم الجنوبي فيملك البقر.

والتبو محاربون أشداء. صبارون على الجوع والعطش ويتخذون من نبات الحنظل طعاماً لهم بعد أن يطبخوا بذوره ويدقونها ويخلطونها بالتمر.

63 ـ قبيلة رياح

قبيلة عربية تقطن منطقة الجفره بفزّان بليبيا. ولها فرع في منطقة جنوب الجزائر: الزاب وقسنطينة، ولها فرع بتونس. وهم بطن من بن هلال بن عامر[1].

64 ـ قبيلة جرمة

قبيلة عربية وصلت إلى المنطقة الصحراوية قبل الإسلام وكوّنت مملكة عاصمتها مدينة (جرمة) بفزّان.

كوّنت هذه القبيلة حضارة عرفت فيها العجلات التي تجرها الخيول. وهم محاربون أشداء برعوا في صناعة الأسلحة وسادوا منطقة الصحراء زمناً ليس بالقصير.

---

(1) أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ص 247.

ولا تزال جبال أكاكوس بجنوب ليبيا تحتفظ بنقوشهم في الكهوف والمغارات وصور عرباتهم على الأحجار.

وقد سارت منهم حملة تجاوزت الصحراء ووصلت إلى بلاد النيجر الحالية واستقرت هناك. ولا تزال بقية هذه القبيلة تقيم بالنيجر بمنطقة (نيامي)، وهي التي ترأس بلاد النيجر وتسمى باللهجة المحلية (زرما) أو (زرما قندا)[1].

65 ــ قبيلة الجعافرة

قبيلة عربية. تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب الملقب بجعفر الطيار وتوجد بموريتانيا وشمال النيجر وبمنطقة الجبل الغربي بليبيا. قال القلقشندي: «الجعافرة بطن من الطالبين من بن هاشم من العدنانية، وهم بنو جعفر الطيار...»[2].

66 ــ قبيلة أولاد سليمان

قبيلة عربية تقطن منطقة سرت بليبيا. انتقلت منها مجموعات إلى منطقة كانم بشمال نيجيريا وجنوب غرب تشاد في دفعات، أولها عام 1817 لنصرة الشيخ محمد الأمين الكانمي سلطان برنو التابع لطرابلس.

وقد أرسل إليه يوسف القره مانلي ثلاث حملات في السنوات 1817 و1826 و1842. واستقرت مجموعات من هذه الحملات في المنطقة والتي من بينها أولاد سليمان.

وعندما هاجم الإيطاليون ليبيا 1911 وانتهت المقاومة الليبية عام 1931، هاجرت مجموعات من العرب الليبيين للحاق بإخوتهم في كانم، وكان من بينهم أولاد سليمان.

تعيش هذه القبيلة في حياة بدوية معتمدة على رعي الماشية وتربية الإبل.

لقد اصطدمت مع الزحف الفرنسي القادم من الجنوب عام 1899، حيث سقط زعيم القبيلة شهيداً في إحدى هذه المعارك عام 1900 والمسمى غيث سيف النصر[3].

---

(1) أنظر كتاب: سليمان أيوب، جرمة.

(2) القلقشندي، المصدر السابق، ص 122.

(3) أنظر كتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، للمؤلف.

67 ـ قبيلة جهينة

قبيلة عربية قدمت من الجزيرة العربية بعد الإسلام ووصلت إلى منطقة السودان واستقرت بين تشاد والسودان، وذلك عبر مصر وليبيا.

وجهينة هي القبيلة المعروفة في الجزيرة والتي يقال في المثل العربي عنها شعراً:

تسائل عن أبيها كل ركب
وعند جهينة الخبر اليقين

وقد يختصر البيت، فيقال مثلاً:
(عند جهينة الخبر اليقين)

وقد لعبت هذه القبيلة دوراً بارزاً في تاريخ السودان الشرقي. وتوجد بتونس قرية تسمى (جهينة). وتقول الرواية أن جد القبيلة هو (عبدالله الجهيني). ويقول عمر رضا كحالة: «وأهم ذكر لجهينة في نسب السودانيين أنهم وصلوا إلى نيف وخمسين قبيلة على النيل الأزرق حتى تونس. واستقر بعضهم في الجزء الممتد من الجنوب إلى كردفان ودارفور»[1].

68 ـ أولاد راشد

قبيلة عربية قوية تستقر في شرق تشاد والتوجو وشرق أفريقيا الوسطى.

ويعتبر أولاد راشد من تجمع قبائل جهينة وهي قبيلة محاربة شديدة المراس تربي الماشية. ولها فرع في بلدة الحرابة بالجبل الغربي بليبيا، وكذلك ببلدة العجيلات غرب طرابلس الغرب.

وتسمى قبيلة أولاد راشد في المنطقة (الرواشد)، (وأولاد راشد) بطن من الحميديين من هلبا سويد من جذام القحطانية ومنازلهم من بلاد الشرقية من الديار المصرية..»[2].

69 ـ قبيلة المقارحة

قبيلة عربية تنتمي إلى بني سليم فرع زغب. تعيش حياة البداوة في صحراء فزّان بين وادي الشاطىء وبلدة مزده.

(1) عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ص 217.
(2) القلقشندي، المصدر السابق، ص 114 - 115.

ويستقر المقارحة حاليًا في كل من: الزويه والزلواز ووادي زلاف وآقار والمحروقة. بفزّان. وكذلك قرية الشويرف في طرف الحمادة الحمراء. وللمقارحة فروع ولحمات في قبائل كثيرة في ليبيا.

وقد هاجر جزء من هذه القبيلة إلى النيجر أيام الجهاد ضد الإيطاليين في ليبيا وبقوا هناك بصحراء النيجر الشمالية. ولهم مجموعة من العائلات بجنوب الجزائر في بلدة (المنيعة).

ويقول اغوستيني في كتابه سكان ليبيا.

«... ومن المقارحة ينحدر ـ طبقاً للمتواتر ـ أولاد ذويب من الزنتان والشعيبات منطقة سرت والميامين من ورشفانه والصلاحات من غريان ووحدات أخرى متعددة منتشرة في كل مكان من طرابلس...»[1].

وتنتسب للمقارحة قبيلة الحدادة في الصيعان وأولاد دغمان في الصيعان. الذين منهم الدغامنية في زواره. والمقارحة في النوائل. وجزء من قبيلة منغساتن التارقية. ومجموعة من اللحمات في عراده قرب طرابلس والذي يقال إنه مسكن المقارحة الأول. وقبيلة أولاد حزام في غريان، وأهم قبائل المقارحة، الجلاغمة والذي منهم جلاغمة ورفلله. والبراكيس والمشلشة والغدرة والعزمة والذين يقول بعضهم إنهم من سلالة سيدي محمد أبو صاع جد الصيعان. وهي القبيلة الوحيدة في المقارحة التي تعتبر (مرابطة)[2].

وقبيلة القرنة والمحاربية الذي يقال إن أصلهم من الكوفة بالعراق من قبيلة بني محارب. وإنداره التي يقولون إنها من قبيلة إنداره بالخمس (سيلين).

70 ــ قبيلة أولاد بو سيف

قبيلة عربية تنتمي إلى جدها (عبد المولى الصنهاجي)[3] من قبيلة صنهاجه دفين زاوية (ابو ماضي) التي قام بتأسيسها قرب بلدة (ككله)، وتنقسم قبيلة أولاد ابو سيف إلى:

أولاد سيدي محمد. أولاد سيدي أحمد. أولاد سيدي عبد الرحمن. أولاد سيدي بن إبراهيم.

---

(1) أغوستيني: سكان ليبيا، الجزء الأول، ص 545. ترجمة خليفة التليس.

(2) أخبرني بهذا النسب المرحوم نور الدين العزومي الشاعر.

(3) رأيت هذا في شجرة نسبهم التي أطلعني عليها الشيخ النعاس قرزة وكذلك في كتاب أغوستيني: سكان ليبيا، المصدر السابق.

أولاد سيدي بالقاسم. أولاد سيدي عبد الحفيظ. أولاد سيدي عبد النبي. أولاد سيدي محمد. أولاد سيدي الصغير. أولاد سيدي أبي النيران. أولاد سيدي عبد القادر. الطيور. أولاد بن نبيه، أولاد العالم. أولاد أبيض الركاب.

وقد ساهمت قبيلة أولاد بو سيف في الجهاد ضد الإيطاليين وبرز منها زعماء قياديون أمثال الشيخ محمد بن عبدالله. وإمحمد بن بشير. وحسن الدرويش. وأبو بكر قرزه وغيرهم.

وينتقل أولاد بو سيف في منطقة صحراء فزّان بين الشاطىء وبلدة رويس الطبل بين بني وليد ومزده. وكذلك لهم فرع بزاوية أبي ماضي (ككله).

وهاجر مجموعة من أولاد بو سيف إلى تونس والجزائر. ورجع أكثرهم.

ولا علاقة لأولاد بو سيف في صحراء ليبيا بأولاد بو سيف بصحراء موريتانيا ومالي. إذ أن أولئك فخذ من قبيلة كنته.

71 ــ قبيلة المشاشية

قبيلة عربية، تنتمي للشيخ عبد السلام بن امشيش الشريف المغربي. جاء جدهم سيدي البرقي المشاي من المغرب مع سيدي عبد المولى الصنهاجي ودفن بجواره.

وتنقسم هذه القبيلة إلى أولاد عطاءالله. البنادقة الهيسات. الميشات.

وتنقسم كل قبيلة إلى أفخاذ وبطون. ويستقر المشاشية قرب مزده في صحراء جنوب ليبيا في قرى حديثة (بوالغرب) و(الشقيقة) و(فسانو)، وقد كانوا إلى عهد قريب بدواً رحل.

وقد ساهمت هذه القبيلة في الجهاد ضد الإيطاليين وبرز منها رجال معروفون أمثال محمد بن حسن المشاشي، وهاجرت مجموعة منها إلى تونس. وإلى جنوب الجزائر رجع جلهم.

72 ــ قبيلة الزوائد

قبيلة عربية. تقطن صحراء فزّان بجنوب ليبيا. تنقسم إلى عدة قبائل، أهمها: المشاليش المناصير. ضني خليفة. الوحاويح. الشباعنية. الصنبوية. الواكدية. السراتي. أولاد وافي. الفزازنة. السحائرية. زوائد برقن. الحطية.

وقبيلة الزوائد قبيلة محاربة ساهمت في الجهاد ضد الطليان في ليبيا، وضد الفرنسيين في تونس والجزائر.

هاجرت مجموعة منها إلى تركيا وسوريا عام 1913. كما هاجرت مجموعة منها أيضاً إلى الجزائر وإلى النيجر. ولا تزال بقية منها في صحراء النيجر.

وتقيم هذه القبيلة حاليًا بفزّان. وبمنطقة الخمس على شاطىء البحر. وبمنطقة سوق الخميس قرب ترهونة.

73 ـ قبيلة الزياديين

قبيلة عربية شريفة تقيم في منطقة (تمسه) بفزّان. وبعضهم في منطقة الخمس بالساحل.

وينتسبون لجدهم زياد. ويقول الرواة أن زياد هذا هو أخ (جرمون) جد قبيلة الجرامنة المتواجدة بجنوب الجزائر[1].

وينقسم الزياديون في (تمسه) إلى أولاد بالقاسم. وأولاد زيدان. وعائلة بيري.

وللزياديين فرع ببلدة الزيغن بسبها.

74 ـ قبيلة أولاد خريص

قبيلة عربية. ويسمون (الخريصات). مستقرون ببلدة (زلة) وحواليها. وهم فرع من قبيلة أولاد وافي المتواجدة بسرت وتاورغاء ووادي الشاطىء بليبيا، والتي هي كما ذكرنا فرع من قبيلة أولاد وافي كنته المتواجدة بصحراء شمال مالي (تينبكتو).

75 ـ قبيلة الجماعات

قبيلة عربية. تقطن صحراء فزّان الشرقية حول واحات الجفرة. وزله. والفقهاء. وفي جبال الهروج بوسط شرق صحراء ليبيا.

وترجع هذه القبيلة إلى بني فزاره. ويسمى المواطنون لمفرد هذه القبيلة (جماعي) وقد نبغ منهم مجموعة من الشعراء الشعبيين في المنطقة، وهم مشهورون بتربية الإبل.

هاجرت مجموعة من الجماعات إلى تشاد أمام الغزو الإيطالي لليبيا واستقروا في صحراء شمال تشاد ورجع منهم عدة عائلات إلى ليبيا.

وتنقسم الجماعات إلى عائلتين: عائلة المنتصر، وعائلة امبارك.

---

(1) رواية الجديد عبد الرحمن الجرمني، وعمره حوالى 80 سنة.

76 ـ قبيلة المواجر

قبيلة عربية تقطن حوالي منطقة الجفرة بفزّان بليبيا، وتنقسم إلى:

الدقاقرة، الطوال، عائلة السعداوي، السبابطة، ولهذه القبيلة فرع كبير بتونس.

77 ـ قبيلة الربائع

قبيلة عربية تقطن منطقة وادي سوف بجنوب الجزائر ولها فروع في تونس، وليبيا والعراق.

ويقول عمر رضا كحالة في مادة الربائع:

«.. اسم يطلق على ثلاث قبائل من بني تميم من العدنانية وهم بنو ربيعة بن زيد مناة تميم ابن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم...»[1].

ويشتهر الربائع بتربية الإبل والخبرة في تربيتها واقتفاء آثارها. وقد شاهدت جماعة منهم يعرفون البعير من وطأة رجله في الأرض، فيقولون هذا الأثر للناقة الفلانية أو الجمل الفلاني.

ويقول إبراهيم الساسي:

«تشتمل هذه القبيلة على أربع عشرة فصيلة صغيرة وهي أولاد بلول والزيود وأولاد حمد وأولاد زقزاو والرقيعات والأفايز والأغوات والدوامية والعطايرة والحوامد والمصابيح وأولاد مسعود والقطايطي وأولاد الحجاج»[2].

ونسبهم الساسي إلى مضر.

78 ـ قبيلة أولاد أحمد

قبيلة عربية تقطن جنوب الجزائر. بمنطقة وادي سوف وتنتمي إلى قيس عيلان.

وتتكوّن هذه القبيلة من سبع قبائل، هي:

1 ـ السوفية: وتنقسم إلى عشر فصائل.

2 ـ أولاد مياسة: وتنقسم إلى أكثر من خمسة فصائل.

---

(1) المصدر السابق، ص 416، جـ 2.

(2) ابراهيم بن محمد الساسي العوامي في كتابه: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الدار التونسية للنشر، ص 312.

3 ـ أولاد جابالله: والتي تستقر بها قبيلة بن القوائد.

4 ـ الأميهات: وهذه القبيلة جاءت للمنطقة من جبل نفوسه غرب طرابلس ليبيا. وتنقسم إلى اثنتي عشرة قبيلة.

5 ـ العواشير: وينقسمون إلى عشر قبائل صغيرة.

6 ـ أولاد عياد: نزحوا إلى المنطقة من منطقة طرابلس الغرب وبرقة وقابس.

7 ـ السوامش: وأصلها من نقزاوه. ويقولون إن جدهم سماش بن سيدي بوجويحف. وأن سيدي بوجويحف هو أخ سيدي معبد المدفون بغدّامس بليبيا[1].

79 ـ قبيلة المصاعبة

قبيلة عربية تقطن منطقة وادي سوف بجنوب الجزائر،

وتنقسم إلى أربع قبائل:

1 ـ الشبابطة.

2 ـ القرافين.

3 ـ العزازلة.

4 ـ الشعانبة.

وتنقسم كل قبيلة من هذه القبائل إلى أفخاذ وفروع:

1 ـ الشبابطة:

وينقسمون إلى:

أ ـ **الشراردة:** وهم ست قبائل.

ب ـ **أولاد بو جديد:** وتنقسم إلى ستة فصائل.

جـ ـ **الشوايحة:** نسبة إلى شيحة جبل بالأوراس نزلوه عند قدوم العرب للمغرب بأرض أفريقيا.

د ـ **العيايدة:**

(1) أنظر الساسي، المصدر السابق، ص 283 ـ 284.

هـ ـ **الابالي:** وتنقسم إلى أربع قبائل.

و ـ **الأعليات:** وهم إخوة الهمامة في الجنوب التونسي.

ز ـ **المساعية:** وأصلهم من وادي مزاب.

ح ـ **الامامنة.**

ط ـ **الستاتة:** تجمع هذه القبيلة طائفتين: أولاد ستو وأولاد سيدي موسى.

ي ـ **الجلايصية:** وهم فريق من قبيلة جلاص الموجودة بمنطقة القيروان بجنوب تونس.

ك ـ **الزبدة:** وتنسب إلى زبيد باليمن[1].

ل ـ **السواكرية:** وتنقسم إلى:

أولاد اسماعيل. وأولاد ذياب. وأولاد الحاج ويقولون إن أولاد ذياب وأولاد الحاج ينتسبون للزبير بن العوام.

2 ـ القرافين:

وينقسمون إلى:

أ ـ **الشراعبة:** ينسبون لجدتهم شرعبة بنت الفطاحزة.

وتنقسم هذه القبيلة إلى تسع قبائل.

ب ـ **القشاشطة:** ينسبون إلى جدهم سيدي أحمد بن قشوط القادم من منطقة الجريد بجنوب تونس.

جـ ـ **أولاد نصير:** ومنهم من ينسبهم إلى أنهم من (بني ثور) ومنهم سفيان الثوري.

د ـ **الرضوين:** ينسبون إلى جدهم رضوان بن سليمان الهمامي. وهم من قبيلة الهمامة بجنوب تونس ـ قفصة.

هـ ـ **أولاد زايد:** وأصلهم من زيود الربائع.

و ـ **الحمايدة:** وأصلهم من المحاميد الموجودين بطرابلس الغرب ليبيا. وأبشه بتشاد وهم ثلاث قبائل: الحمايدة، والقعايدة، والعثمين.

ز ـ **الجبابنة:** وهم أولاد مراد، والصوالحة. وأصلهم من نفزاوه بتونس.

---

(1) أنظر: الساسي، المصدر السابق، ص 287 ـ 301.

ح - **مصغونة:** وأصلهم من مدينة الشابه بتونس وهم. الشكايمة. وأولاد زقب،

ط - **الأمايد:** وأشهرهم. أولاد القدة. والرزازقة. والبناينة.

والأمايد أحياناً يسمون أولاد مبروكة نسبة لأمهم.

3 - **العزازلة:**

ينسبون إلى جدهم القادم من المغرب، وتنقسم هذه القبيلة إلى القبائل الآتية:

أ - **أولاد عزيز:** وهذه القبيلة تجمع: أولاد بلقاسم بن عجال وأولاد حمد وأولاد عزيز، ودخلت في هذه القبائل وليست منهم: أولاد احميميد. وأولاد الدردوري وأولاد زواي. وأولاد الحامدية.

ومعهم مجموعة أصلها من بلدة غدامس بليبيا وهم الظواهرية. وأولاد كينة. وأولاد الحاج اليكري.

ب - **البشايرة:** ينتسبون لجدهم (بشير) بالتصغير ومعهم قبيلة (النقر) من نفزاوة. وهم أولاد دبوب وأولاد بوزنه وأولاد الفقيري.

جـ - **الطلايبة:** ينتسبون لجدهم طليبة، وهم مجموعة قبائل.

د - **العبابسة:** وهي خليط من القبائل منهم الصيايفة. لهم أصول من جبل نفوسه بليبيا ويسمون المقاقلة ومنهم الزرايطة والزكايرة والصوالح.

هـ - **أولاد حميد:** وهم هلاليون، ويصبحون خمس قبائل: المحاسنة والخشارمة والكرارشة والسود والسعدين.

4 - **الشعانبة:** وهؤلاء مرَّ ذكرهم منفصلين[1].

80 ـ قبيلة أولاد جامع

قبيلة عربية تستقر بمناطق وادي سوف بجنوب الجزائر. تنسب إلى جامع بن تمون بن عبدالله (صاحب الولاية على طرابلس الغرب عام 602هـ. 1206م) بن إبراهيم بن جامع المرداس أحد أفخاذ بني سليم..

---

(1) أنظر: الساسي، المصدر السابق.

81 ـ قبيلة الأعشاش

قبيلة عربية تستقر بوادي سوف بجنوب الجزائر ويسمون باسم جدهم العش بن عمر بن سليمان من نفزاوه بتونس. وهناك فروع لهم في العين البيضاء ووادي الزناتي وأخرى بقرية باتنة، ومجموعة بالمغرب الأقصى.

وتنقسم إلى عدة قبائل، أهمها:

1 ـ **الفقهة:** أبناء الفقيه بن العش. وهم بنو غنازي وساعي وحشية وبكيني وسي العربي وكذلك بنو الحاقة وأولاد عطية.

ومنهم أولاد سيدي سالم وأولاد موسى وأولاد الغيلاني والرمرام والمقزدر والشايب والغزال وأولاد نصر والعتاتسة والعزايزة والتوامي، ومنهم أولاد الساسي والعيايش وميعادي وبوشارب وبصة والكرباطي والصرايطة وبوغزالة والهقاقة وأولاد بوكوشة.

2 ـ **أولاد خليفة:** نسبة لجدهم خليفة بن العش.

وهم مجموعة من القبائل منهم: أولاد الولاي. وبوظيبة وخشيبة والأفاهي.

3 ـ **أولاد حميدة:** وينقسمون إلى القبائل التالية: أولاد عمار والمانع وأولاد مسعود وأولاد مية وأولاد عائشة والفينك والعبيدي وظريف وابن سعد والتريكي والنفنوف والكلتومي والهامس والدغمين.

4 ـ **أولاد الجبيرات:** ينتسبون إلى جبر بن العش، وينقسمون إلى عدة قبائل أهمها: أولاد البردي والبريدي وأولاد بكار أولاد زريق أولاد الدو أولاد علاهم والجبايلية وأولاد داهم وعموري وعدوكة وقماري وقدورية والنيد والارقط والسواسي وصلوبة والبلالم والبشايرة وجابر وعمار.

كما يلحق بهم أيضاً أولاد عبد الملك وأولاد محمد وأولاد سليمان وغيرهم.

5 ـ **الكساسبة:** ولهم فرع بعين صالح.

6 ـ **أولاد عيسى:** من أولاد عيسى بجبل نفوسه بليبيا، وينقسمون لعدة قبائل أهمها: أولاد الباهي والخلالدية وأولاد مريقة والأباسي وأولاد الدروني وأولاد ابن عيسى.

7 ـ **العيايدة:** وينقسمون إلى: أولاد العيادي والمنصوري ومنصور والغفاق وأولاد عيدة وطعملة وأولاد باسي وأولاد كنيوة.

8 ـ **الحليلات:** وتنقسم إلى أولاد الشيخ علي أولاد اللموشي. أولاد فرج وابن رقية وابن نجمة والجروني والمرخي ولامساسة وأولاد رويحة وابن حدى ولمى والبهيم وأولاد أم هاني والميعادي وأحمد باي وأولاد سعد بن خليفة والحميات.

9 ـ **الزبدة:** وهم الحساسة وأولاد زهمول والنجار والنفيسة والشعياني وبروية وأولاد عمار الأعور وأولاد حمية. وأولاد شتحونة.

10 ـ **مضغونة:** ينتسبون للشابي. وهم: أولاد محمد مسعود وأولاد رجال وأولاد محمد بن فرحات وأولاد الحاج صالح والكبسي والهوامل والقدايرة[1].

82 ــ قبيلة الفرجان.

قبيلة عربية تقطن الجنوب الجزائري وادي سوف. وسبب تسميتها بهذا الاسم كما أوردها إبراهيم الساسي قال: «وسبب تسمية الفرجان بهذا الاسم هو كما ذكر القدماء أن جدهم كان كالمجذوب يتخيل كل شيء يؤذي فارتحل مرة إلى الصحراء وكانت كثيرة الفئران فصار يجري أمامه وعن يمينه وشماله وهو يصيح كلما مرّ فأر بإزائه قائلاً: «الفار جاني» أي الفار أتى لي وكثر منه ذلك وعرف به. وتداولت العامة الكلمة فتصرفوا بها فصارت فرجان ويقال لذريته الفرجان...»[2].

غير أن الفرجان يقولون ان جدهم كان يقول (الفرج جاني) وبذلك سموا (الفرجان).

وينقسم الفرجان إلى: أولاد هلال. والطوافقة. وأولاد بالحسن والعونيات.

وللفرجان فرع كبير بليبيا بمنطقة سرت يتكونون من قبائل الفروج والتوافقة والرمثيات وأولاد أبي عائشة والصيحة.

ولهذه القبائل فرع في ترهونة بليبيا. ويوجد فرجان بمصر وكذلك بتونس[3].

83 ــ قبيلة المغاربة

قبيلة عربية تقطن صحراء برقة الغربية. ينتسبون إلى سليم. ويقول عمر رضا كحالة: «بطن من الجبارنة، من البراغيث، من أبي الليل، من سليم بن منصور، من العدنانية.. ومن

(1) أنظر: الساسي، المصدر السابق، ص 305 إلى 311.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 312.

(3) أنظر: أغوستيني، المصدر السابق، ص 167 و331.

هؤلاء المغاربة، عرب عبدالله بن وافي صاحب الوقائع مع المماليك وكان مقره في التيتلية من ضواحي منفلوط. وقد قتل ابن وافي سنة 1105 ونزلوا مصر في العصور الأخيرة من طرابلس الغرب وكانوا أغنياء جدًّا بالخيل والرجال على عهد الحملة الفرنسية، وكانوا يعسكرون في منتصف قناة العسل..»[1].

والمغاربة لهم جولات مشهورة في حرب الطليان.

وهم من أشهر مربي الإبل في صحراء ليبيا. وينتجعون بحيواناتهم جنوباً. ومركزهم مدينة اجدابية.

84 ـ قبيلة أولاد جازي

قبيلة عربية تقطن صحراء شمال تشاد وهي قبيلة مهاجرة من ليبيا من قبيلة (الجوازي) المشهورة في برقة والتي هاجرت مجموعة كبيرة منها إلى مصر إثر صدامها مع الأتراك. وقد ساهم الكثير من شخصياتهم في الحياة السياسية في مصر أمثال لملوم باشا. واحمد الباسل باشا، ويقول عمر رضا كحالة:

«الجوازي من قبائل العرب في مصر، من الجبارات، من البراغيث من سليم بن منصور، من العدنانية، تقيم في الجيزة، المنيا واسيوط، وقد دخل قسم كبير منها سنة 1883 في الجندية فبلغوا 42٪ من مجموع جيوش العربان. وهي من أقوى القبائل وتمتد منازلها من طور سيناء إلى بر الشام...»[2].

كما يوجد فرع للجوازي بالحجاز.

85 ـ قبيلة أولاد غانم

قبيلة عربية تقطن صحراء تشاد. وهي جزء من قبيلة الغنائمة (بليبيا). وأولاد غنام في صحراء مالي الشمالية.

86 ـ قبيلة أولاد موسى

قبيلة عربية. تقطن صحراء تشاد الشمالية ولها فرع في موريتانيا أولاد موسى وفي جنوب الجزائر وفي مالي وبوركينا فاسو.

---

(1) عمر رضا كحالة، المصدر السابق، جـ 3، ص 1126.

(2) عمر رضا كحالة، المصدر السابق، جـ 1، ص 219.

وقد يكونون أولاد سيدي موسى صاحب (زاوية سيدي موسى في جنوب الجزائر).

87 ــ قبيلة أولاد علي

قبيلة عربية تقطن صحراء تشاد الشمالية، وهي فرع من قبيلة أولاد علي الموجودة في صحراء مصر الغربية وبرقة بليبيا وترهونة، وقبيلة المحافيظ في شمال مالي.

88 ــ قبيلة أولاد بوخدير

قبيلة عربية تقطن شمال تشاد. ولهم فرع في صحراء مالي الشمالية.

«والخدرة هم بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية وهم بنو خدرة بن عوف»[1].

89 ــ قبيلة الهوارة

قبيلة عربية في صحراء تشاد الشمالية. وهم فرع من قبيلة (الهوارة) الكبيرة والشهيرة والتي زحفت مع جوهر الصقلي إلى مصر من برقة واستقرت فيها.

ولا يزال فرع منها ببرقة. وجبل الهواري معروف في منطقة (القفزة) بصحراء برقة.

ويقول عمر رضا كحالة:

«الهوارة من قبائل مصر، تنتسب إلى عرب الحجاز وتقيم في مديرية البحيرة»[2].

ويقول أيضاً إن لها فرعاً بفلسطين.

90 ــ قبيلة بني حسن

قبيلة عربية تقطن صحراء تشاد الشمالية تنتسب لقبيلة (اداو بالحسن) في صحراء موريتانيا الذين قد تكون لهم قرابة بقبيلة (الحسون) بليبيا. ويقول عمر رضا كحالة:

«الحسانية من أشهر قبائل العرب، تنتسب إلى الكواهلة. تقيم في صحراء البيوضة بالسودان، مركزها جبل الجلف في صحراء الجكدول»[3].

---

(1) أنظر: كحالة، المصدر السابق، ص 333؛ والقلقشندي.

(2) عمر رضا كحالة، المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

91 ـ قبيلة السليمية

من قبائل العرب في صحراء تشاد والسودان تنتسب إلى جدها سليم.

92 ـ قبيلة أولاد مالك

إحدى القبائل العربية التي تقطن صحراء تشاد الشمالية. وقد أورد عمر رضا كحالة عدة قبائل عربية بهذا الاسم في الجزيرة العربية وفي مصر والمغرب.

وقد أورد أن إحداها تنتسب لجهينة. وأظن أن أولاد مالك هؤلاء من جهينة المتواجدة في المنطقة.

93 ـ قبيلة خزام

قبيلة عربية. تقطن صحراء تشاد الشمالية وربما تكون لها صلة نسب مع قبيلة أولاد خزام بغريان بليبيا.

94 ـ قبيلة علوان

قبيلة عربية تقطن صحراء تشاد الشمالية، لها أصول من قبيلة (العلاونة) قرب طرابلس الغرب ليبيا وقبيلة (هون) بالجفرة، والعلوان يقول عمر رضا كحالة: «فرقة من الزيادات. من الجبورية من عباد إحدى قبائل منطقة البلقاء. وهي فرع من عشيرة العلاونة في قرية طيبة بن علوان من أعمال ناحية الوسطية بعجلون..»[1].

95 ـ أولاد محارب

قبيلة عربية تقطن صحراء تشاد الشمالية ينتمي نسبهم إلى سليم.

يقول كحالة:

«محارب بطن هيث بن بهنة من سليم من العدنانية، كانت دياره برقة ثم نزل مصر في العصور الأخيرة قبل الحملة الفرنسية إلى مصر بحوالي قرن تقريباً»[2].

وقد ذكرها القلقشندي ونسبهم إلى سليم.

---

(1) عمر رضا كحالة، ص 809.

(2) عمر رضا كحالة، ص 1042.

96 ـ أولاد عيسى

قبيلة عربية تنتشر في صحراء تشاد الشمالية لهم فروع في ليبيا. ذكرهم القلقشندي قال:

«بنو عيسى بطن من بنو رغو جذيمة جرم طي من القحطانية مساكنهم مع قومهم ببلاد غزة من الشام..»[1].

97 ـ الجلابة

قبيلة عربية قوية تتواجد بمنطقة صحراء السودان ولها فرع في تشاد.

قال الماحي عنهم:

> «... ذكر (التونسي) أن الجلابة وصلوا واداي منذ عام 1875 وأقاموا فيها مجتمعاً تجارياً. وقد منحهم السلطان يوسف بن محمد الشريف (1874 - 1898) قرية (نمرو) التي عرفوا بها فيما بعد جلابة نمرو...»[2].

98 ـ السلامات

قبيلة عربية قوية. تقطن المنطقة الحدودية بين تشاد والسودان. نزحت من ليبيا في تاريخ ليس بالبعيد وبقيت فروعها في منطقة ترهونه بليبيا (السلامات)، وكذلك مجموعة بالجبل الغربي بليبيا تسمّى (السلامات)، وهي قبيلة مشهورة بالفروسية والشجاعة.

وتنضم إلى تجمع جهينه في المنطقة.

99 ـ المحاميد

قبيلة عربية مشهورة في المنطقة تنتمي إلى سليم. تقطن في منطقة (ابشه) على الحدود بين السودان وتشاد.

نزحت من ليبيا أيام الحكم العثماني وأيام ثورة هذه القبيلة على الأتراك.

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق، ص 346.

(2) عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894 - 1960)، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 81 - 82.

لها فرع في جنوب الجزائر بوادي سوف. وفرع بمنطقة (قبلي) بجنوب تونس. وفرع بجنوب شرق المغرب بسور الغزلان.

إن أصل القبيلة فيقطن ليبيا في منطقة (صرمان) (وبئر الغنم) غرب طرابلس الغرب.

وهذه القبيلة مشهورة بالفروسية والشجاعة والإغارة. وقد لعبت دوراً بارزاً في تاريخ جهاد المنطقة. وللمحاميد فرع في هذيل باليمن. وهم أيضاً بطن من ميمون من بنى سالم بين مكة والمدينة. ولهم فرع بالبلقاء وفرع بحوران بسوريا[1].

100 ـ قبيلة الحساونه

قبيلة عربية. انتقلت من ليبيا إلى منطقة كانم في تشاد. ولا يزال أصلها قبيلة الحساونه بفزان. ويسمى باسمهم جبل الحساونه بالحماده الحمراء بليبيا ووصلت هذه القبيلة إلى كانم قبل وصول أولاد سليمان إليها. وتقول الرواية أن جدها (حسونة الغربي) جاء إلى المنطقة في الفترة التي قدم فيها (عبدالله الجهيني) من الجزيرة العربية.

ويهتم الحساونة بتربية الماشية وخاصة الإبل والبقر. ولهم فيها قطعان كثيرة.

وعندما هاجر بعض أفراد قبيلة الحساونة الليبية ـ أيام الاحتلال الإيطالي ـ من ليبيا استقروا بكانم عند أبناء عمومتهم هناك.

101 ـ قبيلة ورفلله

قبيلة عربية انتقلت من موطنها الأصلي ليبيا إلى منطقة كانم بتشاد على دفعات متتالية ضمن الحملات التي بعث بها يوسف القره مائلى لدعم موقف سلطان برنو الشيخ محمد الأمين الكانمي. وكانت الحملات الثلاث 1817 ـ 1826 ـ 1842 سبب تواجد القبائل الليبية أولاد سليمان ورفلله، قذاذفه في المنطقة.

كما لحقت بهذه المجموعة آخر المجموعات التي هربت من الزحف الإيطالي على ليبيا عام 1931 ووصلت إلى هناك.

وقد ساهمت هذه القبائل في الجهاد ضد الغزو الفرنسي عام 1899 على تشاد وقادت معارك

(1) أنظر: كحالة، المصدر السابق، ج 3، ص 1046.

ضارية ضد الفرنسيين من عام 1899 إلى سنة 1920 في تشاد والنيجر[1].

وتشتهر قبائل ورفلله بكانم بتربية الإبل والماشية. ولا تزال سمة الإبل التي يسمون بها إبلهم في كانم هي نفس السمة التي يضعها أهالي ورفلله بليبيا على إبلهم.

102 ـ قبيلة المجايرة

قبيلة عربية تستقر في منطقة (القفرة) بجنوب ليبيا. نزح فرع منها إلى منطقة (فايا) شمال تشاد حيث استقروا هناك يمتهنون التجارة وتربية الماشية. وهناك فرع للجايرة بالبلقاء في الأردن[2].

103 ـ القذاذفة

قبيلة عربية مرابطة تقطن صحراء سرت تنتمي إلى جدها (قذاف الدم) دفين غربان في منطقة أولاد بريك بالجبل الغربي بليبيا.

وترجع هذه القبيلة نسبها إلى موسى الكاظم دفين العراق.

وللقذاذفة فرع بكانم شمال نيجيريا وفرع بمصر حول بحيرة قارون يسمّون أولاد موسى.

وتشتهر هذه القبيلة بتربية الإبل.

104 ـ أوراغن

قبيلة عربية تارقية تقطن منطقة غات بجنوب غرب ليبيا، وتنقسم إلى عدة قبائل.

105 ـ منغساتن

قبيلة عربية في عداد التوارق يرجع أصلها إلى قبيلة المقارحة العربية. وتقطن منطقة درج وأوباري وادري.

106 ـ قبيلة أزوية

قبيلة عربية تستقر بمنطقة (القفره) بجنوب شرق ليبيا. ومنطقة (تازربو).

---

(1) أنظر كتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، للمؤلف.

(2) أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ص 151.

هاجرت مجموعات منها في تواريخ مختلفة واستقرت في شمال تشاد حول مدينة (فايا) و(داي) و(فادا).

ساهم أفرادها العلماء منهم في نشر الدين الإسلامي في المنطقة. ويرز من بين علمائها الأفذاذ الشيخ عبدالله الطوير والشيخ البراني الساعدي اللذان أسسا زوايا قرآنية في منطقة الصحراء وامتشقا السلاح وقادا الجهاد ضد الفرنسيين وقاتلا قتالاً مستميتاً من عام 1900 إلى عام 1907 حيث استشهدا في معارك الجهاد. وقد استشهد في معركة (عين كلكا) عام 1907 ضد الفرنسيين ستون شهيداً من قبيلة زويه وحدها. وقد لعبت هذه القبيلة دوراً مميزاً في الجهاد وفي نشر العلم في الصحراء الوسطى[1].

107 ـ قبيلة الشوا

قبيلة عربية تتواجد في شمال التوجو. وجنوب وشرق تشاد وفي النيجر وشمال نيجيريا.

وكلمة الشوا تحريف للكلمة (الشاويه) والتي تعني رعاة الغنم. ولهذه القبيلة فرع كبير بجنوب الوسط الجزائري وتسمّى (الشاويه). وقبائل الشوا قبائل مقاتلة، قوية المراس لها في الفروسية باع طويل ولهجتهم أقرب للهجة أهل الحجاز[2].

108 ـ قبيلة القرعان

قبيلة عربية تقطن شمال تشاد. وتتحدث لهجة عربية قديمة كالتيو والتوارق وغيرهم.

لهذه القبيلة فرع كبير في شمال شرق ليبيا (القرعان) وقد تكون لها علاقة بقبيلة (القرع) الموجودة بالساقية الحمراء وموريتانيا.

وقبيلة القرعان قبيلة محاربة شديدة المراس قاومت الاستعمار الفرنسي بضراوة ضمن قبائل الصحراء التوارق، التيو.

ويربيّ القرعان الإبل بأعداد وفيرة.

---

(1) أنظر كتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، المؤلف.
أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى.

(2) دائرة المعارف الإسلامية/ مادة شوا.

ويوجد فرع من قبيلة القرعان بمنطقة عجلون بالأردن وأخرى بمنطقة عسير بالحجاز وفرع بمنطقة الكرك. وفي بني خالد شمال الأردن وبطن من العقيدات بالجزيرة لسوريا[1].

109 ـ قبيلة البقّاره

هي مجموعة من القبائل العربية. أو هي تجمّع قبائلي في مناطق غرب السودان على الحدود مع تشاد. يحترفون رعي البقر وتربيته فسمّوا البقّاره.

وقد اعتمد محمد المهدي السوداني في تأسيس دعائم دعوته والجهاد لها على قبائل البقّاره التي صاهرها فدعمته ضد الإنجليز والمصريين في حربه الجهادية وضد الأحباش.

واندفعت هذه القبائل تذب عن المذهب الجديد تحت راية خليفة المهدي عبدالله التعايشي.

وقبائل البقّاره قوية الشوكة، طموحة، محبة للحرية، تأبى الضيم وترفضه. ولقبيلة البقّاره فروع في سوريا بمنطقة دير الزور، ولها فرع كبير في كردستان الوسطى[2].

110 ـ قبيلة الزغاوه

قبيلة الزغاوه قبيلة عربية تستقر بمنطقة شرق تشاد وغرب السودان.

ساهمت في الجهاد، وتأسيس حركة رباح الزبيري في غرب السودان وتشاد. وفي اسقاط ممالك باقرمي وكانم وبرنو[3].

كما ساهمت معه في الجهاد ضد الفرنسيين في السنوات 1899 - 1900 - 1901 - 1902.

وقبائل الزغاوه لها فرع كبير في ليبيا (المزاوغه) وفي شمال النيجر (أمزوغن)، وهو فرع من توارق شمال النيجر.

وتربّي هذه القبائل الإبل. وتشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام. ولها دور مميز في ثورة تشاد ضد فرنسا وضد الحكام الذين نصبتهم فرنسا على تشاد.

---

(1) أنظر: عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج 3، ص 946.

(2) أنظر: عمر رضا كحالة، جزء 1، ص 87 - 88.

(3) أنظر: أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء 6.

111 ــ قبيلة الرزيقات

قبيلة عربية كبيرة. تستوطن السودان الغربية على الحدود مع تشاد.

وصلت هذه القبيلة إلى الصحراء عن طريق ليبيا. ولها فرع كبير في ليبيا (المرازيق) و(الرزيقات). وكذلك في جنوب تونس قبيلة (المرازيق). وهي مشهورة بمواقفها الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي.

وقد ساهمت قبيلة الرزيقات في نشر الإسلام في المنطقة. وهي من القبائل التي التحمت مع المهدي لنشر دعوته وجهاده ضد الإنجليز.

وتربّي قبيلة الرزيقات الإبل، ولها خيول عربية مشهورة.

112 ــ قبيلة الكبابيش

من أكبر القبائل العربية في السودان. وتقطن المنطقة الوسطى من صحرائه.

وتكوّن الكبابيش مع قبائل الجعليين والكواهلة ومختلف قبائل البقّاره أكبر التجمعات القبلية العربية في صحراء السودان.

وقد لعب الكبابيش دوراً مميزاً في حرب عبدالله التعايشي ضد الإنجليز.

113 ــ قبيلة بني عامر

تعتبر قبيلة البني عامر من أكبر القبائل العربية في منطقة الصحراء الشرقية (السودان ـ أرتريا) بعد قبائل (الحوصه والفلان).

وقد انتقلت هذه القبيلة من اليمن عن طريق باب المندب إلى شرق أفريقيا. وكوّنت كونفيدرالية كبيرة انضمت إليها الكثير من القبائل العربية في المنطقة، بحيث أصبحت تعد اليوم أكثر من مليونين ونصف من السكان.

وقد ساهمت قبائل البني عامر في التصدّي للاستعمار الأوروبي على أرتريا ابتداءً من البرتغاليين 1520 م. وانتهاءً بالاستعمار الإيطالي 1869 ـ 1885 ـ 1890، عندما انتهت إيطاليا من احتلالها لأرتريا إلى الاحتلال الإنجليزي 1943 إلى الاحتلال الحبشي 1951 إلى الآن.

وقد كوّنت قبائل البني عامر إمارات في المنطقة كانت من القوة بمكان وأخضعت الكثير

من المواقع الأفريقية في شرق القارة والقرن الأفريقي لسيطرتها. وأشهر هذه الممالك التي كوّنتها قبائل البني عامر في القرن الحادي عشر الميلادي في أرتريا واستمرت إلى القرن السابع عشر الميلادي.

وتشتهر قبائل البني عامر بالشجاعة وقوة الاحتمال والاندفاع في الحرب. وقد انخرط أفراد قبائل البني عامر في الثورة الأرترية منذ اندلاعها 1961 وحتى الآن.

ويضع رجل البني عامر على خدّه ثلاثة شلوخ وهي السمة المميزة لهم.

ويربّي قبائل البني عامر الإبل والماشية بأعداد وفيرة، كما يربّون الخيول.

114 ـ قبيلة النوبة

وتسمّى قبائل النوبة وهي قبائل عربية سمراء البشرة تقطن منطقة شمال السودان وجنوب مصر.

ولقد لعبت هذه القبائل في التاريخ العربي الإسلامي أدواراً بارزة. وأغلبها من القبائل العربية المتواجدة في المنطقة قبل الفتح الإسلامي. وقد أسماهم الفاتحون العرب (رماة الحدق) لدقة تصويبهم بالسهام.

وما إن اعتنقت الإسلام حتى سارعت لنشره في جنوب الصحراء ووسطها. وبرز منهم علماء وفقهاء واستوطن الكثير منهم بلاد مصر. ولا يزال الكثيرون منهم يعيشون عيشة البداوة. ويتكلمون لهجة حميريه قديمة.

115 ـ قبائل البجّة

وهي مجموعة من القبائل العربية سكنت شمال شرق السودان وكوّنت في فترة من فترات تاريخها مملكة عرفت في التاريخ باسم (مملكة البجه) وتسمّى أحياناً مملكة (البني عامر).

وينخرط تحت اسم البجه مجموعة من القبائل العربية، أهمها:

1 ـ العبابده.

2 ـ البشاريين.

3 ـ الأحرار.

4 ـ الحلانقة.

5 ـ الحباب.

كما ينضوي تحت لواء البجه مجموعات من قبائل البني عامر المعروفة.

ومن أقدم مدن البجه سواكن وعيذاب.

116 ـ قبائل الفونج

قبائل عربية ترجع بنسبها إلى بنى أمية وصلت إلى جبل (الفونج) هروباً من العباسيين فسمّيت باسم الجبل.

واستطاع عماره دونقس وعبدالله جماع من هذه القبائل تأسيس مملكة عرفت في التاريخ باسم (مملكة الفونج) عام 1505، وقد اسقطت الإمارات المسيحية التي تجاورها، مثل (مقره) و(عدوه) وغيرها. وقد بنت هذه المملكة لها مدينة اتخذتها عاصمة اسمها (سنار) عام 910 هـ. وسميت المملكة أخيراً باسمها (مملكة سنار).

وشملت أراضيها بين النيل والبحر الأحمر وضمّت في بعض الأحيان كردفان.

وقد اشتعلت الحرب بين هذه المملكة وبين الحبشة عام 1744 م.

وقد اهتم أمراء هذه المملكة بنشر الدين الإسلامي والفكر الإسلامي والتشريع.

117 ـ قبائل الحُمُر

وهي مجموعة من القبائل العربية تسكن منطقة كردفان، وتنقسم إلى قسمين:

قبائل الحمر: وقبائل الزرق. ويقال إن جدهم واحد، ولكنهم سمّوا حسب ألوانهم. وقد يكون لهذه القبائل نسب مع قبائل الحمارنه في الجنوب التونسي.

118 ـ قبيلة الجعليون

من أشهر وأكبر القبائل العربية في السودان. تقيم على شواطىء النيل الكبير. ويقول عمر رضا كحاله:

«... وقد انقسمت إلى أكثر من ثلاثين بيتاً، منهم العمراب والمجاذيب والعبابسه والرازقيه والسعداب والعوضيه والنفيعاب والنافعاب والمكابراب والانقرياب.

وقد عرف الجعليون منذ أول عهدهم بالشجاعة واقتحام الأخطار وحب الأسفار. فتراهم منتشرين في جميع أقطار السودان والحبشة.

وقد كانت بينهم وبين الفونج وقائع معدوده. وكانوا في حروب مستمرة مع الشايقيه وأهل البادية المجاورين لهم كالشكريه والكواهله..»[1].

119 ـ قبيلة حامد

قبيلة عربية تقطن وسط صحراء السودان وهي أشهر قبائل بادية كردفان وتعرف بدار حامد، وتنقسم إلى عدة بطون أشهرها الجليدات والمجانين المساعيد المرامره النواهية والعريفيه[2]. وقد يكون للجليدات فرع بتونس يسمّى الجليدات بمنطقة الرماده بغرب جمهورية تونس.

120 ـ قبيلة البوغوص

قبيلة عربية تقطن مناطق أرتريا وتتفرّع لعدة فروع، أهمها:

عد عديميس، بيت قبروا، عدزمات والسوكوتايتى، وكلهم يمنيون.

كما تضم: تريسا وباب جنقرين بيت جوك لاماشللي بيت مقروا وبيت تومى[3] ويمتهن قبائل البوغوص الرعي والزراعة[4].

121 ـ الدهالك

الدهالك سكان أرخبيل جزر دهلك، وهم عرب. أحفاد المسجونين في هذه الجزر من قبل حكام الجزيرة الغربية على مدى العصور وخاصة الخليفة سليمان بن عبد الملك.

يحتهنون الرعي، واستخراج اللؤلؤ والمرجان[5]، ويحتوي أرخبيل دهلك على أكثر من مائتين وستين جزيرة أغلبها خالياً من السكان.

---

(1) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الأندلس بنغازي، ليبيا، جـ 1، ص 196.

(2) أنظر: عمر رضا كحالة، المصدر السابق، جـ 1، ص 236.

(3) أنظر: حامد صالح تركي: أرتريا والتحديات المصيرية، دار الكنوز الأدبية، بيروت ـ الطبعة الثانية، 1979، ص 193.

(4) أنظر: حامد تركي، المصدر السابق، ص 195.

(5) المصدر السابق، ص 196.

122 ـ قبيلة الرشايده

قبيلة عربية، آخر النازحين العرب إلى الشاطىء الشرقي الأفريقي.

يقيمون الآن بأرتريا. وقد نزحوا من المنطقة ما بين جده والمدينه.

وهم رعاة ومزارعون[1]، ولهم فرع بأفريقيا الوسطى أولاد راشد وفي تشاد.

123 ـ قبيلة الأشراف

قبيلة عربية، ترجع بنسبها إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء.

يقيمون حالياً في اغردات وعنسبه السفلى من منطقة أرتريا.

ويشتغلون بالرعي والزراعة[2].

والأشراف موزعون بين أغلب القبائل العربية في الصحراء الكبرى.

124 ـ قبيلة الدناكل

قبيلة عربية تقطن أرتريا. أهم عشائرهم الإنكالا والحضارم، داهميلا، دهويتاعد، ناغارتو، باليسورا وداموهيتا. ويمتهن الدناكل الرعي والزراعة.

ويتكلمون اللهجة العفرية إحدى اللهجات العربية القديمة[3]، إذ أن الدناكل يسمّون (عفر)[4].

125 ـ قبيلة اساورتا (العليا)

قبيلة عربية. تقطن أرتريا في منطقة فرو وغربي زولا وقيسام وقوجيتو وزعتري، وينقسمون إلى الفروع الآتية:

بيت فقرتو، بيت عساكري، بيت عساليسان وبيت ليليش. ويمتهنون الرعي والزراعة[5].

---

(1) أنظر: حامد تركي، المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) (عفر) معناها أحمر بلهجة المهري. وجاءهم الاسم من ألوانهم، أي أنهم ليسوا سود البشرة.

(5) أنظر: حامد تركي، المصدر السابق.

126 ـ قبيلة اساورتا (السفلى)

قبيلة عربية تقطن خليج أرافلي وزولا وفرار وقسم من شواطىء أرتريا.

وهم رعاة ومزارعون.

وينقسمون إلى العشائر الآتية: بيت خليفة، بيت قاضي، بيت جوغاز، بيت نصرالله، بيت شيخا، بيت توكل، بيت سليمان وبيت علي دانيا[1].

127 ـ قبيلة الحباب

قبيلة عربية تقطن صحراء أرتريا قرب البحر الأحمر. وتنقسم إلى العشائر الآتية[2]:

عد تماريام، عد تكليس، وعد هبتيس. ويتكلمون التقره أو لهجة التقراي. يشتغلون بالرعي والزراعة[3].

128 ـ قبيلة عد ام سيفا

قبيلة عربية تقطن أرتريا قدمت لها من اليمن وربما يرجعون بنسبهم إلى سيف بن ذي يزن. ويمتهنون الرعي والزراعة[4].

129 ـ قبيلة منغري

قبيلة عربية تقطن صحراء أرتريا. وتنقسم إلى عدة فروع، أهمها:

رسمو، فهازو، حزو التي تنقسم إلى عشائر أخرى.

ويمتهن المنغري الرعي والزراعة[5].

---

(1) أنظر: المصدر السابق.

(2) أنظر: المصدر السابق.

(3) أنظر: حامد تركي، المصدر السابق.

(4) أنظر: المصدر السابق.

(5) أنظر: المصدر السابق.

130 ـــ قبيلة شوما

قبيلة عربية تستقر في أرتريا قدمت إلى المنطقة من الحجاز.

استوطنوا مع الحباب ثم انفصلوا عنهم. يقومون بالزراعة والرعي.

131 ـــ قبيلة عد معلم

قبيلة عربية يقيم أفرادها في أرتريا وهم فرع من الحباب يقطنون في أبكا وأنا غيت. يمتهنون الرعي والزراعة.

132 ـــ قبيلة عدها سري

قبيلة عربية. وهم فرع من قبيلة البني عامر ويعرفون ببني عامر الساحل. يقطنون الشواطىء الأرترية. ويمتهنون الرعي والزراعة وصيد البحر.

133 ـــ قبيلة طروعه

قبيلة عربية. تقطن أرتريا ويتفرعون إلى بيت موسى وبيت ساره.

134 ـــ بيت معلا

قبيلة عربية تقطن أرتريا. كانت فرع من قبيلة بني عامر وانفصلت عنها. يمتهنون الرعي وتربية الماشية والزراعة.

135 ـــ عد شيخ

قبيلة عربية قدمت إلى أرتريا من الحجاز ولا تزال لها بقية هناك. يمتهنون الزراعة والرعي.

136 ـــ قبيلة كيتا

هذه المجموعة ليست قبيلة ولكنها مجموعة الشعراء والمداحين المتفرقين في افريقيا الغربية والوسطى والقاصين للقصص الشعبي. وهم يقولون ان جدهم (سراقة) ذلك الذي لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته ومعه رفيقه أبو بكر الصديق.

ولكثير من التفاصيل يمكن الرجوع لتاريخ افريقيا العام الذي قامت بنشره اليونسكو.

الفَصل الرَابع

النظامُ الإجْتماعيُ وَالإقتصَاديْ



للعرب في الصحراء الكبرى نظام اجتماعي متوارث عند العرب في جزيرتهم قبل الإسلام.

وهذا النظام متبع ومحترم من الجميع، ولا أحد يستطيع بسهولة تجاوزه أو تحطيمه.

فالتركيبة الاجتماعية عند عرب الصحراء معروفة فيما بينهم مقسّمة حسب الحِرف وحسب النسب وحسب القوة. حتى أضحى المجتمع الصحراوي يتركب من طبقية واضحة ذات أصول موغلة في القدم. ومن الغريب أن كل طبقة من هذه الطبقات تفخر مجموعتها بأنها من الطبقة ذاتها وأنها توارثت هذا الوضع عن أباء وأجداد لهم باع في حرفة الطبقة أو طباعها.

ويتكون المجتمع العربي الصحراوي من الطبقات الآتية:

1 ـ الأشراف:

وهي المجموعات أو الأفراد الذين يرجعون بنسبهم إلى الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء. ويكون نسبهم معترفاً به عند الجميع. ويحملون شجرة نسب موقّعة من علماء وفقهاء وقضاة يجلّهم الجميع، ويقبلون شهادتهم.

وقد يسبق اسم الشريف في الصحراء اسم (مولاي) أو (سيدي).

وهناك قبائل شريفة ترجع بنسبها إلى السلسلة الشريفة إلى فاطمة الزهراء.

ويتولى الأشراف قيادة القبائل وزعامتها الدينية والدنيوية.

وفي المغرب العربي يكفي أن يكون المرء شريفاً فيصل به نسبه إلى أعالي السلطة القبلية. والتاريخ يذكر لنا كثيراً من الحركات والإمارات التي قامت في هذه المنطقة على هذا المفهوم.

2 ـ العرب:

وتسمّى بهذا الاسم القبائل العربية المحاربة القوية الشكيمة، التي تغزو القبائل الأخرى وتهزمها، والتي تحمل السلاح للقتال لتحمي نفسها وتحمي القبائل المنضوية تحت جناحها والمحتمية بها.

وتسمّى هذه الطبقة عند عرب التوارق (النبلاء) أو الأشراف، أو (ايموشاغ).

وتسمّى هذه الطبقة في الساقية الحمراء وموريتانيا (عرب حسان) أو (أولاد حسان)، وتعني العرب الذين وفدوا إلى المنطقة في هجرة قبائل بني هلال وبني سليم وعرب المعقل في القرن الخامس الهجري.

وتتمثّل هذه الطبقة في قبائل أولاد بو السباع وأولاد دليم وأولاد غيلان وأولاد الناصر، وغيرهم.

3 ـ المرابطون:

وهم القبائل أو الطبقة التي لا تحمل السلاح وتختص بتعليم القرآن وتحفيظه للطلاب، وتدريس علوم الدين واللغة. ويطلق على الفرد منها اسم (المرابط).

وهذه المجموعة تهتم بالتعليم والعلم ويتنقّل الفرد منها في مخيمات العرب والزوايا بمدرسته ليعلّم الناس أصول لغتهم وأصول دينهم. وهذه المجموعة تتكوّن منها قبائل، ويتكوّن منها أفراد يتوزّعون في مختلف القبائل.

4 ـ الزوايـــــا:

هي القبائل المقهورة في الحرب، يُفرض عليها إلقاء السلاح وعدم حمله في وجوه الآخرين. وتبقى كل قبيلة من الزوايا تحت حماية قبيلة من العرب تدافع عنها وتدفع عنها الضيم. ومقابل ذلك تدفع لها القبيلة (الزاوية) الجزية كل عام نظير ذلك.

وتمتهن قبائل الزوايا رعي الماشية وتربيتها ولا شيء غير ذلك.

5 ـ المطربون:

مجموعات من الناس من قبائل مختلفة تمتهن الطرب والعزف والغناء. وتقرض الشعر وتغني

به في المناسبات وبدون مناسبات. ويسميهم سكان الصحراء (ايقيّوْ) والمرأه (تقيّوّتْ) وهو اسمهم بلهجة صنهاجه.

ويتعيّش المطربون على ما يقدمه لهم الناس والأمراء من عطايا وهبات.

وسكان الصحراء يخشون ألسنة المطربين وذمهم. ويُعتبر المطرب جريدة القبيلة يدافع عنها ويمتدح بطولاتها ويفخر بأيامها.

ولكل أمير من أمراء الصحراء مجموعته الخاصة من المطربين يسكنون قرب خيامه (حلّته)[1]. وينفق الأمير على أسرته وعلى المطربين والحدادين الموجودين في قبيلته. ومقابل ذلك يمدح المطربون الأمير ويعدّدون مناقبه وخصائصه وشجاعته في الشعر والغناء ويعدّدون أيام انتصاراته ويدافعون عن نقائصه وعن هزائمه ويجدون لها المبررات أمام هجمات مطربي القبائل الأخرى المنافسة.

وقد زخر الأدب الصحراوي بالكثير من القصائد والمناقضات الشعرية بين مطربي القبائل وعازفيهم.

6 ـ الحدادون:

ويسمّونهم (المشغاله) من (الشغل) ويسمّونهم (المعلمين) وهم أصحاب الحرف اليدوية الذين يصنعون السلاح والسيوف والسكاكين والدرق ونعال الخيل وسروجها وألجمتها. ويصنعون رواحل الإبل وأغلب حلية الصحراء الفضية والذهبية. وتصنع زوجة الحدّاد الجلود والوسائد من الجلد وسيور الجلد التي يزيّن بها رحل الجمل والخزام. وكذلك زينة هودج السيدات الصحراويات كما تزين زوجة الحداد العروس ليلة عرسها وتشرف على زينتها طيلة أيام العرس.

والمعلمون حاذقون للصنعة يتقنونها إلى أبعد حدود الإتقان ويقلّدون كل شيء، كصناعة الإسوره والخواتم والأحزمة، وحتى البنادق رأيتهم يصنعونها، ويصنعون أخمصها من خشب الجداري، وقولبة الحديد بعد إذابته لصنع الأشياء اللازمة.

وكل شيء في الصحراء تراه من صنع الحدادين والحدادات.

---

(1) الحلّة: هي مجموعة خيام الإمارة بما فيها خيمة الأمير.

والحدادون ليسوا قبيلة وإنما هم حرفيون جمعتهم الحرفة، وموزعون في كل القبائل. إذ لكل قبيلة حداديها وشغيلتها. وقد ينتقل هذا الحداد من هذه القبيلة إلى القبيلة الأخرى، ومن منطقة إلى المنطقة الأخرى.

والقبيلة التي يكون فيها عدد أكبر من الحدادين تكون قوية وغالبة لأنهم يصنعون لها السلاح أيام أن كان السلاح يتركز على السيوف والرماح والنشاب.

ولكل أمير حداده الذي يرسله في المهمات ويستشيره في أموره الخاصة.

وقد ارتفع شأن الحدادين والمطربين أيام دولة إمارة (أولاد امبارك) في الحوض الشرقي لموريتانيا. هذه الإمارة التي اصبحت بفضل كثرة حداديها وإتقانهم لصناعة السلاح من أقوى القبائل والإمارات في المنطقة.

7 ـ الحراطين:

ومفردها (حرطاني) وهي تطلق على العبيد العتقاء أي الأحرار. ومعنى الكلمة (الحر الثاني).

وهذه المجموعة لا تكوّن قبيلة ولكنها موزعة بين القبائل. وتمتهن الرعي والزراعة. وبالرغم من أنهم أحرار فهم يراعون الولاء لعائلات أسيادهم القدامى.

8 ـ العبيد:

وهم طبقة الأرقّاء الذين استعبدوا لسبب من الأسباب منذ زمن بعيد. وهؤلاء مقسمون، إذ لكل خيمة أو أسرة عبيدها الذين يرعون الإبل والبقر، ويقومون بحلبها والإشراف عليها ويسقون الماء ويجلبون الحطب، ويطبخون الطعام ويغسلون الأواني والملابس، ويبنون الخيام، ويقومون على خدمة الضيوف الذين ينزلون بخيمة سيدهم.

وأثناء الرحيل هم الذين يحمّلون الإبل ويساعدون سادتهم وسيداتهم على الركوب ويهتمّون بخيول السادة، ويمرّنونها ويروّضونها، ويشرفون على إطعامها وسقيها وتعهدها. ويقوم عبيد الإمارة بدور الشرطة والحجاب. وهم الذين يمنعون الناس من الدخول ويأذنون لهم بعد إذن الأمير، ويقومون بحراسته والدفاع عنه. كما تقوم إناث العبيد بمساعدة سيداتهن في العمل ويقمن بأعمال البيت من طبخ ورحي ومخض اللبن وتمهيد هودج السيدة ومساعدتها على الدخول للهودج والخروج منه، وتنام بجانبها لمؤانستها عند غياب زوجها. والمرأة السيدة لا

تشتغل بأي شيء أبداً من أعمال البيت. كما يقمن بـ (تبليح) السيدات الصغار، وهي عملية تجميلية ليصبحن ممتلئات الجسم. وذلك بدلكهن وإرغامهن على الطعام كاللبن واللحم والنشا والدهن، وهذا العمل يقوم به الخدم.

والعبودية في الصحراء الآن تكاد تنقرض ولم يبق منها إلاّ الولاء الأخوي بين الأسر المستعبَدة والمستعبِدة.

9 ـ الزناقه:

ليست قبيلة واحدة أو طبقة، وإنما هي مجموعة قبائل صغيرة من بقايا صنهاجه. مهمتها رعي الماشية وخاصة الإبل. ويقول بعض الرواة أن الاسم جاءها من كلمة (زنيقه) وهي الأرض المعشوشبة الصغيرة التي تقع بين المزارع حيث تسمّى في الشمال الأفريقي بهذا الاسم.

10 ـ الأمغاد:

هي طبقة تتكون من أسرى الحروب القديمة لدى عرب التوارق. ويتكوّن منهم جند الإمارة أو السلطة. وهي طبقة المقاتلين عند عرب التوارق. ومفرد هذه المجموعة (امغيد) ويقولون أيضاً (مغيط) و(مغاطي).

11 ـ النمادي:

وهذه المجموعة تشكل شبه قبيلة يمتهنون صيد الوحوش وبيع لحومها في الأسواق القريبة وهؤلاء الناس حمر الشعور، بيض الوجوه وبعضهم زرق العيون. يقول عنهم بعض الناس إنهم من بقايا مملكة (نوميديا).

والنمادي أشبه الناس بعرب الشام وهم يعيشون تحت أشجار الطلح والسدر وحياتهم أشبه بحياة صعاليك العرب.

والنمادي يستخدمون في صيدهم كلاب السلوقي. وتقدّر ثروة أحدهم بما يملك من كلاب صيد. ويعتمدون في بيعهم وشرائهم على الكلاب يقاضون بها. وحتى مهور زوجاتهم يدفعونها بالكلاب فالمرأة كلما كانت جميلة ورفيعة النسب لزم لمهرها أكثر عدد من الكلاب، ويقل العدد إذا كانت غير ذلك.

وهم يعيشون في المنطقة الحدودية بين مالي وموريتانيا قرب مدينة النعمه وولاته. والنمادي

أكثر الناس وفاءً وأكثرهم عدواً حتى قيل لي إن الرجل منهم يطارد الغزال بكلبه فأحياناً يسبق الرجل الكلب. وهم أكثر الناس خبرة بمسالك الصحراء وطرقها وآبارها.

* * *

هذه هي التركيبة الاجتماعية في المجتمع العربي الصحراوي وكل طبقة لها عاداتها وتقاليدها لا تتعدى على عادات وتقاليد الطبقات الأخرى. وقد شاهدتهم عند الأكل كل شخص من طبقة يعرف سهمه من اللحم فيتناوله دون أن يعتدي على حصة غيره أو يعتدي غيره على حصته. بل ومن العيب أن يتناول فرد من طبقة ما حصة شخص آخر من طبقة أخرى.

فلقد رأيت العبيد والحراطين يأخذون رأس الشاة وكرشها، وهي لهم عند الوليمة.

أما الحدادون فيأخذون مؤخرة السلسلة الفقرية للشاة والرقبة.

والآخرون يأكل كل شخص لحمته حسب منزلته الاجتماعية.

ذكرتني هذه بقصة امرىء القيس الذي خطب امرأة وأرسل إليها عبده بحلة وعطور وهدية ليخبرهم عن موعد العرس. فلبس العبد الحلّة وادعى أنه هو امرؤ القيس. فأمرتهم المرأة أن يفرشوه قرب الدم والفرث ويطعموه من الكرش والرأس فرضي بذلك ولم يعترض فقالت المرأة لأهلها إنه ليس بامرىء القيس، فقبضوا عليه فأخبرهم.

فعندما جاء إمرؤ القيس رفض النوم بجانب الفرث والدم وطلب أن يكون منامه على الربوة التلعاء ورفض طعامهم الذي قدموه له وهو الرأس والكرش، وقال أين السنام والكبد، فعرفته زوجته بذلك[1]. وبذلك كان العرب منذ القدم يطعمون اللحم للناس حسب أهميتهم وحسب أقدارهم.

والحدادون والعبيد والحراطين هم الذين يذبحون الشاة ويسلخونها ولا أحد غيرهم يفعل ذلك. ومن العار على رجل عربي أو شريف أن يسلخ الشاة أو يذبحها.

وبذلك نرى أن سبب غضب كسيله على عقبة بن نافع رحمه الله هو تكليفه بسلخ الشاة وهو عار ما بعده عار عند عرب التوارق وعرب الصحراء عموماً. وفي الروايات التاريخية كان كسيله يقول لعقبه (إن هذا العمل يكفيني به غلماني) فرفض عقبة[2].

---

(1) أنظر كتاب: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. وكتاب: الأمالي، لأبي علي القالي.

(2) أنظر: قادة الفتح العربي لشمال أفريقيا، محمود شيت خطاب.

وكان رأي عقبة رحمه الله أن لا فرق في الإسلام. ورأي كسيله يحركه وضعه الاجتماعي الذي جُبل عليه الناس في الصحراء.

وليس هذا التقسيم هو تقسيم ثابت وأبدي وإنما القبائل تغيّر مواقعها حسب قوتها خاصة في طبقات (الزوايا والمرابطين والعرب). فالقبيلة العربية المحاربة عندما تنهزم في الحرب تصبح قبيلة (زوايا) أو (مرابطين) تمتهن التعليم وتترك الحرب والسلاح، كقبيلة (أولاد ديمان).

وقبيل الزوايا عندما تنتصر في الحرب تصبح قبيلة (عربية) أي (محاربة)، وذلك مثل قبيلة (الرقيبات) التي كانت قبيلة من الزوايا وأصبحت قبيلة (عربية) (محاربة).

ونجد الكثير من القبائل غيرت مواقعها. إلاّ أننا نجد الأشراف ثابتي النسب لا يرقى إليهم أحد، وكذلك الحدادين والمطربين. والحراطين والعبيد ثابتو الموقع لا يمكن أن يرقوا لمستوى غيرهم أو ينزل الآخرون إلى موقعهم.

ويقول الصحراويون:

«كل شيء ممكن أن تكونه الإ شريف فإنك لن تكون شريفاً..».

وهذه الطبقات محافظة على وحدتها ونظافة عروقها فلا تختلط مع غيرها. فالتزاوج يتم بين أفراد الطبقة الواحدة. وقليلاً ما يحدث التزاوج بين الطبقات.

أما الفلاحون والصيادون في البحر فأغلبهم من قبائل الزنوج المجاورة. إذ أن العرب يحتقرون الزراعة وصيد البحر. وحتى الذين يملكون غابات النخيل في الأودية والواحات فالذين يقومون برعايتها والعناية بها هم من الحراطين والعبيد أو الزنوج.

العادات والتقاليد في الصحراء

لا تختلف عادات وتقاليد عرب الصحراء الكبرى عن عادات وتقاليد عرب الجزيرة العربية أيام صدر الإسلام وقبل الإسلام. وكذلك عرب الشمال الأفريقي.

فهم يحترمون الشجاعة ويقدرونها، ويربون أولادهم على حبها، ويفتخرون بشجاعة الشجعان ويمجدونهم في أشعارهم وفي أمثالهم. وتتناقل الصحراء قصص بطولاتهم في شيء من الانبهار والمبالغة ويقصون على أسماع أطفالهم في ليالي السمر معارك الصحراء وبطولة الأبطال، فينشأ الفتى محبّاً للشجاعة.

كما يدرّبون أولادهم على الفروسية وخاصة ركوب (المهاري) الإبل. فرأيتهم يقومون بألعاب فوق ظهور الإبل. يقفون على غواربها وهي تجري ويقفزون إلى الأرض ويطلقون الرصاص ويصيبون الهدف.

والسلاح من مكملات الشخصية العربية في الصحراء. فالعربي الصحراوي لا بد وأن يكون يملك البندقية للصيد ولحماية نفسه وحيواناته من المعتدين.

أما الكرم، فأستطيع أن أقول عن تجربة أن عرب الصحراء الكبرى هم أكرم من رأيت في حياتي من الناس في هذا العصر.

فيأتي الضيف، ويدخل الخيمة بدون استئذان معتبرين كلمة (السلام عليكم) هي الاستئذان والرد عليها (وعليكم السلام) هي الإذن بالدخول فيفرش له الفرش، وتوضع له الوسائد، ويذبح له الحيوان، وتتقدم الأسرة جميعها للإحاطة به ومؤانسته: الأب والأم والبنات والأولاد يرحبون به،

ويؤانسونه، ويحضرون له الشاي، وعادة ما تكون المرأة هي التي تحضره. ويقدمون له الطعام، فتتحلق الأسرة كلها معه تؤاكله وترغّبه في الأكل.

وبعد الطعام يعيدون الشاي. وتسمر الأسرة والجيران معه. يسمعونه الحكايا والشعر والنوادر حتى ينطلق في الحديث على سجيته ويحس أنه أحد أفراد هذه الأسرة كان غائباً عنها ورجع.

وإذا ما نام ينام الوالد بجانبه ويغطّيه ويسهر على راحته. وإذا كانت له راحلة يقدمون لها الأكل (التبن أو الحشائش أو الشعير) ويكرمونها كما يكرمونه.

وعند الصباح يقدمون له الفطار ويسمونه (الاصطباح) ويلحّون عليه في البقاء معهم لعدة أيام. وعندما يرون إصراره على السفر يودّعونه ويلحّون عليه بالعودة ويطلبون منه ألا ينساهم. ولا بد من العودة إليهم بدون إبطاء.

ولقد زرتهم مراراً في خيامهم بالصحراء وفي كل مرة أشعر بالحنين للخيمة التي أكرمتني وآوتني.

وكثيراً عند توديعهم لك يطلبون منك إحضار بعض الأشياء التي تنقصهم من القرية أو المدينة التي أنت ذاهب إليها، ويكلفونك وكأنك أحد أفراد الأسرة بطلباتهم.

وأذكر أنني جئت إلى خيمة في الطريق بين اقجوجت وأطار لقبيلة تسمى (أولاد أكشار). فبعد الغداء طلبت منا سيّدة الخيمة أن نذهب مع بناتها وأولادها لجلب الماء لهم في سيارتنا لأنه ليس لديهم حيوان يحملون عليه الماء. وفعلاً ذهبت معهم، وأحضرت لهم الماء في سيارتي.

وعند سفري متوجهاً إلى أطار أوصتني أن أجلب لهم اللحم والدقيق والتمر والكبريت من بلدة أطار. وقد فعلت ذلك. ولما أحضرت لها الأشياء عند العودة ولم آخذ الثمن اعتبرته شيئاً عاديّاً كأنني ابنها أحضر لها ما أوصته به من السوق.

وخيام الصحراويين عموماً سوداء تصنع من وبر الإبل أو صوف الضان الأسود وشعر الماعز، وهي ألوان خيام بني هلال في جزيرة العرب. ويسكنون في مجموعات. ونادراً ما تجد خيمة وحدها في الصحراء.

ويقتني كل مخيم للصحراويين (مرابط) أو (فقيه) يعلم الأولاد القرآن وأصول الدين، ويعتبر مفتي المخيم في الحلال والحرام، وما يختلفون فيه من أمور الدين، كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها.

ونادراً ما تجد عربياً صحراويّاً لا يحفظ شيئاً من القرآن. وكثيراً ما تجد النساء يحفظن القرآن. وأغلبهن يعرفن القراءة والكتابة. ومنهن من يوقفن أنفسهن على تعليم الناشئة القرآن.

والمرأة في الصحراء لها دور بارز في الحياة الاجتماعية. وهي محترمة إلى أبعد الحدود. فالمرأة لا تضرب ولا تهان ولا تشتغل. إذ لا بد لها من عامل يشتغل لها أعمال البيت أو عاملة.

والمرأة الصحراوية مثقفة إلى أبعد حدود الثقافة. تحفظ الشعر وتروي أشعار العرب وقصصهم. وكثير من نساء الصحراء شاعرات وعالمات خاصة في النحو وعلوم الدين وعلوم اللغة. والفنانات منهن يتغنين بأشعار العرب والمعلقات، ويروين قصائد فحول شعراء ما قبل الإسلام.

وإني لأذكر أنني استُضِفت عند خيمة من قبيلة الجعافرة في صحراء شمال موريتانيا ووجدت في الخيمة عجوزاً تجاوزت الستين من عمرها تجلس في وسط الخيمة وتمسك بمسبحتها تسبح وردها بعد صلاة العصر فقلت لها:

ـ من أي القبائل أنتم؟

أجابت:

نحن من قبيلة الجعافرة.

قلت:

ـ وإلى من ترجع هذه القبيلة في نسبها؟

فبدأت العجوز تسرد لي سلسلة نسبها عن ظهر قلب إلى أن وصلت إلى جعفر بن أبي طالب الطيار شهيد مؤتة. وكانت تؤكد ما تقول بالشعر الفصيح والعامي والقصصي وأنا ورفاق الرحلة مشدوهين لعبقرية وقوة حافظة (ذاكرة) هذه السيّدة العربية الصحراوية.

وهي ليست وحدها في ذلك. فأغلب سكان الصحراء يحفظون علومهم عن ظهر قلب.

والمرأة الصحراوية تقوم بتكليف الخدم برعاية بناتها الإناث وتسمينهن (تبليحهن). والتبليح هو غصب الفتاة على الأكل وشرب اللبن بالقوة وتدليكها مراراً في اليوم، وذلك لتصبح سمينة الأرداف ممتلئة الجسم ذات خصر ضيّق وجسم مكتنز. ترى إحداهن تسير ببطء ينطبق عليها قول الشاعر:

غــراء فــرعـــاء مـــصـــقـــول عـــوارضـــهـــا
تـمـشـي الـهـويـنـا كـمـا يـمـشـي الـوجـي الـوجـل

كــأن مــشــيــتــهــا مــن بــيــت جـارتــهــا
مـــشـــي الـــســـحـــابـــة لا ريـــث ولا عـــجـــل

والمرأة الصحراوية نؤومة الضحى. تتكىء في جانب الخيمة وقد وضعت لها الفرش والوسائد كأنها أميرة من أميرات الحكايا. كسولة مكسالة، إذا استيقظت تَسَارَعَ الخدم لها بالماء لغسل وجهها وبالفطور والمناشف والصوايين. يحكون أن إحداهن صاحت تنادي العبد ليطرد عجل البقر الذي شرع يأكل في ملحفتها التي تلبسها لأنها من الكسل بحيث لا تستطيع ضربه وطرده.

أما الأولاد الصحراويون فيتولى الإشراف على رعايتهم الحدادون والمطربون والخدم الذين يحسنون ركوب الخيل والرماية وصيد الوحوش. وإنك لتجد كل صحراوي تقريباً يرافقه (حداد) أو (مشغال) ليقوم على خدمته، ويكون بيت سره. وأحياناً يرسله في المهام الاجتماعية ليكون رسوله لإحدى الخيام حيث يبلغ فتاة الخيمة بما يريد سيّده.

والمرأة الصحراوية لا تختفي ولا تحتجب فهي تجلس للرجال. وتدارس معهم الأدب والقصص وتطارح معهم الشعر وأيام العرب.

والحدادون والمطربون والخدم يدخلون على النساء متى شاؤوا ودون أية قيود.

«الزواج»

يتم الزواج عند عرب الصحراء بالطريقة نفسها التي يتم بها عند عرب الشمال الأفريقي مع شيء من الزيادات والنقصان. فمجتمع الصحراء مفتوح غير منغلق، والمرأة لا تحتجب، والشاب يستطيع أن يلتقي بالفتاة متى شاء وحيثما أراد. والشباب يجتمعون أناثاً وذكوراً في ليالي السمر خارج المخيم ويتندّرون ويسمرون ويسمعون الحكايا والقصص ويردّدون الشعر الفصيح والعامي.

وإذا ما أعجب الشاب بفتاة في هذه الليالي السمرية، يتفق معها على الزواج، ويرسل أهله لخطوبتها. وإذا ما وافق أهلها يتم العرس.

وأكثر حالات الزواج تتم عن طريق الحدادين والمطربين الذين يدخلون على النساء متى شاؤوا، ويستطيعون الحديث معهن في أمر الزواج دون تحفّظ.

وفي صحراء مالي والنيجر يرسل الشاب مبلغاً من المال وهدية من العطور لأم العروس، فإذا قبلتها توزعها على عجائز المخيم وذلك إعلاناً لخطوبة ابنتها.

أما إذا أرجعتها ولم تقبلها فذلك معناه الرفض وغير الموافقة على الزواج.

والشابة في الصحراء تُستشار في موضوع زواجها. ولا يمكن أن يُعقد الزواج بدون رضاها.

وعند الموافقة من الجميع يحضر الزوج ومعه مجموعة من الشباب ثوراً أو جملاً ويطردونه نحو الخيام التي هي خيام العروس. ويقطعون عرقوبه أمام المخيم، فيتسارع إليه العبيد والحدادون وينحرونه ويقسّمونه على المخيم.

وذكّرني موضوع قطع العرقوب هذا ما يحكى عن حاتم الطائي عندما جاءته مجموعة من الفرسان وهو يرعى إبله فقطع عراقيب ثلاث منها لإطعامهم، ثم أمرهم بتقسيمها بينهم جميعاً. ولما تأبّوا هدّدهم بأن يقطع عراقيب الإبل إذا لم يفعلوا.

وكذلك موقفه عندما طلقته زوجته (ماوية) لسَرَفِهِ. وحينما قدم ضيوف وأناخوا أمام خيمته وطلبت من ابن عمها ناباً من الإبل لضيافتهم فرفض أرسلت لحاتم، فأتى بثلاث من الإبل يطردها، ولما وصلت أمام الخيمة قطع عراقيبها للضيوف.

إذن قطع العراقيب هذا عادة عربية قديمة.

ونعود للفرح حيث تنصب للعروسين خيمة أمام الخيام يسمّونها (خيمة الرق) أو يصغّرونها (خويمة الرق) ومعناها خيمة الأرض المنبسطة، وتفرش وتزيّن. والمرأة هي التي تؤثث الخيمة، أما الرجل فأثاثه هو زينة جمله وراحلته. كما يشتري الملابس والذبائح. أما الأكل فتقوم به أسرة العروس ويكون الفرح عند أهل العروس.

ويدخل العريس أولاً ويبقى في الخيمة مع أصحابه ثم تجلب صويحباتها العروس ليلاً. ويتفاوض مندوب العروس ومندوب العريس في القيمة التي يجب أن يدفعها العريس لتعطى له زوجته. وكثيراً ما ترسو المفاوضات على قنينة عطر وبعض العطور، أو مداسٍ نسائي يدفع لصاحبة العروس. فتقسّم العطر على النساء ويتقدّمن مع العروس إلى أن يدخلنها الخيمة وسط زغاريد النساء وطلقات الرصاص.

وهنا يخرج الشباب من الخيمة ليبقى العريس مع عروسه لوحدهما. وعند عرب صحراء تشاد

تحمل العروس على الأكتاف إن كانت خيمتها قريبة. أما إذا كانت بعيدة فتركب فرساً. وعند الصباح يأتي الشباب للعريس يسألونه عند بعض القبائل قائلين له:

حامد، وإلا صابر؟

فإن قال لهم (حامد)، أي أنه يحمد الله ومعناها أن العروس وجدها بكراً.

وهنا يقولون له:

أعطنا قويف الصبح.

أي أعطنا بيتاً من الشعر تغني به النساء ذلك الصباح فيقول لهم بيتاً من الشعر يبلغونه للمطربات، فيتغنين به ذلك اليوم إشهاراً لأن الفتاة كانت بكراً.

أما إذا قال لهم (صابر) فمعناها أن الفتاة وجدها غير بكر، فلا يتغنى بشيء.

ولم أسمع أن صحراوياً طلق زوجته ليلة الدخلة لأنه وجدها غير بكر. فالبكارة ليست بالأهمية الكبرى. باستثناء صحراء جنوب الجزائر وجنوب ليبيا فعدم وجود الفتاة بكراً فضيحة كبرى لأسرتها وكثيراً ما يطلقها زوجها تلك الليلة.

وعند عرب التوارق يأتي الشباب في الصباح فيقدم لهم اللحم ليأكلونه. ومن ضمن اللحم قطعة من سنام الجمل الذي نحر من قبل العريس. فإذا كانت العروس بكراً، لا يؤكل الشحم بل يعطر ويصبغ بالنيلة ويرجع به للنساء. أما إذا كانت العروس غير بكر فيؤكل الشحم.

هذا إذا كانت العروس والعريس من طبقة النبلاء.

أما إذا كانت العروس والعريس من طبقة الحراطين فيقدم للشباب لحم العنز التي ذبحت لأنهم لا ينحرون جملاً وضمن اللحم لحمة الكتف.

فإذا كانت العروس بكراً لا تؤكل تلك اللحمة بل تعطر وتصبغ بالنيلة وترجع للنساء. أما إذا كانت العروس غير بكرٍ فإن اللحمة تؤكل ويثقب عظم الكتف ويعلّق في عمود الخيمة الأمامي وبذلك إعلان على أن الفتاة غير بكر.

ويبقى الصحراوي بجوار أصهاره والمرأة مع أسرتها إلى أن تلد مولودها الأول. حينها يكون مخيراً بين البقاء مع أصهاره أو الرحيل إلى أهله. أما في قبائل البمبارة فإن الرجل إذا كانت ابنته غير بكر يقتل زوجته أي يقتل أمها لأنها هي التي أشرفت على تربيتها.

الولادة

المرأة الصحراوية أينما كانت أو وُجدت لا بد لها من أن تلد بجوار أمها إن كانت باقية على قيد الحياة.

وكثيراً ما رأيت الرجل الصحراوي يشتغل في الأماكن البعيدة، وإذا ما قرب موعد ولادة زوجته يرسلها إلى أهلها لتلد عندهم مهما كلّفه ذلك من مصاريف.

ويحتفل الصحراويون بالمولود أيما احتفال. وما إن تلد المرأة تحت رعاية العجائز كبار السن حتى يعلم الرجال بالمولود ونوعه.

وفي اليوم الثالث تذبح الذبائح ويحضر المولود لوالده ليراه مع الرجال فيستلمه أحد العلماء فيؤذن في أذنه ليكون مسلماً خالصاً، ويحنكه، ويختارون له عدة أسماء ويجرون القرعة بينها حتى يفوز أحد الأسماء ثلاث مرات فيسمونه به. وفي بعض القبائل يكون يوم التسمية هو اليوم السابع.

وكثيراً ما يلصق بالمولود لقب آخر غير اسمه الحقيقي. إذ عندما يسمونه باسم جده لا تستطيع جدته ذكر اسم زوجها فتسميه (جدو) مثلاً أو (بابا) أو (سِيدِي) فيلتصق هذا اللقب به.

والصحراويون يسمون أولادهم في أغلب الأحيان اسماً ثنائيّاً. كأن يسمونه (محمد الأمين) أو (محمد محمود) أو (أبو بكر الصديق) أو (سِيدِي أحمد) أو (بابا أحمد) وغيرها من الأسماء. والاسمان يدلاّن على اسم شخص واحد وعند ذكر اسم الرجل يقولون (محمد محمود ولد محمد) في غرب الصحراء ووسطها.

أما في شرق الصحراء فتختصر كلمة (ولد) إلى (ود) وذلك للسرعة في اللهجة فيقولون (محمد محمود ود محمد).

أما في شمال الصحراء فيقولون (محمد محمود بن محمد) وتقال كلمة (بن) أو (ابن) في الشمال الأفريقي كافة.

الختان

عندما يشبّ الصبي قليلاً في عامه الثاني أو الثالث وقد يكون أكثر من ذلك، يحتفل المخيم بختان الصبي حيث تذبح الذبائح ويقام الفرح، ويُلبس الفتى لباساً أبيض جديداً ويزخرف بالزعفران والحناء. ويعلّق على شعره (الفاسوخ) وقرون الغزلان مخافة العين والحسد. ويحضر

أحد شيوخ المخيم الذي يمتهن هذه الحرفة منذ القدم، وله دراية بالختان. فبعد أن يُحلق رأس الصبي وتُترك له (قزعة) في وسط الرأس (شوشة) يحنون يده بالحناء كما تحني أمه يديها أيضاً.

يُجلس الصبي على دكة مرتفعة وأحياناً تكون قصعة من العود مقلوبة، وعليها التراب الناعم المغربل. ويَمسك الصبي أحد أقربائه ويختنه الخاتن، بعدها يضع إحليل الصبي في بيضة دجاج لوقف الدم.

وبعض القبائل يأخذون الطفل ويجرون به قليلاً حتى لا ينزف ويقولون إن الدم يرجع للجسم. وهي عادة اكتسبوها من خصي الجمال. فعندما يخصون الجمل يطردونه ليجري حتى لا يمرض.

وفي شرق الصحراء الكبرى يختنون البنات أيضاً. وهي عادة عربية قديمة لها مبرراتها أما في غرب ووسط الصحراء فلا يفعلون ذلك.

الطلاق

الطلاق عند عرب التوارق قليل في الأزمنة الماضية. وأغلب التوارق لا يجمعون امرأتين في عصمة الرجل، بل إذا أراد أن يتزوج امرأة أخرى يطلّق الأولى. ولكن بعضهم يتزوج أكثر من واحدة ولكنه قليل.

أما عرب الصحراء الآخرون فهم مزواجون كثيرو الطلاق. والمرأة العربية في غرب الصحراء ووسطها تفتخر بأنها تزوجت أكثر من زوج وذلك لجمالها.

وإذا ما طلّق الرجل زوجته تزغرد، ويقام لها الفرح وضرب الطبل، وتصيح إحدى قريباتها في الحاضرات:

اسمعن يا باقيات فلانة طلّقت.

وتجلس المرأة للرجال، والذي يرغب في الزواج منها يحضر شاة أو جملاً وينحره لها لتطعم به الناس. ويعتبر ذلك الموقف خطبة، فتبقى حتى تنتهي عدّتها ويتزوجها.

ويجمع الرجل العربي في الصحراء في عصمته عدة نساء قد يصلن إلى أربع.

ويتزوج الصحراويون الزواج السري الذي من خصائصه أن يتمتّع الزوج بزوجته دون علم زوجته الأولى. ويبقى الزواج سريّاً إلى أن تلد المرأة. فحينها يشهر الزواج ويعلنه. كما يسري في الصحراء الغربية وموريتانيا زواج المتعة وهو من بقايا الشيعة (الفاطميين) في المنطقة. وهو أن

يتزوج الرجل المرأة وهو في سفر لليلة أو ليلتين، ويعطيها مبلغاً من المال مقابل ذلك ثم يطلّقها في الصباح. ويقولون إن الرجل إذا ما بات بدون زوجة يتخطّاه الشيطان؛ وهو لا شك مبرر لمثل هذا النوع من الزواج.

والأولاد في الصحراء يتبعون أمهاتهم. وهن اللواتي يتولّين تربية الأطفال. والرجل يتزوج ويطلّق ويذهب في حال سبيله. وإذا كبر الولد قد يلتقي مع والده وقد لا يلتقي. ولهذا نجد الكثير من العرب في أفريقيا ولدوا من أمهات زنجيات وبقوا هناك مع أمهاتهم كأفارقة من سلالات عربية.

والعربي التارقي يتبع أسرة أمه وقبيلتها ويصير منها. ويبقى مع أخواله ويقاتل معهم ويصبح منهم وينتسب إليهم.

الرحيل

يسكن الصحراويون في خيام تصنع من شعر الماعز وصوف الأغنام وأحياناً وبر الإبل. ويكون لونها أسود ولها ركائز وأعمدة وأوتاد.

وفي المناطق المتاخمة للأدغال ومنطقة السافانا تُصنع الخيام من الجلد بحيث تخاط عدة جلود مع بعضها وتصبح خيمة وترفع على أعمدة، ويسكنها بعض عرب التوارق.

وهناك بعض العرب من يصنع خيامه من نبات (الديس) ويصنعها على شكل حصير يرفع على أعمدة أو يدار على أعمدة بلا سقف وتتخذ للجلوس وخاصة استقبال الضيوف.

ويتبع الصحراويون الكلأ لحيواناتهم. وإذا أجدب الموقع يرسلون شخصاً يمتطي جملاً مهرياً يبحث لهم عن الكلأ. وعند رجوعه لهم يجدهم في انتظاره يخبرهم بحال الأرض ويعين لهم أحسنها ويرتحلون. ويسمي العرب هذا الرجل (الرائد) وقال العرب قديماً (إن الرائد لا يكذب أهله) ويختارونه من أصدق رجالهم ويسميه بعض عرب الصحراء (رواد) أي الذي يرتاد الأرض.

تنزل المجموعة في الأرض المخضرة المعشوشبة. وأكبر المجموعات مخيم شيخ القبيلة ويسمونه (حلّة). وتسمى الحلة باسم الشيخ فيقولون (حلّة الشيخ فلان). وتتكدس حول خيمة الشيخ خيام أتباعه من الحدادين والمطربين والرعاة والعبيد.

وأهم الخيام بعد خيمة الشيخ خيام المشايخ المعاونين للشيخ، ومشايخ القبائل الأصغر.

ولم يكن لهذا الرحيل مدة معينة أو أشهر معينة وإنما ترحل الخيام عندما تجدب الأرض وينزلون في مواقع الربيع.

أما في صحراء شمال النيجر يرحل الناس جميعاً في أشهر الخريف في رحلة دائمة تكون كل عام، بحيث يجتمعون كل سنة حول الآبار المالحة إذ أن الإبل من عادتها أكل الملح في فترة من السنة أو أكل الحطب المالح أو شرب الماء المالح وذلك أحسن لصحتها.

وبما أن المنطقة الجنوبية خالية من الملح يرحل عرب الصحراء إلى الآبار المالحة في الشمال ويتجمّعون حولها لمدة شهرين من أشهر الخريف.

وفي هذه الفترة تجتمع آلاف الخيم في مواقع متقاربة بإبلها التي تبلغ أغلب ثروة عرب صحراء شمال النيجر آلاف الرؤوس من الإبل.

ويقام في المنطقة التي يتجمع حولها عرب الصحراء مهرجانات من الفروسية والرماية وتقام الأفراح والألعاب بين المخيمات، والمبارزات في فنون الفروسية والألعاب بين الشباب والرجال. كما تقام أسواق للبيع والشراء واستبدال السلع بين الناس في المخيم.

اقتفاء الأثر

وعرب الصحراء عموماً من أشهر خلق الله في معرفة الآثار واقتفاء الأثر. وهم يعرفون آثار أقدام رجال الحي ونسائه وأطفاله. وإذا ما دخل غريب إلى منطقة الحي سرعان ما يكتشفون آثاره.

كما أنهم يعرفون آثار إبلهم ويقتفونها واحدة واحدة. ورأيتهم يعرف الرجل آثار إبله ويجد أثر البعير الضائع منه فيعرفه ويعرف لونه وهو لم يره.

ويعرفون الإبل الناتجة من طرق جمالهم فيقولون هذا الأثر لحوار من جمل فلان.

ورأيتهم في مجالسهم يخبر الرجل صاحبه أنه لقي اليوم أثر ناقته الفلانية في الموقع الفلاني. فيذهب الرجل ويجد ناقته في الموقع الذي أُخبر عنه.

وعرب الصحراء يقتفون أثر الحيوانات البرية ويصطادونها. وهم يعرفون أثر اليوم وأثر البارحة وأثر الأمس.

ورأيت رجالاً منهم يمتهنون الصيد يسيرون وراء أثر الطريدة عدة أيام إلى أن يلحقوا بها

ويقتلوها. وهم يعرفون أثر الحيوانات الأنثى والذكر. ويعرفون أثر الحيوان الراتع والجافل والذي يريد أن ينام، والذي قام من النوم قبل قليل.

ويعرفون مكان تواجد حيوانات الصيد في الليل والنهار. فالغزال، مثلاً، يرتع ليلاً في الأرض المكشوفة ولكنه في النهار يلجأ للأرض الكثيرة الأشجار. والودان يقيل في أعلى القنن الجبلية. ولا يقوم إلا عند العصر ويرتع ليلاً والصباح الباكر، ولا يتحمل الشمس. وهو شديد السمع ولهذا يُقنص مخاتلة، ويطلق عليه النار من البعيد.

وفي كل الأحيان يحرص الصياد أن يكون الريح قادماً من نحو الفريسة لا من جهة الصياد لأن الحيوانات أغلبها تعتمد على حاسة الشم.

الفأل والتطيّر

وعرب الصحراء يتفاءلون بأشياء ويتطيرون بغيرها. ويعتقدون اعتقاداً راسخاً بصحة حدسهم ذلك.

وهناك قبائل يقال لها (الشوّامة) أي أنهم يشيمون الإنسان أو الحيوان ويخبرون أنه مبارك أو نحس.

والخيل لدى الصحراويين لها علامات. فمنها ما هو مبارك يشترونه بأغلى الأثمان، ومنها ما هو نحس يتجنبون شراءه. وهي عادة عربية قديمة ومن هذه القبائل (الشوامة) فرع من قبيلة (أولاد الناصر) في شرق موريتانيا. زارهم الرئيس الموريتاني الأسبق مختار ولد داداه وطلب منهم إخباره بما يرونه فيه، وكان لمختار ولد داداه بمقدمة رأسه بقعة من الشيب.

قال له الناصري:

> «ستبقى في الخير إلى أن يستوي شيب رأسك مع هذه البقعة وحينها تنقلب عليك الأيام».

وقد سمعت هذا القول والمختار رئيس لموريتانيا وبقيت أتابع الخبر. فما إن استوى الشيب في رأس المختار حتى أسقط بانقلاب عسكري وهو الآن يعيش في المنفى بفرنسا.

ولهم حكايات كثيرة في هذا المنوال.

والعرب عموماً لهم قصص كثيرة في الفأل والتطيّر. وعرب الصحراء يتطيرون من ذي العاهة

إذا صادفهم صباحاً قبل غيره، ومن نعيق الغراب، ونعيق البوم، ومن رؤية الغراب الأوحد ويسمونه (الفريد) ومن رؤية الأرنب والثعلب.

ويتفاءلون برؤية الغزال والغرابين معاً.

ويتطيّرون من عودة فحل البقر وحيداً للمخيم فيسرعون لذبحه لأن عدم ذبحه يسبب إغارة الأعداء على المخيم واستياق القطيع وانهزام الرجال أمام العدو.

ويتشاءمون عند السفر من مرور المرأة أمام الرجل المسافر معترضة طريقه.

ويتشاءمون من النداء خلف المسافر. إلى غير ذلك من علامات التطيّر.

ويتفاءل الصحراويون من رؤية الغنم ويقولون إنها غنيمة ومن رؤية طائر الهدهد، ومن رؤية الإنسان الجميل عند السفر أو في طريق السفر، كما يتفاءلون برؤية الشريف والمرابط والفقيه.

وهذا كله عند الانطلاق في السفر أو أثنائه وعند ولادة الإبل يمنع الصحراويون المرأة من دخول الإبل لأن رائحتها والتي دائماً تكون عطرة يمرض منها صغار الإبل المولودة حديثاً. ولا تشق المرأة مراح الغنم وهي في المراح. ويتشاءم العرب الصحراويون من حمل النار في رأس عصا متقدة، ولا حرق عصا الراعي، ولا حذف العصا وراء القطيع عند خروجه للمرعى[1].

ويستخدم الصحراويون لكشف الغيب (خط الرمل) أو كما يسمونها (لقزانة) وهي أن يضمر الإنسان في نفسه شيئاً ويسأل الشخص الذي يكون بارعاً في هذا الضرب لكشف الغيب. ويقوم الأخير بوضع خطوط ونقط في الأرض بعد أن يسوّيها ويتحدث بالأشياء التي يراها ويخبر صاحبه بها. وكثيراً ما رأيتها تصيب وقد لا تصيب أحياناً.

كما تفعل النساء ذلك بشبر اليد أو شبر الخيط أو بالفول والنوى وغيرها.

الطبيعة ومعتقدات الصحراويين

عرب الصحراء عموماً يؤمنون إيماناً مطلقاً بعالم السحر والشعوذة والجن والقوى الخفية.

ويقنعونك من خلال قصصهم بتأثير العين والحسد، ويقولون لك إن فلاناً يصيب بالعين، وأن فلاناً ساحر.

---

(1) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

وإذا ما ذكر الجن في مجمع للصحراويين يفرقعون أصابعهم ويقولون (بسم الله) قل (ما ردّيتها عليك) أي (قل لا رددتها عليك).

والصحراويون يروون لك آلاف القصص عن الجن والعفاريت والغول. ويذكرون لك أشخاصاً يسمّونهم يقولون لك إنهم رأوا الغول وشاهدوه. ويذكرون مناطق معيّنة يرى الإنسان فيها الغول ويحكون لك إنها أرواح لأشخاص قُتلوا في تلك المنطقة، أو أنهم ماتوا موتة طبيعية، ومع ذلك يقومون ليلاً للناس، أو نهاراً للأشخاص المنفردين.

وفي عالم الصيادين مئات القصص عن الغزلان التي انقلبت إلى نساء أو النساء اللواتي شوهدن يحلبن قطيعاً من الغزلان ولما أطلق الصياد النار لم يجد شيئاً إلا الشاة القتيلة.

وجبل الجنون قرب غات يُحكى عنه الكثير من القصص عن الجن الذي ينقلب إلى غزال ولا يصيبه الرصاص. ويحكون عن صياد أصاب غزالاً فجرحه فمرض الصياد وجاءته أم الغزال في منامه قائلة له إنك أصبت ابنتي، وإذا ماتت فإنك ستموت مثلها. وتقول الرواية أن الصياد توفي بعد خمسة عشر يوماً.

وقد أخبرني أحد الصيادين أنه صوّب بندقيته نحو قطيع من الغزلان فسمع من ينهره قائلاً له:

اهنا. اهنا. أي لا تضرب، وقد سمعها ثلاث مرات وترك الصيد. وصياد آخر أطلق النار على الغزال فأصابه وسقط الرجل ميتاً في تلك اللحظة.

وأخبرني أحد الصحراويين أن أحدهم كان يتبع أثر شاة ودان يتبعها ولدها الصغير ليقتلها وبقي يتبع أثرها عدة أيام. وفي كل ليلة تحلم زوجته بتلك الشاة تقول لها قولي لزوجك يتركني في سبيل حالي ورسول الله بيني وبينه.

وتخبر الزوجة زوجها فيضحك منها ويقول لها: «لا بد من قتلها».

وفي أحد الأيام رأى الشاة وأطلق عليها النار فقتلها وسقط هو ميتاً في مكانه. وأحضروهما على جمل واحد للمخيم.

ويعتقد الصحراويون أن أماكن الدم والرماد هي مساكن الجن. وإذا تخطى الإنسان مكان الدم أصابه عفريت من الجن.

ويقول الصحراويون أن الأظافر والشعر المتبقي من مشط الشعر لا بد أن يدفن لأن السحرة يستغلّون الأظافر والشعر لسحرهم ويركبون صاحب الأظافر أو الشعر الجنّ.

ويحكي لك الصحراويون القصص عن فئة من الزنوج ينظرون للإنسان فيسقط ميتاً إذ أنهم يمتصون دمه ويسمّونهم (السلاّلة) أي الذين يسلُّون قلب الإنسان. ويقولون إن الذي يتقي شرّهم عليه أن يحمل شيئاً من نبات الشيح في جيبه.

أما العين فيحكون لك القصص الكثيرة عن أشخاص ينظرون للشيء فيعجبهم فيسقط وينكسر إن كان آنية أو يموت إن كان حيواناً.

وقد شاهدت رجلاً يصيب بالعين ويحكون لي عنه عشرات القصص. منها أنه شاهد ناقة فأعجبته فأصبحت ميتة. وأنه احتلب ناقة أخرى فأعجبه كثرة لبنها فمرض ضرعها من ساعتها تلك ولم تعد تحلب شيئاً.

ويقول الصحراويون أن صاحب العين إذا قطعت من ثوبه قطعة وأحرقتها فإنه لا يصيب لك شيئاً بالعين. وقد يكشفون له سوءاتهم أمام عينه ليبطلوا مفعول العين.

والصحراويون يقرنون كل شيء في الأرض بسبب في السماء.

فإذا رأوا هالة على القمر يقولون إن السلطان غاضب. ولإزالة غضبه يأخذون قطعاً من النقود المعدنية ويدقونها في الهاون وبذلك يزول غضبه.

ويقولون أيضاً إذا رأوا أن النجوم أصبحت أكثر لمعاناً أن الحدادين شبعوا.

ويعتقد الصحراويون أن نجوم السماء على عدد البشر والحيوان في الأرض. وإذا ما شاهدوا في الليل الشهب تتساقط يقولون إن إنساناً أو حيواناً مات هذه اللحظة. ويأخذون قبضة من التراب ويربطونها في صرة من القماش حتى الصباح. وفي الصباح يفتحون الصرة ويفتشون التراب. فإن وجدوا فيه شعرة بيضاء فالميت حيوان، وإن كانت الشعرة سوداء فالميت إنسان[1].

عاداتهم في الموتى

الصحراويون من أكثر خلق الله إيماناً بالقضاء والقدر. وإذا ما توفي الإنسان الصحراوي يشرف على غسله وتكفينه كبار القوم وخاصة من العلماء والفقهاء الذين يلقّنونه الشهادتين ويكفّنونه.

ويدفن الصحراوي في الموقع الذي توفي فيه، إذ لا وجود للمقابر في الصحراء. وإنما تجد القبور مبعثرة في الصحراء حيثما يقطن الصحراويون وتجد آثار خيامهم تجد قبراً أو أكثر.

---

(1) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

وإذا كان الرجل شهيراً سمي ذلك الموضع باسمه، فيقولون وادي فلان، أو قارة فلان، أو قرارة فلان وفلان هذا هو اسم الميت.

والصحراويون لا يبكون على الميت ولا يخمشون وجوههم ولا يندبون، وإنما يجتمعون لختمة القرآن على الميت ويذبحون من أغنامه أو إبله ما يطعمون به الناس الذين اجتمعوا لدفنه.

ثم يأتي الفقيه الذي يعرف الفرائض ويقسّم أموال المتوفى على الورثة.

ويرحل المخيم من المكان الذي توفي فيه الميت ويبتعدون عنه خشية من (الغول) الذي تتجسّم روح الميت فيه فيخيف النساء والأولاد.

ويغلّف الصحراويون القبور بكثير من الخرافات عن الجن والعفاريت، ولهذا هم لا يسكنون بجانب قبر. وإن كانوا في سفر لا ينامون بجانبه، حتى ولو وصلوا ليلاً إلى مكانه في الطريق فإنهم يجتازونه.

والصحراويون يحترمون قبور أجدادهم. ويحيكون حولها هالة من التقدير والتقديس، وينحرون عليها النحائر عند مرورهم بها في الصحراء.

وقد شاهدتهم ينحرون على روضة الشيخ سيدي أحمد الرقيبي في الساقية الحمراء، وروضة الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل في تيزنيت، وعلى روضة الشيخ المختار الكبير في أبي الأنوار شمال مالي. وأيضاً على روضة محمد أخنوخن سلطان (أزقر) (غات) في منطقة (زار) بالحمادة الحمراء على الطريق بين غات وغدامس. ويروون أن قافلة مرّت على اخنوخن ولم تنحر له فتاهت في الصحراء ومات أكثرها عطشاً.

ويعتبر الصحراويون أن الحيوانات البرية التي تكون بالقرب من روضة الولي أو الشيخ لا يمكن صيدها لأنها في حماه. وإذا حدث وأن أحداً حاول اصطيادها يصاب بالأذى أو الموت.

وقد شاهدت بعض القوافل تطوف بروضة الرجل المتوفى الذي يكون مشهوراً قبل النحر سبعة أدوار تحية له، ويطلبون له المغفرة ويقرأون عليه الفاتحة. بل ويذهب بعضهم إلى الاستخارة به في طلب أشياء تخصّه ومساعدته في حياته اليومية وفي حل مشاكله التي يتعرض لها.

اللثام

ومن عادات الصحراويين جميعاً أنهم يتعممون ويتلثّمون. وهذه العادة من عادات العرب قديماً. فقيل إن ملوك حمير كانوا يتلثّمون ثم سرت هذه العادة في عامّتهم.

والعرب قبل الإسلام في الجزيرة العربية كانوا يتلثّمون عند لقائهم ببعض في الأسواق (عكاظ) و(المربد).

ويرجعون سبب اللثام للاختفاء على الأعداء حتى لا يعرفونهم، ويسميه العرب أحياناً القناع. والعرب تحكي حكايات (المقنع الكندي).

وتتلثّم القبائل العربية في الصحراء الكبرى. وكذلك يتلثّم ويتعمّم أغلب أمراء وملوك الإمارات التي تكونت في غرب ووسط وشرق أفريقيا لانتسابهم للعرب.

ويتلثّم عرب التوارق حتى لا ترى من الرجل إلا عينيه. أما بعض القبائل العربية فإنها تمرر طرف العمامة تحت الحنك، كقبائل العرب في تشاد والنيجر. أما في السودان وموريتانيا والساقية الحمراء فأغلب العمائم مكوّرة على الرأس. وهي بيضاء في السودان وسوداء في الغالب في منطقة موريتانيا وشمال مالي والساقية الحمراء وهي من تأثير الشيعة (الفاطميين) في المغرب العربي.

وتسمى العمامة عند بعض القبائل (الزمالة) وهي التي يقصدها رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي أول مرة، ورجع إلى زوجه خديجة يقول لها (زملوني، دثروني) ونزل قوله تعالى: ﴿**يا أيها المزمل..**﴾.

الملحفة

ولباس المرأة الصحراوية العربية موحّد من الساقية الحمراء على المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر مروراً بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وشمال السودان.

تلبس المرأة العربية الصحراوية ثوباً طويلاً تخلّله على كتفيها من الأمام وتديره حول جسمها وتضع طرفه فوق رأسها وتحذف الباقي على كتفها الأيسر، ويسمى (ملحفة) وهو من القماش القطن.

كما نرى أن المرأة الصحراوية تضفر شعرها بطريقة موحّدة أيضاً. وتعتبر المرأة العربية في الصحراء كشف الرأس عورة، أما الوجه والقدمان واليدان فهي مكشوفة.

وتخضب المرأة العربية في الصحراء يديها ورجليها بالحناء في مواسم الأعياد وعاشوراء والمولد النبوي. وكذلك في الأفراح.

والمرأة العربية الصحراوية لا توشم كما تفعل العربيات في الجزيرة العربية أو في الشمال الأفريقي.

وتزيّن المرأة العربية في أرتريا وجهها بحلقة من الفضة في أنفها كما تفعل بعض قبائل العرب في (برقة) وفي اليمن وفي ظفار.

وسم الإبل

وعرب الصحراء جميعاً يملكون الإبل والبقر والشاة، وأهم ممتلكاتهم الإبل. وكل قبيلة من قبائل الصحراء تضع على إبلها وسماً تعرف به. وهو علامة توضع بالنار على فخذ البعير أو رقبته أو وجهه. ولم أر قبيلة تسم الإبل على بطونها أو أجنابها. غير أن بعضهم يشرك أذن البعير أو يقطفها ويسمى هذا الوسم (نار أهل فلان) أو (نار القبيلة الفلانية).

وإذا ما ضلّ بعير يسأل الناس عن لونه وناره فيقولون لونه كذا وسنّه كذا وعليه نار فلان أو نار أهل فلان وهي معروفة عندهم.

ولنذكر هنا نماذج من هذه العلامات التي يضعها العرب الصحراويون على إبلهم ليعرفونها بها.

فمثلاً: قبيلة أولاد بوالسباع يسمُون إبلهم هكذا (مك) ومعناها مكة.

وقبيلة تيندغة (—<) وتسمّى عندهم (لحبارة)، أي أنها تشبه رجل الطائر المعروف بالحبارة وهي سمة قبيلة ورفلله في ليبيا أيضاً.

وقبيلة الرقيبات يسمُون الإبل هكذا (ک) كاف وبعضهم يضعون عليها (H)ويسمّونه القيد.

وأولاد غيلان يسمُون إبلهم هكذا (T) ويسمّونها النقلي وقبيلة الأتواج تسم الإبل (⊥) ويسمّونه الفاس. وقبيلة كنتة يسمُون إبلهم (لا) ومعناها الحلقة. وقبيلة الجعافرة يسمُون إبلهم (VI) وتسمى الشواهد. وقبيلة أدوعيش يسمُون إبلهم (ک) الكاف مثل الرقيبات. ولكل قبيلة من قبائل الصحراء سمة خاصة بإبلهم.

أما الغنم فإن سمتها على آذانها فقط، كأن يشرك الأذن أو يقطفها أو يضع خطّاً أو أكثر على الأذن. وقليل من العرب من يسم الغنم على وجهها.

ورأيت بعض القبائل يسمون الحمير والبقر على آذانها وأكتافها وقوائمها.

حفر الآبار

ومن عادات عرب الصحراء التعاون والمساعدة. إذ يقومون بحفر الآبار مجتمعين متعاونين، دون أن يأخذ أحدهم أجره على ذلك. الذي يملك حيوانات والذي لا يملك الحيوانات جميعهم يجتمعون ويحفرون الآبار معاً. ويعدّون أحواضها معاً ويشربون ماءها معاً ولجميع عابري السبيل. وعند ورود الآبار والتي في الغالب ما تكون مياهها غير كافية يسبق الإنسان على الحيوان. فالذي يرد ليملأ قربته يشرب أولاً، ثم تسقى الحيوانات. فالخيل تسبق في الشرب جميع الحيوانات وذلك لأهميتها.

ثم البقر لأنه لا يصبر على الماء، ثم الغنم، ثم الإبل.

وسكان الصحراء يتعاونون في كل شيء: حفر الآبار، بناء الزوايا، وحتى في حفر القبور ودفن الموتى وفي الأفراح ترى الجميع يتحرّكون بحيث يصبح المخيّم كله أصحاب العرس. ولا تستطيع أن تفرّق بين صاحب العرس الحقيقي وبين جيرانه.

ورأيت بعض القبائل العربية في الصحراء يضعون على فم البئر جلد بعير أو صخرة مسطّحة لإخفائه عن أعين الأعداء، وكذلك لحمايته من الرمال.

ولهذا لا يعرف الآبار إلا سكان المنطقة. وكثير من الناس يموتون عطشاً وبجانبهم الآبار وهم لا يعرفونها.

أما أصحاب القبيلة فإنك ترى الشخص منهم يسير ليلاً بجمله أو بقافلته حتى ينزل على البئر فيزيح التراب ويكشف الغطاء ويملأ قربه ويسقي مواشيه ويرجع كل شيء كما كان. وهو لا يُخفى عليه البئر حتى في الليالي المظلمة.

الفصل الخامس

الممالك والإمارات والحركات الإصلاحيّة في الصحراء



نشأت في بلاد العرب حضارات ودول قبل الإسلام حفظ لنا التاريخ أخبارها في نقوش على الحجر وفي مدافن وإنجازاتٍ وسدودٍ وسواقٍ للري، وقلاعٍ وحصون.

نشأت حضارة الرافدين وتدمر وسبأ في جزيرة العرب. وحضارة النيل ونوميديا وقرطاجنّة في الشمال الأفريقي.

وحفظ لنا التاريخ أسماء أبطال وبطلات وأمراء وملوك في بلاد العرب. أمثال الملك سليمان والملكة بلقيس وسيف بن ذي يزن وهانيبال والملك مينا والملك رع وغيرهم من فراعنة مصر.

وقد استطاع العرب وقف الزحف الفارسي والرومي على جزيرة العرب. وكذلك زحف الأحباش.

أما في الشمال الأفريقي فلقد وقف عرب الشمال الأفريقي سدّاً منيعاً ضد الرومان حيث استطاع العرب الانتصار على الرومان والزحف على أوروبا وهددوا عاصمة الرومان (روما).

وقد كانت الصحراء متنفساً للعرب يلجأون إليها متى ضاقت بهم السبل. فقد عبرت مجموعات عربية وقبائل عربية كاملة الصحراء من الشمال إلى الجنوب بعضها لا يزال إلى اليوم بجنوب الصحراء أمثال الحوصة والفلان وجرما التي انتقلت من مدينة جرمة بفزان أيام الصراع مع الرومان، واستقرت بمنطقة نيامي بالنيجر.

وقد ذكرت عدة روايات تاريخية أن العرب وصلوا إلى أميركا قبل اكتشافها من قبل الأوروبيين بآلاف السنين. وقد وجدت نقوشهم هناك[1].

وما إن خصّ الله عزّ وجل العرب وكرّمهم برسالته التي أنزلها على محمد ﷺ، واندفع العرب يفتحون الأمصار يحملون راية الجهاد المقدس. وما إن وصلوا إلى الشمال الأفريقي واستوعب إخوتهم في هذه الأصقاع وتشربوا مبادىء الدين الحنيف حتى اندفعوا يحملون الراية مجتازين البحر نحو الشمال الطريق نفسها التي اجتازها هانيبال قبل أكثر من ألف سنة، وفتحوا الأندلس ووصلوا إلى شمال جبال البرانس بجنوب فرنسا.

كما اندفعوا جنوباً نحو أفريقيا ينشرون الدين الحنيف حتى خفقت راياتهم في أدغال أفريقيا، قادهم بسر بن أرطأة وعبد الله بن سرح وعقبة بن نافع الفهري وحبيب بن عبيدة ابن عقبة وجميعهم من عرب الجزيرة العربية، وطارق بن زياد ويحيى بن عمر وعبد الله ابن ياسين من عرب الشمال الأفريقي.

ولقد كان للطرق التجارية التي شقّها العرب الصحراويون في الشمال الأفريقي الدور المميز والممهد لفتح جنوب الصحراء وانتشار الدين الإسلامي. وحمل المجاهدين العرب المسلمين وكتبهم وسيوفهم إلى جنوب الصحراء.

وقد تدفّق المسلمون العرب مع طرق: القاهرة ـ سيوه ـ زويلة ـ برداي.

وطريق ـ بنغازي ـ زويلة ـ القطرون ـ برداي؛ وطريق طرابلس ـ غدامس ـ غات ـ أقدز؛ وطريق تونس ـ القيروان ـ غدامس ـ غات ـ أقدز؛ وطريق تونس ـ غدامس ـ توات ـ تينبكتو؛ وطريق طرابلس ـ غدامس ـ توات ـ تينبكتو؛ وطريق الجزائر ـ عين صالح ـ قاوة؛ وطريق الجزائر ـ بشار ـ تيندوف ـ ولاته ـ النعمة؛ وطريق فاس ـ تيندوف ـ النعمة ـ ولاته؛ وطريق مراكش ـ تيندوف ـ شنقيط ـ النعمة، وذلك لنشر الإسلام في جنوب الصحراء.

وأصبحت طرق الحجاج التي تقطع الصحراء بالعرض: مراكش ـ بشار ـ وادي سوف ـ غدامس ـ زويلة ـ سيوه ـ القاهرة مكة؛ وطريق شنقيط ـ جانت ـ غات ـ القطرون ـ زويلة ـ سيوه ـ الأقصر ـ مكة؛ وطريق النعمة ـ تينبكتو ـ قاوة ـ أقدز ـ زندر ـ برداي ـ الخرطوم ـ بورسودان إلى مكة.

---

(1) كتابات الدكتور علي فهمي خشيم.

وغيرها من الطرق التي كانت تأتي بالعلماء المسلمين والكتب والمعرفة.

لقد لعبت هذه الطرق دوراً بارزاً في أن الفاتحين الجدد ساروا فيها حتى أوصلتهم إلى جنوب الصحراء يرافقهم خبراء الطرق والآبار من أبناء عمومتهم عرب الصحراء الكبرى.

وكانت كل المساحات التي تفتح من جديد تُضم إلى الخلافة الإسلامية في الجزيرة العربية، المدينة المنورة، أو دمشق، أو بغداد، أو القاهرة في عهد الفاطميين.

وحين تضعف الخلافة المركزية تستقلّ المناطق البعيدة عن الوطن وتتكوّن الإمارات وتبرز سلطة الأمراء الأقوياء ويخضعون المناطق المجاورة.

ويبرز الأمراء والملوك والسلاطين تحت راية الدين الإسلامي بحجة إحياء الدين أو تجديده أو الجهاد في سبيله.

وقد قامت مجموعة من الممالك والإمارات في الصحراء وفي جنوب الصحراء قبل الإسلام وتحت رايته.

وأهم الممالك التي قامت في جنوب الصحراء قبل الإسلام:

1 - **مملكة غانا**: وقد تأسست في القرن الأول الميلادي وأسسها عرب قدموا من برقة وجعلوا عاصمة لها مدينة (كمبي صالح) قرب مدينة ولاتة في شرق موريتانيا.

2 - **إمارات الهوسا** شمال نيجيريا.

3 - **مملكة اليوربا** شرق نيجيريا.

كما تكوّنت إمارات وممالك مخضرمة أو في عصر الإسلام أهمها:

1 - **مملكة السنغاي**: وقد أسّستها مجموعة من عرب اليمن، والسنغاي أو السوننكي معناها بلهجة المنطقة (الرجل الأبيض).

2 - **مملكة مالي.**

3 - **ملكة برنوح** حول بحيرة تشاد.

4 - **مملكة كانم** إلى الشرق من بحيرة تشاد.

وقد تولى إنشاء الإمارات والممالك الصحراوية في عصر الإسلام مصلحون دينيون في الغالب نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل نشر الإسلام بين الوثنيين في جنوب الصحراء.

وأهم الممالك التي تأسّست على أساس ديني لغرض نشر الدين الإسلامي في الصحراء:

1 ـ المرابطون:

وقصة المرابطين كما يحكيها ابن خلدون يقول[1]:

> «أن يحيى بن ابراهيم زعيم قبائل الملثّمين خرج للحج في رؤساء من قومه سنة 440 هـ. 1048 م. فلقوا من بالقيروان شيخ المذهب المالكي أبا عمران الفاسي فطلبوا منه أن يرسل معهم فقيهاً يعلّمهم ويرشدهم فاختار لهم عبد الله بن ياسين».

ولكن أكثر المصادر تقول إنه كتب إلى فقيه آخر بالمغرب يُدعى واجاج فكلّف لهم عبد الله بن ياسين[2].

وصل هذا الداعية إلى بلاد الصحراء وبدأ يعلّم الناس فروض دينهم ويدعوهم إلى الدين الصحيح. فنفر منه أكثر سكان الصحراء وضايقوه فلجأ إلى جزيرة صغيرة عند مصب نهر صنهاجة وسماها (رباط) وبدأ يكثر أتباعه إلى أن أصبحوا ألف رجل وقال قولته المشهورة: «إن ألفاً لن تغلب من قلة»[3] وأعلن الجهاد تحت راية يحيى بن عمر الذي توفي وخلفه أخوه أبو بكر بن عمر ووحد لمتونه وجداله. وانطلق بالملثمين إلى الشمال حيث استولوا على المغرب وبنوا مدينة (مراكش). ورجع أبو بكر بن عمر إلى الصحراء وأخلف على الشمال ابن عمه يوسف بن تاشفين والياً على المغرب حيث استقل به وسمى نفسه (أمير المسلمين). وعبر بجيشه إلى الأندلس بناء على طلب أهلها لنصرتهم من الإسبان واستطاع الجيش المرابطي أن يهزم الإسبان في موقعة (الزلاقة) الشهيرة، ثم قام بتوحيد الدويلات الإسلامية العربية في الأندلس تحت راية المرابطين.

أما أبو بكر بن عمر فعاد للصحراء ينشر الدين الإسلامي في جنوب الصحراء. واستطاع أن يستولي على عاصمة مملكة غانا وتوفي في إحدى المعارك عام 1087 م. واستمرت دعوة المرابطين في الصحراء من بعده[4].

---

(1) أنظر: تاريخ ابن خلدون.

(2) أنظر: محمد عبد الله عنان، (المرابطون).

(3) محمد عبد الله عنان، المصدر السابق.

(4) أنظر كتاب: التوارق عرب الصحراء الكبرى، للمؤلف.

2 ـ مملكة السنغاي:

وذكرنا أن السننكي معناها الرجل الأبيض. تكوّنت مملكة السنغاي معاصرة لمملكة (غانا) في منطقة مالي الحالية. وبقيت هذه المملكة وثنية حتى عام 1009 حيث اعتنق ملكها الإسلام. وقد أسس مملكة السنغاي عربي قادم من اليمن عرف في التاريخ باسم (ذا اليمن) أي القادم من اليمن.

واستمرت هذه المملكة حتى عام 1594.

ولا شك أن هذا اليمني قدم مع مجموعات من العرب استطاع أن يؤسّس فيها مملكة. ولما قدم الإسلام للمنطقة أسلمت هذه الأسرة الحاكمة، وأصبحت مملكة السنغاي مملكة إسلامية.

3 ـ مملكة صوصو:

وقد أسّستها قبائل الفلان وهي عربية وساهمت في نشر الدين الإسلامي.

4 ـ إمارات الهوسا:

أسّس العرب هذه الإمارات. وتقول الرواية التي تحكي عن تأسيسها:

«.. إن زعيم العرب الوافدين من الشمال تزوج ملكة الزنوج فأنجب منها سبعة أولاد شيدوا إمارات الحوصة السبعة وهي (بيرم ودورا وجوبير وزاريا ورانو وكانو وكاتسينا). وتقول القصة إن هذا الزعيم تزوج امرأة أخرى وأنجبت له سبعة أولاد أسّسوا سبع إمارات أخرى إلى الجنوب من سابقاتها وهي (لبى ونوب وجواري ويوري وكواراقا وإيلولين وزنفرة)[1]».

وقد دخل الإسلام إلى هذه الإمارات عن طريق التجار العرب وكانت أول الإمارات دخولاً في الإسلام والتي تعتبر أكبر الإمارات هي إمارة (كانو)، إذ دخلها الإسلام حوالى عام 1300م وبدأ الإسلام يدخل الإمارات الأخرى تدريجياً.

5 ـ مملكة برنوح:

وتسمّى (برنو) وتقع إلى الشرق من إمارات الحوصة وتتصل ببحيرة تشاد. وقد أسسها العرب عام 800 م وكانوا قادمين من الشمال ثم انتزعها منهم عرب من كانم سنة 1000 م. وتوسّعت إلى ضفاف نهر النيجر وإلى وسط الصحراء.

---

(1) أنظر: أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6.

وقد دخل الإسلام هذه المملكة في القرن الحادي عشر عندما توحدت مع مملكة كانم.

6 ـ مملكة كانم:

اتسعت تلك الإمارة الصغيرة وأصبحت تضم أراضي شاسعة حتى أصبحت أكبر دولة قامت في المنطقة بين النيجر والنيل على امتداد جنوب الصحراء، وقد أسسها العرب كما ذكرنا آنفاً. وبدأت الهجرات العربية تتكاثر في المنطقة. وفي عام 1090 م تحولت الأسرة الحاكمة إلى الإسلام وأصبحت من الأسر التي تدعو له وتجاهد في سبيله. وكان ملكهم محمد بن جبل بن عبد الله هو أول ملك يدخل الإسلام وكان اسمه الأسبق (حمى جيلمة).

وقد اتخذت الأسرة لقب (السيفية) نسبة إلى جدها الأول سيف بن ذي يزن اليماني.

7 ـ مملكة دارفور:

أسّستها القبائل العربية غربي السودان الحالي ومعنى اسمها (دار بمعنى منزل، وفور: قبائل عربية تقطن المنطقة). وقد دخلها الإسلام مع الهجرات العربية الإسلامية في القرن الرابع عشر. واستمر سلاطينها يحكمون (دارفور) حتى آخر سلطان لهم (علي بن دينار) الذي قتل عام 1916 على يد الإنكليز في السودان وكانت عاصمتها (طرة) ثم (الفاشر).

8 ـ مملكة كردفان:

أسّسها العرب الذين توجّهوا جنوباً بعد سقوط الخلافة الفاطمية عام 1771م.

وقد استطاع الداعية الإسلامي محمد عثمان الميرغني من أن يتخذ من كردفان مقرّاً لدعوته لنشر الدين الإسلامي. وقد نجح في إدخال الكثير من الأفارقة الوثنيين في الإسلام. وفي عام 1881 ظهرت دعوة المهدي في هذه المنطقة وانطلقت منها لمحاربة الإنكليز في السودان.

9 ـ مملكة البجّه:

البجّه هي مجموعة من القبائل العربية نزحت من جزيرة العرب في تاريخ متقدم وسكنت شرق السودان الحالي، على شاطىء البحر الأحمر وكوّنت هناك إمارة أو مملكة فتحها عبد الله بن الجهم عام 831 م منطلقاً من مصر ثم محمد بن عبد الله القمي. وقد أسلمت هذه القبائل تباعاً[1].

---

(1) أنظر: أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء 6. حيث يوضح بتوسّع تاريخ هذه الإمارات.

هذه هي أغلب الإمارات العربية والممالك التي تكونت في الصحراء الكبرى وفي جنوبها قبل الإسلام وتحت إطاره.

وقد استطاع العرب قبائل وأفراد من تأسيس هذه الممالك والإمارات وساهمت في التاريخ الحضاري لمنطقة جنوب الصحراء. كما ساهمت في تاريخ الإسلام وانتشاره في المنطقة وفي النهضة العمرانية حيث أسست مدناً وعواصم ومساجد ما زالت تشمخ للزمن كمسجد تينبكتو ومسجد قاوة ومسجد ولاته وغيرها من المساجد في المنطقة.

الصَحراء
بَعد المرابطين

لكل قوة ضعف. هكذا هو التاريخ يحكي لنا تكوين الدول والحركات قوية مندفعة. وترقى إلى أوج قوتها. ثم تبدأ الانحدار حتى تتلاشى. هكذا يكتشف ابن خلدون دورة الأمم والدول على شكل نصف دائرة.

وهكذا كانت حركة المرابطين حيث ازدهرت وقويت وأصبحت في أوج عظمتها عندما وحّدت دويلات العرب في الأندلس وقهرت تقدم الإسبان، واتّسعت جنوباً حتى أدغال أفريقيا.

ثم اضمحلت هذه الحركة، وبدأت تضعف وتتقهقر حتى تمزقت فاستولى الموحدون على أملاكها في الشمال (المغرب، إسبانيا) وتمزقت في الجنوب إلى إمارات صغيرة قامت على أنقاضها، أغلبها كونتها قبيلة قوية استولت وسيطرت على القبائل المجاورة أو أشخاص لهم نفوذ ديني.

وقد تكوّنت في غرب الصحراء إمارات لا تزال بقاياها حتى هذا التاريخ. وأهمها:

1 - **الساقية الحمراء ووادي الذهب:** كونت قبائل هذه المنطقة بعد سقوط المرابطين (كونفدرالية) تجمع قبائلها يديرها مجلس يتكون من أربعين شخصاً وهم شيوخ القبائل يسمّونه (آيت الأربعين). يفصل هذا المجلس في المشاكل والمنازعات ويدير شؤون الصحراء الغربية يساعده مجلس من القضاة الشرعيين من حكماء المنطقة يفصلون في المسائل الدينية. وقد بقي هذا المجلس يدير الصحراء إلى أن استولى الإسبان عليها عام 1834.

2 - **إمارة أدرار:** أي إمارة الجبال. وهي تقع شمال موريتانيا، وترأسها قبيلة يحيى بن عثمان.

3 - **إمارة الترارزة:** وقد تكونت على الجزء الجنوبي من موريتانيا الحالية. تكوّنت في القرن السابع عشر ولها معاهدات واتفاقيات مع الفرنسيين في بيع (الصمغ) العربي الذي تزخر به منطقتها.

4 - **إمارة البراكنة:** تقع إلى الشرق من إمارة الترارزة ويرأسها أولاد أحمد بن دامان.

5 - **إمارة تجكانت:** وتقع إلى الشرق من موريتانيا وترأسها أسرة أهل سويدي أحمد.

6 - **إمارة الحوض:** وتقع في أقصى الشرق الموريتاني. وقد ترأستها أسرة أولاد امبارك، وغلبها فيما بعد مشظوف.

7 - **إمارة كنته:** وتقع في منطقة (تينبكتو) شمال مالي.

8 - **إمارة كل انتصر:** وتقع أيضاً في منطقة تينبكتو شمال مالي.

9 - **إمارة إفوغاس:** في منطقة (الأدغاغ) شمال مالي قرب الحدود مع الجزائر.

وكانت الحروب دائمة بين هذه الإمارات والتناحر بين أفرادها.

كما تكونت في شمال مالي وشمال النيجر وشمال بوركينا فاسو إمارات عرفت باسم سلطنات تضم قبائل عرب التوارق وقبائل عربية أخرى. وتتكوّن كل سلطنة من سلطان ومجموعة من مشايخ القبائل.

وأهم هذه السلطنات:

1 - **سلطنة والليمدن:** وتقع حول منطقة شرق مالي وشمال بوركينا فاسو وغرب النيجر. وتجمع مجموع من الإمارات.

2 - **سلطنة الهقار:** وتقع في جبال الهقار جنوب شرق الجزائر وشمال شرق مالي. وتضم عرب توارق المنطقة وعاصمتها (تمنغست).

3 - **سلطنة آزقر:** وتقع جنوب شرق الجزائر. وجنوب غرب ليبيا وعاصمتها مدينة (غات) وتضم مجموعة كبيرة من عرب توارق المنطقة.

4 - **سلطنة آير:** وتقع في جبال آير شمال النيجر وجنوب ليبيا وتضم مجموعة كبيرة من قبائل عرب توارق المنطقة وعاصمتها مدينة (اقدز).

5 ـ **سلطنة تقرقريت:** ومعناها السلطنة (الوسطى) وتضم مجموعة كبيرة من قبائل عرب المنطقة، ومركزها مدينة (طاوه) شمال النيجر.

6 ـ **سلطنة تـمزقدا:** ومركزها شمال مدينة (زندر) ببلدة (تانوت) وتضم مجموعة كبيرة من قبائل عرب (الحوصة) وتشمل وسط النيجر.

7 ـ **سلطنة كل اقرس:** وتتجمع حولها مجموعة من قبائل عرب المنطقة من الحوصة وغيرها من قبائل عرب التوارق وتقع شرقي مدينة (طاوه) حول منطقة (آضر).

8 ـ **سلطنة ماسنا:** وهي سلطنة إسلامية قامت على أساس نشر الدين الإسلامي وأسستها قبائل (الفلان) العربية، واتخذوا من ميدنة (الحمدلله) عاصمة لها قرب مدينة (جني) شمال ووسط جمهورية مالي الحالية، وتشمل أيضاً جنوب وغرب النيجر.

أما في شرق الصحراء فبقيت الإمارات والسلطنات القديمة على حالها: مملكة كانم، مملكة برنو، مملكة دارفور، مملكة البجّه، إلى أن دخل المنطقة الاستعمار الأوروبي الحديث حيث سقطت هذه الإمارات بعد مقاومة عنيفة للاستعمار الذي مزّقها حسب مشيئته وفرض على المنطقة حدوداً جديدة ونظم إدارة جديدة.

الحركات الإصلاحيَّة في الصحراء

ترسخ الإسلام بين قبائل الصحراء العربية وتشربوه ونبغوا في علومه. لدرجة أنهم حملوا لواء نشره في المنطقة عن جدارة.

ونظراً لخبرتهم بالمنطقة ودروبها وطبائع شعوبها كان اتصالهم بهم أيسر من غيرهم. وكان تأثيرهم أقوى من غيرهم.

وقد برز من عرب الصحراء علماء أفذاذ كوّنوا لهم طرقاً صوفية. وأسّسوا إمارات على أساس ديني أخضعوا لها القبائل المجاورة ونشروا الدين الإسلامي في أدغال أفريقيا.

وأهم هذه الإمارات:

1 - **إمارة سيكوتو:** ومؤسّسها الشيخ عثمان دان فودي وهو من قبيلة (الفلان) العربية. درس وتعلم على أيدي مشايخ المنطقة، وحج إلى بيت الله. ثم رجع وشهر دعوته التي تدعو للرجوع إلى الدين الإسلامي الصحيح وإلى معينه الصافي، ويدعو إلى نبذ الشعوذة وما يخالف الدين.

ثم أعلن الجهاد. واستطاع أن يستولي على منطقة شمال نيجيريا وجنوب النيجر وغرب تشاد واتخذ عاصمتها مدينة (سيكوتو) عام 1810م وقسّمها إلى قسمين:

أ ـ القسم الشرقي تحت سيطرة إبنه بلُّو.

ب ـ القسم الغربي تحت سيطرة أخيه عبدالله توفي الحاج عثمان دان فودي عام 1817م. واستمرت الإمارة من بعده.

2 - **إمارة ماسنا:** ومؤسسها أحمد ولوبو وهو من قبائل الفلان العربية، واتخذ من مدينة (جني) عاصمة لهذه الإمارة، ثم أسّس بجوارها عاصمة للإمارة سماها (الحمدلله) وبدأ في نشر الإسلام بين الوثنيين وأطاعته القبائل ودخلت في دين الله.

ثم خلفه ابنه أحمد بن أحمد والملقب بالماسني الذي ازدهرت الإمارة في عهده وتوسّعت شمالاً حتى وصلت إلى مدينة تينبكتو.

3 - **مملكة الفونج:** تكوّنت غرب السودان عام 1505 - 1821م وضمت الممالك القديمة. وكانت منذ تأسيسها مملكة إسلامية أسستها مجموعة من العرب الأمويين الذين فروا من بطش العباسيين والتجأوا إلى جبل الفونج بالسودان فسمّوا باسمه.

وقد أسس هذه الإمارة شخص يدعى (عمارة دونقس) من الفونج. وساعده زعيم عربي آخر يدعى (عبدالله جمّاع) من قبيلة القواسمة جهينة. وقد توسعت هذه المملكة حتى وصلت إلى حدود مصر شمالاً، وحدود الحبشة شرقاً. وضمت كل الأراضي الواقعة بين النيلين واتخذوا عاصمة لهم مدينة (سنار) وسميت الدولة باسم المدينة.

وقد ساهمت هذه المملكة في نشر الدين الإسلامي ونشر تعاليمه وفكره بين القبائل الأفريقية في شرق الصحراء.

هذا وإلى جانب هذه الإمارات والسلطنات والممالك التي قامت في الصحراء، هناك حركات إصلاحية إسلامية، وطرق صوفية لم تكوّن إمارات ولا ممالك ولا سلطنات بالرغم من كثرة أتباعها وصلابتها في مقارعة الاستعمار.

وأهم هذه الطرق:

1 - **الطريقة الختمية:** زكؤسسها الشيخ محمد عثمان الميرغني الذي وصل إلى مملكة الفونج عام 1817م وقد نشر طريقته هناك. وهي الآن من الطرق الكثيرة الأتباع في شرق الصحراء (السودان).

2 - **الطريقة المهدية:** ومؤسسها محمد المهدي الذي حاول أن ينشيء دولة في السودان 1881 - 1899م. وسمى اتباعه (الانصار) و(الدراويش) وهاجموا الإنجليز في السودان واستطاعوا الاستيلاء على العاصمة السودانية. وتسلم بعد وفاة المهدي زمام قيادة الدراويش خليفته (عبدالله التعايشي) الذي قتل هو الآخر في إحدى المعارك بعد أن قارع الاستعمار الإنجليزي والإيطالي وهاجم الحبشة.

والطريقة المهدية لا تزال إحدى الطرق الصوفية في السودان. ويدير أفرادها الشؤون السياسية السودانية في بعض الأحيان ولهم تأثير ديني وسياسي في المنطقة.

3 - **الحركة السنوسية:** ومؤسسها محمد بن علي السنوسي بدأ بنشر زواياه في مكة عند جبل أبي قبيس ثم جاء إلى ليبيا وأسس زاوية البيضاء ببرقة ثم انتقل بالحركة إلى (الجغبوب) ولما توفي انتقل ابنه المهدي إلى (القفرة) بواحة (التاج) ثم إلى (قرو) بشمال تشاد.

وأسس السنوسيون مجموعة من الزوايا في شمال تشاد وشمال وشرق النيجر وفي منطقة فزان بليبيا.

وعندما هاجم الفرنسيون تشاد والنيجر تصدى أتباع هذه الحركة للفرنسيين وخاضوا معارك ضارية.

كما خاض أتباع هذه الطريقة الجهاد ضد إيطاليا عندما هاجمت ليبيا.

وبمهادنة محمد إدريس للإيطاليين والإنجليز وتنصيبه ملكاً على ليبيا انتهت السنوسية كحركة دينية إصلاحية.

4 - **الطريقة القادرية:** ومؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني نسبة إلى بلدة (جيلان) بالعراق. انتقل إلى بغداد (1095)م وانتقلت طريقته إلى الجزائر والصحراء الكبرى. وأصبحت معظم قبائل عرب الصحراء قادرية خاصة بعد اعتناق مشايخ قبيلة كنتة لهذه الطريقة وطوروها وبدأوا بنشرها في السنغال ومالي والنيجر ونيجيريا. وقد استغلّت فرنسا هذه الطريقة في مساعدتها على استعمار الصحراء.

5 - **الطريقة التيجانية:** مؤسّسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار المولود (بالعين البيضاء) بجنوب الجزائر عام 1150م. وانتقل إلى المغرب ودرس هناك بفاس وتلمسان وحج إلى مكة ثم عاد لينشر طريقته. فكثر أتباعه في الصحراء وبلاد السنغال. وقد وقعت معارك طاحنة بين أتباع الطريقة التيجانية والطريقة القادرية، وكل منهما يكفر صاحبه، وينشر ضده القصائد المطولة الهجائية والرسائل.

وقد استغلّ الفرنسيون هذا الصراع فاستمالوا وساعدوا أتباع الطريقة القادرية لجانبهم وساعدوهم على احتلال الصحراء ومحاربة التيجانيين.

وأهم صراع جرى في المنطقة بين أتباع الطريقتين الصراع والحرب التي شنها الحاج عمر

تال على أتباع الطريقة القادرية وبطش بهم وخرب عاصمتهم (الحمدلله) وأسقط إمارة ماسنا.

ولكن الشيخ أحمد البكاي الكنتي شيخ الطريقة القادرية في تينبكتو استنفر اتباع الطريقة وهاجم الحاج عمر تال وقتله في معركة ضارية عام 1864م.

6 - **حركة ناصر الدين:** مؤسسها عالم من علماء لمتونة من جنوب موريتانيا حاول أن يعيد مجد المرابطين فقام بدعوته بين القبائل وسمّى نفسه (ناصر الدين) وأسس جيشاً قويًّا هاجم به القبائل المجاورة في معارك استمرت ثلاثين سنة عرفت في المنطقة باسم حرب (شَرْبَبَّه).

وفي نهاية المطاف انهزمت حركته التي قادها أتباعه واستمرت من عام 1644 إلى عام 1674م.

7 - **حركة الجيلاني:** قام هذا الفقيه بنشر دعوته التي تتلخّص في الرجوع للدين الإسلامي الحنيف وترك البدع والخرافات. وذلك بين قبائل عرب توارق النيجر. ولكن الإمارات تكاتفت هذه وخنقت دعوته بعد أن قُتل في إحدى المعارك.

8 - **حداحدا:** وهي حركة تعتبر امتداداً لحركة الجيلاني، قام بها شخص يدعى (حداحدا) في منطقة صحراء النيجر ولكن لم يكتب لها النجاح.

9 - **حركة أحمد صمدو:** حركة قام بها (إمام الصمد) من قبائل المادنجو الإسلامية. عند مصب نهر النيجر في جنوب الصحراء. وألف حكومة إسلامية في نهاية القرن التاسع عشر، واصطدم بالفرنسيين عند وصولهم للمنطقة. خاض ضدهم معارك ضارية أسر في إحداها عام 1898 وتوفي في السجن عام 1900 وسميت الحركة باسمه وتذكره كتب التاريخ باسم (أحمد صمدو).

10 - **الطريقة البكائية:** وتنسب للشيخ سيدي عمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي. وهي فرع من القادرية.

11 - **الطريقة الشاذلية:** أسسها أبو الحسن الشاذلي نسبة لبلدة الشاذلة بتونس وذلك عام 1532. وقد ظهرت في مصر وانتقلت إلى الصحراء عن طريق الحجاج ووصلت إلى السودان الشرقي.

12 ـ **الطريقة الصديقية:** فرع من القادرية تنسب إلى أبي بكر الصديق أسسها محمد الصعيدي المصري. وانتقلت عن طريق الفقهاء والحجاج إلى منطقة الصحراء الشرقية.

13 ـ **الطريقة الخضرية:** تنسب إلى الشيخ عبد العزيز الدبّاغ من علماء المغرب وأخذها منه محمد بن حبيب الله المجيدري الشنقيطي ونقلها إلى الصحراء.

14 ـ **الطريقة الفضلية:** وهي فرع من القادرية مؤسسها الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل وانتشرت في غرب الصحراء..

وهذه الطرق جميعاً متشابهة وتلتقي في الأصول، ولكنها تختلف اختلافات بسيطة لا قيمة لها. غير أن شيوخ هذه الطرق كل منهم يضفي النقاء والاستقامة والمعصومية لطريقته وينتقص بقية الطرق.

المدارس التعليميّة في الصحراء



وصل الإسلام إلى جنوب الصحراء عن طريق القوافل والتجار والفقهاء المتطوعين لإلقاء الدروس وتحفيظ القرآن. وعن طريق الحملات الإسلامية التي قام بها أوائل المجاهدين والمرابطين وأصحاب الطرق ومكوّني الحركات الإصلاحية.

ولقد قامت الممالك والإمارات التي تكوّنت جنوب الصحراء، ووسطها، وشمالها بتقوية الدين الإسلامي وحفظه والدفاع عنه.

وقد قامت الحركات الإصلاحية في الصحراء إلى جانب نشر الدين الإسلامي بإقامة الزوايا والمدارس الدينية التي حافظت على القرآن الكريم ونشرته بين المسلمين الجدد. وكوّنت مجموعات من العلماء والفقهاء الذين جاءوا إلى هذه المدارس من أصقاع الصحراء ومن أدغال أفريقيا. وعادوا إلى مواطنهم ينشرون الدين الإسلامي ويفسّرون أحكامه لأقوام تمنعهم لهجاتهم من معرفة أصول الدين وتفسير القرآن.

وبالرغم من الفضل الذي نعترف به لهذه المدارس إلاّ أننا نأخذ عليها ترسيخها للطرق الإسلامية المختلفة التي شتتت المسلمين في المنطقة وبثت بينهم التفرقة والتناحر والتقاتل وإسالة الدماء. وكل فريق يرى نفسه على صواب ويخطىء صاحبه.

غير انه وجب علينا ذكر أهم المدارس التي قامت في منطقة الصحراء الكبرى حيث وقفت سدًّا منيعاً أمام مسخ العرب وتشويه حضارتهم واستلاب لغتهم من قبل الغرب الذي هاجم المنطقة محاولاً ترسيخ ثقافته فيها فارضاً لغته على المواطنين العرب. ويقف على التعليم في هذه المدارس مجموعات من العلماء والمتخصصين.

وهذه المدارس هي:

1 - **مدرسة وادي درعة:** وتسمى (الزاوية الناصرية) أسسها أحد العلماء الصحراويين من أولاد الناصر في جنوب المغرب. يؤمها طلاب العلم من مختلف بقاع الصحراء. وكان المتفوقون منهم يلتحقون بجامعة القرويين (جامع القرويين) بفاس.

2 - **مدرسة السمارة:** أسسها الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل ذلك المجاهد العالم الوقور في منطقة السمارة وبنى بجوارها مسجداً. وكان يؤمها الطلاب من مختلف بقاع الصحراء. وقال محمد الأمين الشنقيطي إنه مرّ بها فوجد أكثر من عشرة آلاف شخص تنفق عليهم هذه الزاوية من طلاب العلم والفقهاء وفقراء المسلمين.

3 - **مدرسة أبي تليميت:** وهي زاوية دينية أسسها العالم الشيخ سيديا الانتشائي في منطقة أولاد ابييري جنوب موريتانيا وهو تلميذ الشيخ سيدي المختار الكبير وابنه محمد.

وقد ازدهرت هذه المدرسة حتى أصبحت في الوقت الحاضر معهداً دينياً تطبق فيه النظم العصرية والإدارة العصرية. وهو أشبه ما يكون بجامعة دينية وينتقل طلابه لإتمام دراستهم بجامعة انواقشوط.

4 - **مدرسة ولاته:** وكانت هذه المدينة مركزاً إسلاميًا مهمًا ساهمت في نشر الإسلام في أفريقيا الغربية وبرز منها الكثير من العلماء.

5 - **مدرسة كولخ:** وهي تقع جنوب نهر (صنهاجة) ببلاد السنغال الحالية وأسستها أسرة نياس العربية وهي متتلمذة على مشايخ الصحراء في مناطق موريتانيا الحالية.

6 - **مدرسة شنقيط:** وهي من أوائل المدارس الإسلامية في المنطقة ولا تزال بشنقيط المدينة محاضر لتعليم القرآن.

7 - **مدرسة تينبكتو:** وهي من المنارات العلمية الإسلامية تخرّج منها عشرات العلماء والفقهاء أمثال الشيخ أحمد بابا التينبكتي وسيدي المختار الكبير وابنه محمد الكنتي وأحمد البكاي والشيخ سيديا وغيرهم. وتعتبر مدرسة تينبكتو مثل الجامعة ينتقل إليها طلاب العلم لزيادة تحصيلهم وليوقع على إجازاتهم علماء تينبكتو.

8 - **مدرسة سيكوتو:** أنشأها الشيخ عثمان دان فودي كمدرسة لتعليم علوم الدين الصحيح الخالي من الشوائب. وتخرج من هذه المدرسة الكثير من طلاب العلم من قبائل الفلان

والحوصة والذين أخذوا على عاتقهم نشر الدين الإسلامي بين القبائل الوثنية في نيجيريا.

9 - **مدرسة غدامس:** وهي مدرسة دينية لتعليم أصول الدين وتحفيظ القرآن. وكان خريجوها يذهبون لإتمام دراستهم في الجغبوب أو إلى جامع الزيتونة بتونس.

10 - **مدرسة توات:** وهي بجنوب الجزائر. أسسها علماء من قبيلة كنتة. وقد خرجت مجموعة من العلماء ساهموا في نشر الدين الإسلامي وفي نشر علوم الفقه واللغة وتحفيظ القرآن في مختلف مناطق الصحراء.

11 - **مدرسة الحمد لله:** أسسها الشيخ أحمد الماسني واتخذ هذه المدينة عاصمة لملكه وأنشأ فيها زاوية لتعليم القرآن والتعليم. وكان خريجوها يذهبون لإتمام علومهم بتينبكتو.

12 - **مدرسة كانم:** مدرسة دينية أسسها الشيخ محمد السني القادم من ليبيا وذلك بمنطقة تشاد.

13 - **مدرسة بئر العلالي:** أسسها الشيخ البراني المساعدي القادم من ليبيا من قبيلة زويه.

وقد وقفت هذه الزاوية بشيخها الوقور الشجاع سدًّا منيعاً ضد تقدم الفرنسيين للمنطقة عام 1900 - 1901.

14 - **مدرسة قرو:** في شمال تشاد. أسسها الشيخ محمد السني. ووقف يدافع عن المنطقة ضد الفرنسيين الذين لم يستطيعوا اقتحامها إلا عام 1913.

15 - **مدرسة فايا:** أشرف على إدارتها الشيخ المهدي السني وجمعت طلاباً من مختلف قبائل المنطقة ووقف هذا الشيخ مجاهداً في سبيل الله ضد الفرنسيين الذين استولوا على فايا في شهر ديسمبر 1913.

16 - **مدرسة الجغبوب:** تعتبر هذه المدرسة جامعة من الجامعات الإسلامية التي تخرّج منها آلاف الطلاب المسلمين وحفظة القرآن.

أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي ونقل إليها ثقل دعوته.

وإلى مدرسة الجغبوب ينتقل طلاب العلم من المدارس الأخرى في جنوب الصحراء ووسطها.

17 - **مدرسة القفرة:** أسسها الشيخ المهدي السنوسي حيث انتقل إليها من الجغبوب واستقر بواحة التاج. وأصبحت هذه المدرسة صنواً لمدرسة الجغبوب.

ومن هذه المدرسة أشرف المهدي على الجهاد ضد فرنسا في الصحراء الكبرى.

18 ـ **مدرسة الجديد:** وهي ببلدة سبها. ويقال لها زاوية أولاد حضيري.. أسسها جد هذه الأسرة وأصبحت مدرسة علمية ثقافية. يؤمها طلاب العلوم الدينية من مختلف بقاع منطقة فزان وملحقة بها مكتبة وغرف لإيواء الطلاب القادمين من أماكن بعيدة.

19 ـ **مدرسة غات:** وهي مدرسة دينية. ينتقل خريجوها لإتمام دراستهم إلى الجغبوب والقفرة. وغات وغدامس على صلة وثيقة بزوايا توات وتينبكتو.

20 ـ **مدرسة العركيين:** وتقع بمدينة الأبيض بالسودان ومؤسسها الشيخ محمود العركي. وقد عنيت بالتشريع الإسلامي وتحفيظ القرآن بالسودان الشرقي.

21 ـ **مدرسة سوار الذهب:** وتقع ببلدة (دنقلا العجوز) ومؤسسها الشيخ محمد بن عيسى بن صالح وهو شريف النسب ويلقب بسوار الذهب وجعل لهذه المدرسة فروعاً في مختلف أنحاء السودان الشرقي.

ويقول الدكتور أحمد شلبي:

«... وكان سوار الذهب واسع المعرفة في علوم القرآن وعلوم التصوّف جميعاً ولهذا أمّه الطلاب والمريدون من كل صوب..».

22 ـ **مدرسة أولاد جابر:** ومؤسسوها أخوة أربعة هم إبراهيم وعبد الرحمن وإسماعيل وعبد الرحيم أبناء جابر بن عوف الذي يصل نسبه بسيدنا الحسين بن علي عليه رضوان الله.

وإلى هذه الأسرة وهذا المدرسة يرجع الفضل في نشر الإسلام جنوب كردفان.

* * *

وتستند هذه المدارس العلمية على جامعات ثلاث ينتقل إليها طلاب العلم والمعرفة لتقوية علومهم والتخرج منها في علوم أرقى. وتلك الجامعات الثلاث هي: جامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بالقاهرة.

وتتفرّع هذه المدارس إلى آلاف الزوايا والمحاضر الصغيرة التي تتخصّص في تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين للناشئة وتعليم قواعد اللغة.

وقد كانت مدن الصحراء وقراها ومخيماتها لا تخلو من فقيه يعلم الناشئة ومدرسة متنقلة مع البدو في الصحراء تغذي تلك الجامعات والمدارس.

وأهم هذه المدارس الصغيرة والمحاضر والزوايا في الصحراء ما ذكرها كتاب (بلاد شنقيط: المنارة والرباط)[1]. وحاول حصرها وذكر قراها إذ ذكر أن المحاضر موجودة في كل من القرى التالية في موريتانيا:

باسكنو وولاته والنعمة وتيمدغة وعدل بقرو وجكني وأحرج وأطار والعيون والطينطان وكنكوصة وكيفا وغرو وبومدين وتجكجة والمجرية والرشيد وتيشيت وولدينجي وسيلبابي وغابو وغوراي وأمبود ومقامه وكيهيدي وآلاق ومقطع لحجار وبوغي ويابابي والقوارب والمذرذرة والركيز وكرمسين ووادي الناقة واقجوجت ووادان وشنقيط والزويرات وانواذيبو ولقويره.

أما في بقية الصحراء فقس على هذا المنوال. فإن آلاف الزوايا الصغيرة منتشرة في المنطقة.

وقد ساهمت هذه الزوايا، بل يرجع لها الفضل في نشر الدين الإسلامي ونشر اللغة العربية. وإنك لتجد في أدغال أفريقيا من يخاطبك باللغة العربية الفصحى. وتسأله فيجيبك أنه درسها في أحد المحاضر الإسلامية.

وإنني إن نسيت لا يمكن أن أنسى صبيًّا شحّاتاً في دكار بالسنغال جاءني يمد يده يطلب الصدقة فقلت: له أأنت مسلم؟

فأجاب برأسه أن نعم.

فقلت له أتقرأ القرآن؟

هز رأسه موافقاً.

فقلت له: إقرأ لي شيئاً من القرآن فاسترسل يقرأ سورة (ص) فأعجبت به ودفعت له ما يسّر الله.

وقد ساهم شيوخ الزوايا بتحريض الناس على الجهاد ضد النصارى وقادوا الجهاد في المنطقة.

ويذكر التاريخ مساهمات الشيخ ماء العينين في الجهاد ضد فرنسا واسبانيا في الصحراء الغربية. ومساهمات الشيخ محمد السني في منطقة تشاد والنيجر. والشيخ البراني الساعدي في

---

(1) بلاد شنقيط: المنارة والرباط، تأليف خليل النحوي.

تشاد. والشيخ عبدالله الطوير وكذلك المهدي السني. والشيخ أبو عقيلة الزوي وغيرهم من علماء المسلمين العرب الليبيين في منطقة تشاد والنيجر وجنوب ليبيا.

وهكذا، فإن علماء الصحراء لم يكن جهادهم وقفاً على القلم ومكابدة متاعب الصحراء، بل تعداه لامتشاق السلاح ضد العدو.

الفَصْل السَادِسْ

الأدبُ وَالموسِيقى في الصَحْراء

الشعب العربي في الصحراء الكبرى جزء من أمته العربية من قبائلها وأفخاذها. انتقل من موطنه الأصلي في جزيرة العرب على دفعات بعضها قبل الميلاد وبعضها بعده وموجات أخرى قريبة العهد.

انتقل من جزيرته يحمل تراثه وآدابه وفنونه. عاداته وتقاليده. لباسه ومطعمه ومسكنه. حتى حيواناته من خيل وإبل وضان وماعز. انتقلت معه بنفس المسميات لأسنانها ونتاجها وبالفوائد نفسها من جز صوف وركوب وحمل. وحلب ومخض واستخراج سمن من زبدة هي نتاج المخيض لشكاوي من الجلد نقلت مع العرب من جزيرتهم.

الشعب العربي الصحراوي المتناثر على امتداد الصحراء الكبرى في آلاف القبائل الصغيرة والكبيرة، المتحدة والمتآلفة، وغير المتحدة والمتآلفة، وسم الصحراء الكبرى بميسمه الذي لا يزول أبد الدهر. والمتمثّل في طرق هو شاقها، وآبار هو حافرها ومسميها، وجبال ووهاد أسماها بأسماء عربية، ومرتفعات وأودية له فيها ملاعب ومراتع.

خلّد تلك الصحراء في شعره ونثره، في قصائد مطولة من الحنين للأطلال. وفي قطع موسيقية على آلات صنعت في الصحراء من جلود حيواناتها وشعر خيولها وخشب أشجارها.

وترك لنا على أديمها حكايات وقصص تذكر مرابعها وأزهارها ونباتات تزهر وتذوي في الفصول الممطرة.

ترك لنا قرى وواحات ونخل باسق الأفنان يؤتي أكله كل حين.

الشعب الصحراوي قطعة من الشعب العربي في جزيرة العرب قبل الإسلام، أدباً وفنوناً وشعراً ونثراً وعادات وتقاليد، وحرباً وسلماً، وغارات ومعارك حول استياق الإبل والانتجاع.

الذي يطلع على هذا الشعب العربي الصحراوي يطلع على نافذة الأدب العربي بقصصه وحكاياته، نوادره وأمثاله، شعره ونثره وأساطيره.ولنحاول أن نلقي ضوءاً ولو بسيطاً على ألوان الفنون والآداب الصحراوية في هذه العجالة.

أ ــ الشعر

الشعر في الصحراء صحيفة الشعب وإعلامه. جميع الصحراويين إما قائل للشعر أو حافظ له. ومعظم العلوم في مدارس الصحراء تنظم شعراً فيحفظ للطلاب، النحو ينظم شعراً وقواعد الإسلام تنظم شعراً، وأصول الدين تنظم شعراً في ألفيات حفظ لنا التاريخ جلها لا يُجاز القارىء أو الطالب ما لم يحفظ هذه الألفيات في مختلف العلوم والفنون.

والشعر في الصحراء هو شبيه بالشعر الجاهلي. إذ تبدأ القصيدة بالنسيب ثم بوصف الناقة أو الجمل الذي سيمتطيه الشاعر ليصل به إلى ديار محبوبته، ثم يشرع في وصف الأماكن التي سيمر بها، وأخيراً بعد وصوله يخلص للموضوع الذي يريد الخلوص إليه مدحاً لممدوحه أو هجاء لمن يريد هجوه.

والشعراء الصحراويون متمكّنون من ناصية اللغة وعروض الشعر. ولهم طول نفس في قصائدهم حتى إننا نجد من ينظم قصيدة في ألف بيت. ومنهم من يزيد على ذلك.

ولنحاول أن نورد هنا بعض القصائد لشعراء صحراويين في مواضيع مختلفة حتى يطلع القارىء على نمط من الشعر العربي في هذه المهامه. ويلاحظ طول النفس وقوة الأسلوب والتمكن من اللغة وإيراد الغريب ولو أن أغلب قصائد الشعر الصحراوي نظماً مرصوصاً ينقصه التحليق في عوالم الخيال الشعري والتشبيهات البعيدة وتصوير الأحاسيس غير المادية.

فالشعر الصحراوي ما زال يعتمد البكاء على الأطلال والوقوف عليها، ومساءلة الأماكن والآبار والطرق ومخاطبة الرفيق في الرحلة، ومراعاة النجوم والقمر، وسهر الليل ومساءلة الصباح، ووصف المحبوبة بالغزال والمها. وإنها (تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل) وإنها مكسالة نؤومة الضحى إلى غير ذلك من الوصف الجاهلي للمرأة.

كما تجده في وصفه لناقته كأنه يكرر أوصاف طرفة بن العبد لناقته.فهي قوية، مطيعة، جلدة،

صبورة، طويلة عريضة. رتعت أراضي مربعه أغاثها هاطل المطر فاعشوشب سهلها وتلعها ورتعته خريفاً وربيعاً حتى إذا ما ارتفع سنامها وأصبح كالهودج أحضرها" وربط عليها رحله وامتطاها قاصداً عليها خيام أحبائه.

والشعر الصحراوي بالرغم من إيغاله في نقل مكونات الشعر الجاهلي وتشبيهاته وأوصافه لا يخلو من ومضات شعرية ووجدان صادق، وحنين طافح بالحب للوطن وللمرابع.

سنذكر هنا بعض القصائد الشعرية من عصور مختلفة، ومناطق مختلفة، حتى نجعل القارىء يطلع على خصائص الشعر العربي في الصحراء.

يقول الشاعر امحمد بن الطلب اليعقوبي من قبيلة (اداو يعقوب) في منطقة بلاد شنقيط في قصيدة يعارض بها الشاعر الإسلامي حميد بن ثور التي مطلعها:

ألا هيّما مما لقيتُ وهيّما   وويحاً لمن لم ألقَ منهن ويحما
أأسماء ما أسماء ليلة أدلجت   إليّ وأصحابي بآيّ وأينما

* * *

يقول الشاعر العربي الصحراوي امحمد بن الطلب في قصيدته:

تأوبه طيف الخيال بمريما   فبات معنىًّ مستجنًّا متيما
تأوبه بعد الهجوع فهاضه   فأبدى من التهيام ما كان جمجما
لطاف بها حتى إذا النفس أجهشت   وأبدت بنانا لي خضيبا ومعصما
ووجهاً كأن البدر ليلة أربع   وعشر عليه ناصلا قد تهمما
تولّى كان اللمح بالطرف زوره   وكان وداعاً منه إن هو سلّما
فمن ذا ولا من ذا رأى مثل زوره   ومثل الذي بين الجوانح أضرما
فبات الهوى يستن بي هيجانه   فأسدى بلبّى ما تبغّى وألحما
وبتُّ بهمٍّ لا صباح لليله   إذا ما حداه الصبح كرٌّ ودوّما
فقلت أما لليل صبح كما أرى   أم الصبح مما هيّج الطيف أظلما
بلى كل ليل مصبح غير أنني   أرى الصبح يا للناس للصبح انجما
ألا يا خليلي أرحلاً وتيمما   بنا حيث أمسى رائد الظعن يمما
فكيف القرار بعدما قيل يممت   مرابعها بالجو أظعان مريما
ظعائن يهديهن في كل نجعة   من القوم ميناف إذا هم صمما
تحملن إن قد شمت من جال (تيرس)   مخيلا بها ألقى البعاع وديّما

فخبّرهم روادهم بعد سبعة   بما سرّهم أن جاد فيها فأفعما
وجر على انجادها ووهادها   من الوشم حوكا سندسيا وأنعما
فمن يك يوما ذا عزاء ونسوة   لطول ثناء أو لوصل تعرما
فلست بناس يوم ولّت جمالهم   وسال بهن الفج بالظعن عوّما
هجائن بيض من عقائل عامر   جمعن إلى الأحساب حُسنا وميسما
تخيّرن للأحداج كل منوّقٍ   من البزل فعماً قيسرياً عثمثما
يزيف بمبهاج كأن مروطها   تخال برئم من غشيواء أرتما
جعلن على الأحداج خملاً وكلّة   وعالين رقماً عبقرياً منمنما
تظل عتاق الطير في كل رحلة   إليه مديمات عكوفا وحوّما
كأن العيون اللامحات إذا بدا   تمجُّ عليه أرجواناً وعندما
فلم أر يوما كان أحسن منظراً   وأهوى هوىً يقتاد صبّاً متيما
وآنس أنساً لويرام مناله   وألهى لهيّا للصديق وأصرما
ولله عينا من رأى مثل سيرها   إذا رجّع الحادى بهن وهمهما
سلكن جواء الفج ثم تطلعت   من الصخرة البيضاء نجداً مهضما
جعلت قنان الوطس نصب عيونها   وكان لهن الوطس قدماً فيمّما
ويامنَّ عن نجد الغوير ويا سرنْ   عن الأبقِ نكباً سيرها لن يثمثما
فحلّت ببطن الأثوِ مسياً ومابه   علاق فبات الظهر حدباً مزمما
وأبكرن يخبطن الجفاجف غدوة   كإصرام عيدان أنى أن تصرّما
فألوت على الكنوين من نسج سدوها   هجيرا برأي محكم النسج أقتما
يحاولن بالسبع الأضيّات مشرباً   من الغُدْرِ أو عيناً بجلواء عيلما
وروضا باكناف الأماكن زاهرا   قد ارزم فيه الرعد سبتا وزمزما
فالقت عصيّ السير فيه وخيمت   بحيث بعاع المزن سحّ وخيما
عسى الله يدني بَعد بُعدِ مزارهم   فيأنس صب بعد حزن وينعما
فهل تبلغينهم نجائب وخد   شوازب لا يبقين لليل محرما
نجائب يحدوها سرًى وتهجّرٌ   يباري بها الدوُّ النعام المخزما
نجائب لا يعظمن للهول كلما   تغوّل مجهول التنائق معظما
تخيرت منها لاهتمامى عرندساً   يخال على الترحال والحل مقرما
بويزل عام كالمصاد عُذافرَ   كأن عليه خدر حدج مخيما

ذخرٌ خروس لو تُولّى لرحله ... بحدٌّ المواسي زمٌّ ان يتزغمّا
كأني أدارى إذ علوت قتوده ... به أبلق الكشحين جأباً مكدّما
قنويرح عام أو رباع خلاله ... مجرٌ بحنّانٍ من الدلو أسْحَمَا
كأن رباه والهجول تجلّلت ... زرابيَ أو وشيا يمانٍ مسهّما
يدين به حقب سماحيجُ باكرت ... لعاع تناهى روضه حين وشّما
كأن صراخ المستغيث سحيلُه ... بكل صباحٍ غير أن كان أعجما
يدنّ له حتى قرين ذُنابه ... وأحسن لقحاً عن حيال مكتّما
وقد جعلت ليّاً باذنابها له ... إلى السلّم من بعد المنارات سلّما
يحوّزها في كل فج كأنها ... وسيقة ناجٍ من عدى نال مغنما
يظل رقيبا حولهن كأنه ... ربيءٌ على من ميضع متسنما
فلما جرت هيف الجنائب بالسفا ... وأيقنَّ ان الجزء فيه تصرّما
ولوّحها هيج السموم وسومها ... فظلت صفوتاً بالظواهر صيّما
توخّى بها عينا رويً قد تعودت ... بها الريّ قدماً بالمصائق معلما
فشجّ بها الحزّان شجّاً كأنما ... تشبُّ على الحزّان غاباً مضرّما
أو أروح هيقا خاضبا متروحاً ... يبادر أغوال العشي مصلّما
تهيّجَ للادحيّ من نازح غدا ... يجول له في يوم ريح تغيّما
فلما دنا الامساء والشمس حيةٌ ... تذكّر أقواباً وقيضا محطما
تحطم عن زعرِ القوادم خرّقٍ ... كمثل آروم من حليٍّ تجرثما
ألا عجبت جملٌ سفاها وما رأت ... بديئا لشيب بالمفارق معلما
وقد زعمت أنى كبرت واكبرت ... صباي ولم تنقم لعمرك معظما
وقد هزأت لما رأتني شاحبا ... وهنت عليها بعدما كنت مكرما
الم تعلمى ان لا غضاضة أن يُرى ... كريم ببيضاء المحاجر مغرما
وان الجراز العضب يخلق غمده ... ولا عيب ان العيب ان يتكهما
ولكن سلي عنى دخيلى إذا شتوا ... واخلف ماشيهم سماكا ومرزما
كأني لم أركب للهوِ ولم أنل ... من البيض وصلا آمنا ان يصرما
ولم أسهر الفتيان ليل ملذة ... طويلا ألا يارب طولٍ قد أسأما
ولم أتلاف الظعن قصرا بحاجر ... على أثر حي مدَّ سيرا وأجذما
ولم اعمل العيس المراسيل بالفلا ... لأبني مجدا ركنه قد تهدما

ولم أهدِ بالموماة ركبا ولم أرد بهم آخريات الليل ماءً مسدّما
ولم أردد الألوى الألد كأنه أميم كما عن المعنّى المسدما
ولم أفحم الحنذيذ في يوم مجمع من الناس مشهود وما كان مفحما
أتى ثانيا من جيده متخمطا يمجّ لغاما مستطيرا وبلغما
يصد صدود المستكين كأنه من الذلّ محسوم الخصاء وأحجما
أرانا لصرف الدهر صرعين مقعصاً فمصميً ومنميً أن تخطاه مهرما
وما مات من أبقى ثناء مخلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذمما
وما المجد إلا الصبر في كل موطن وان نجشم الهول العظيم تكرّما
وما اللؤم إلا ان يرى المرء غابطا لئيما لمال في يديه إن أعدما
فذاك الذي كالموت في الناس عيشه ومن عدّ مالاً ما له كان الأما
وما الدهر إلا بين لينٍ وشدة فمن سرّ مَشيًا فيه أصبح مرغما
وما الحزم إلا مرة النفس تقتني بشدته من قبل أن تتحكما
وما العجز الا ان تلين لمسها فتضجر من قبل الرخاء وتسأما
وليس الغنا إلا اعتزاز قناعة تجلّ أخاها أن يُذلّ ويشتما
وما الفقر إلا أن يُرى المرء ضارعاً لنكبة دهرٍ قد ألمّ فيقحما
وخير الرجال المجتدى سيب كفه وأجرأهم عند الكريهة مقدما
وشر الرجال كل خبٌ مُرامِقٍ إذا ما دعى الداعي لأمر تلعثما
تجنب صحاب السوء ما عشت انهم لكالجرب يعدين الصحيح المسلما
وراع حدود الله لا تتعدها وصغّر وعظّم ما أهان وعظما
وراع حقوق الضيف والجار انه لعمرك اوصي أن يبر ويكرما
وان جهل الجهال فاحلم وربما يكون عليك العار ان تتحلما
وبالحسن ادفع سيئا فإذا الذى يعاديك كالمولى الأحم وارحما
ولا تقربن الظلم والبغي فاطّرح فغبّهما قد كان أردى واشأما
وما اليمن إلا البر والعدل والتقى وما الشؤم إلاّ أن تخون وتأثما[1]

***

والقصيدة كما يرى القارىء طويلة النفس. اختار لها الشاعر حوشي الكلام ومستغرب اللفظ

(1) أنظر : الوسيط للشنقيطي، المصدر السابق.

ومختارات اللغة، تقع في أربعة وتسعين بيتاً. انتقل خلالها الشاعر من النسيب إلى حالته النفسية وطول ليله كليل امرىء القيس.

فقلت كان الليل ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب

ويقول شاعرنا:

فقلت أما لليل صبح كما أرى أم الصبح مما هيج الطيف أظلما

ثم ينتقل إلى رحيل خيام حبيبته على ظهور الإبل قاصدين أرضاً أرسلوا لها من يرودها ويخبرهم بأن السحاب سقاها بوابله فأصبحت أرضها كالوشم في تشابك ألوان الأعشاب وزينتها.

ويذكر الشاعر الأماكن التي مرّ بها رحيل صاحبته في جهات (تيرس) شمال موريتانيا. ويسمي المواقع التي جاءت على يسار الإبل المحمّلة والتي جاءت على يمينها والأماكن التي يقصدها القوم.

ويقول الشاعر إن الذي يلحق بهم لا بد له من جمل بازل يحدد سنه بـ (رباع) أو أكبر من ذلك قليلاً (قارح) هادىء الطبع قوي البنية. يركبه فينطلق به كذكر النعام الذي تذكر فراخه قبل غروب الشمس فانطلق يعدو في فجاج الأرض.

وإن هذا الجمل البازل يسبق قارح حمير الوحش الذي يرتع في أرض معشوشبه مع أتانه. تلك العانة التي تطيع ذكرها خاضعة له ذليلة ترفع ذيولها علامة على الطاعة.

ويقول الشاعر واصفاً حمار الوحش هذا المخطط القوي البنية الذي صوته يشبه صراخ المستغيث. وانه يقف على تلعة من الأرض يحرس عانته إلى أن انقضى فصل الربيع ويبست الأعشاب فلفحتها رياح الجنوب الحارة. وأصبح العشب هشيماً تذروه السافيات. هنا قادها لعين ماء لتشرب منها وتروي غليلها من العطش. إذ سبق له وأن خَبِرَهَا لأنه شرب منها في عام فائت.

مثل هذا العير يعدو جمله به نحو حبيبته التي لما وصلها عيّرته بالشيب لطول العهد بينهما.

وهنا انتقل للفخر وصار يطلب منها أن تسأل عنه العداة كيف يصرعهم، والضيوف كيف يكرمهم، والرفاق كيف يقودهم في ظلمة الليل البهيم مهتدياً بهم وارداً بهم الآبار الكثيرة الماء.

وأنه يسكت الشعراء بجيّد شعره ويفحمهم بعد أن جاءوا يرغون ويزبدون طلباً للشر. فيرجعهم منكسي الرؤوس منخذلين.

وأخيراً، ينتقل للحكمة بقوله: لم يمت من يترك المجد لمخلد ولم يعش من عاش عيشة ذميمه. ثم يصف المجد وطرقه، وأنه الصبر على المكاره. وأن اللؤم هو الحسد. وغبط الآخرين عما في أيديهم وأن الدهر بين لِيْن وشدّة.

ثم ينتقل للحِكَمِ والنصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تلك هي قصيدة الشاعر العربي الصحراوي وتسلسلها أوردناها كنموذج لشعر الصحراء الذي يحاكي الشعر الجاهلي في عدم وحدة القصيدة وتنقّل الشاعر من غرض إلى آخر دون تمهيد في تسلسل يراه الشاعر من حتميات القصيدة الصحراوية.

والشاعر الصحراوي طرق بشعره جميع أغراض الشعر: النسيب، المدح، الهجاء، الفخر، الحِكَمِ، الرثاء، الحنين، الوعظ والارشاد، المزح وغيرها من أغراض الشعر العربي.

وإلى جانب هذه الأغراض، هناك النظم التعليمي في النحو والتشريع. وهذه المنظومات يجب على الطلاب حفظها لا لجودتها ولكن لاحتوائها على مسائل النحو ومسائل الفقه وغيرها.

والصحراويون عموماً يحبون صحراءهم لدرجة لا توصف ويتشوقون إليها. ويعتبرون أنفسهم خارج الصحراء غرباء كالطيور المهاجرة البعيدة عن أوكارها. ولهذا نجد لهم مئات القصائد في الحنين والتشوق للأوكار، وتحس فيها الصدق والإحساس بالغربة المضنية.

ولجودة الحنين في الشعر الصحراوي أردنا أن نورد بعض القصائد في الحنين للوطن، والحنين للأصدقاء والأحبّة، وحنين المتصوفين لزيارة قبر رسول الله ﷺ، والحنين إلى مكه، وغيرها من المواضع التي للشاعر في نفسه لها مكان.

يقول الشاعر محمد بن الشيخ سيديا متشوقاً إلى وطنه:

هاج التذكر للاوطان في الحين ... برقٌ تألق من نحو الميامين
برق يحاكي اغتداء الطير آونة ... ونبضة العرق في بعض الأحايين
فقلت إذ شمته وهناً اخاطبه ... دور الميامين أو دور الكناوين
سقيا لها أربعا شطت بساكنها ... عن نازح مستهام القلب محزون
أخي اغتراب رمى صرف الزمان به ... بحيث يجمع بين الضب والنون
سكناه بين أناس جل عقدهم ... بيع الملاقيح أو بيع المضامين
إيمانهم كلها لغو ودأبهم ... غصب الأباعير*من كل الأناسين

الشاعر نفسه في جزيرة العرب الذي يوقظ أصحابه ليلا يشيم البرق (أصاح أرى برقاً أريك وميضه).

أما الشاعر أبو فمين المجلسي، الذي نزح طريداً من وطنه، وشاهد في غربته (قبّرة) تشدو فتذكّر وطنه وظنها تحنّ كحنينه لأنه شاهدها هناك:

أصـخ لـقـبّـرة نـأت عـن الـوطـن ... كـمـا نـأيـت ويـبـكـى سـاكـن الـوكـن
مـغـبّرة الـطـوق والـمـنـقـار جـؤجـؤهـا ... تـشـوبـه حـمـرة مـصـفـرة الـبـدن
لـمـا شـدت خـلـتُ أنـي كـنـت أعـهـدهـا ... بـذي (ذوي مـائـة) تـشـدو عـلـى فـنـن

* * *

(ذو مائة) موطن الشاعر الذي تذكّر أن هذه القبرة المغبّرة الجؤجؤ تشوبها حمرة مصفرّة البدن كلون الرمال عندما شدت كأنها كانت تشدو بنفس النغم في موطنه.

أما الشاعر سيدي عبدالله ولد أحمد دام لم يحنُّ إلى وطنه فقط وإنما يحن وهو ببلاد أفريقيا إلى وطنه وقومه ولغته.

يقول ولد أحمد دام:

أصـابـت بـي الأيـام أيّـا وأيّـمـا ... فـيـا هـيّـمـا لـي مـن نـواي وهـيّـمـا
نـشـأت بـأرض لا اود بـاهـلـهـا ... أعـز انـاس فـي الـبـلاد وأكـرمـا
وهـا أنـا اسـعـى بـيـن نـاس تـخـالـنـى ... لـديـهـم اذا خـاضـوا الاحـاديـث أبـكـمـا
خـلـيـلـى مـا ضـاق الـصـدور لـغـربـة ... كـغـربـة بـادٍ لا يـرى غـيـر أعـجـمـا
ولا الـتـهـبـت ذكـرى صـديـق كـمـاجـد ... تـعـد لـديـه ريـبـة الـخـل مـأثـمـا
يـرد عـلـى الـنـدمـان بـالـكـأس مـثـلـهـا ... وأي مـجـال خـضـت فـيـه تـقـدمـا
ألـهـفـى عـلـى امـثـال ذاك وان لـوى ... بـهـم زمـن قـد عـز أن يـتـصـرمـا
ألـهـفـى عـلـى كـل ابـن بـيـضـاء حـرة ... إلـى واضـح الـخـديـن يـنـمـى إذا انـتـمـى
ذكـي الـحـجـا حـلـو الـشـمـائـل لـم يـكـن ... بـلـيـدا اذا خـيـض الـحـديـث تـلـعـثـمـا
ولا طـائـشـا مـن نـوكـه لـيـس يـهـتـدى ... إلـى أيـن يـرمـي ذو الـنـبـاهـة ان رمـى
ولا ذا لـجـاج لـم تـكـد لـشـقـاقـه ... وإن لـم تـقـل إلا سـلامـا لـتـسـلـمـا
فـهـذا الـذي مـا شـاب شـوب خـلالـه ... سقتنى النوى في نازح الارض علقما
عـلـيّ لإن ادّانـي الاهـل سـالـمـا ... إلـه الـورى اطـعـام سـتـيـن مـسـلـمـا

* * *

الشاعر لشدة شوقه وتدينه يرى عليه نذراً إذا أرجعه الله سالماً لأهله أن يطعم ستين مسكيناً مسلماً.

ومن الشعر الصحراوي مساجلات شعريّة ومعارك بالقريض بين القبائل يضيق المجال لسردها هنا. إذ تبلغ بعض قصائدها أكثر من أربعمائة بيت من الشعر، كقصيدة الشيخ أحمد البكاي الكنتي التي يفتخر فيها بقبيلته ويذمّ بقية القبائل كالأنصار، وأداو الحاج وغيرهما.

وقد ردّ عليه أيضاً الشاعر أحمد السالك بقصيد طويل.

وفي الهجاء لهم باع طويل. ولنذكر هنا قصيد ممازحة للشيخ محمد بن الشيخ سيديا يهجو فيه (حداد) يسمى (نحن) يمازحه في أبيات أشبه بهجاء ابن الرومي في عمرو أو وصفه الدقيق لداحي الرقاق.

يقول محمد بن الشيخ سيديا:

ما هز عطفي كمّي يوم هيجاء ... بين الأوانى كذى النونين والحاء

فرد يقوم مقام الجمع وهو لذا ... يدعى بمضمر جمع بين اسماء

يسطو باسلحة للأكل أربعة ... يدٍ وفم وبلعومٍ وامعاء

تخال لقمته العظمى براحته ... كراكر الابل أو جماجم الشاء

ما بين طلعتها فيها وغيبتها ... في فيه إلا كلمح الطرف للرائي

فتنهوي كدلّيٍ خان ماتحها ... اشطانها فترامت بين ارجاء

فبان ان الذي يحويه من شرفٍ ... قد صح لكنه بالهاء لا الفاء

* * *

وقد ساهم الشعر العربي الصحراوي في التحريض على الجهاد ضد فرنسا في قصائد مطوّلة ذكر بعضها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط). ومنها قصيدة للشيخ محمد ولد الشيخ سيديا التي يقول فيها:

رويدك إنني شبهت نارا ... على أمثالها تقف المهارى

تأمل صاح هاتيك الروابي ... فذاك التل أحسبه انارا

ويستمر يتحدث عن شوقه وحبّه إلى تلك المغاني والأوكار إلى أن يقول:

ولو في المسلمين اليوم حر ... يفك الأسر أو يحمي الذمارا

لفكوا دينهم وحموه لما ... أراد الكافرون به الصغارا

حماة الدين إن الدين صارا أسيراً للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تداركوه وألا يسبق السيف البدارا

إلى آخر القصيد وهو يتجاوز التسعين بيتاً.

* * *

كما خلد الشعراء الصحراويون بطولات أبطال الجهاد في أشعارهم في قصائد مطوّلة لا تزال تنتظر من ينفض عنها غبار الزمن ويقدمها للقراء في ثوب قشيب.

وفي صحراء مالي فإن عرب الصحراء قاسوا الظلم والقهر والاضطهاد من حكم (موديبوكيتا) الرئيس المالي بعد الاستقلال. ولما أطاح به الجيش قال الشاعر المرتضى بن محمد التينبكتي:

ألم تجز جورك مودبّ كيتْ بضرب وسجن وكيتَ وكيتْ
بلى والعزيز على اننا بفقدك في فرحٍ لو دريتْ
شُقيتَ بكاس المنايا كما به كم كريم سَقيتْ
ولا تلقَ عفواً ولا رحمة من الله جل وناراً صليت
هيهْ سنة الله فيمن مضى من الظالمين فهلا انتهيت
أخلتَ سياسة ملكٍ ولا كذا هي اكلك خبزا بزيت
عجلت وأمر العجول كما رأيت فأفنيت ما قد رأيت
كما قد تدين تدان فلا تفه لات حين تمنٍّ بليتْ
أقول لمن جاء ينعاه لي به لا بظبي الفلاة نعيت
فدورهمان بنى مسجدا لداعي الصلاة فماذا بنيت
ومورس باسواق بلدانه جميع التجار وأنت أبيت
فكلا من اثنين ان جزعا بمالٍ معاً وبنفسٍ فديت
سررنا ولكن تمام السرور إذا ما أذيع بأنك ميت

* * *

وبالرغم من أن القصيدة خالية من الخيال الشعري والمحسّنات البديعية وتعتبر نظماً عاديّاً إلاّ أنها تعبّر عن موقف الشعب العربي في صحرائه من الرئيس (موديبوكيتا) الذي اضطهد عرب الشمال من مالي.

أما الشاعر محمد علي بن الخليفه من آل النجيب فقد هاجر إلى المدينة المنوّرة هروباً من الظلم، وسجّل ذلك في قصيد يقول فيه:

فلما رأيت الشر ليس بزائل … وقد قطعت كل العرى والوصائل
وقد صرحوا بالكفر والشر والأذى … وقد طرح القرآن طرح المزابل
وقد أسندوا أمرا إلى غير أهله … هربت إلى الرب الكريم المواصل
هربت إليه ثقة وتواكلا … وأمسكت من الطافه بالوسائل
وخلّيت عن أرضي وأهلي وعترتي … وسالت دموعي مثل مزنٍ هواطل

* * *

أما الشاعر حماها بن محمود من مدينة تينبكتو الذي أقام بعاصمة مالي باماكو، لا أدري إن كان ذلك مفروضاً عليه أو برغبته. يقول في حنينه إلى تينبكتو:

لتينبكتُ شوقُ دائم وأنين … وتذراف دمع هاطل وحنين
أبيت وقلبي للهموم معسكر … وأصبح صبّاً والدموع هتون
ولو لم يشقني البين يوما لشاقني … حمامٌ تغنى في الغصون حزين
اذا ما عرضت الصبر للقلب شاقه … هموم له ما تنقضي وشجون
كأن فؤادي يوم أصبحت شاسعاً … هديل حمام باليدين رهين
تضيق علي الأرض حى كأنني … من العمي حيران جفناه معين
أرى كل ذي إلف يضاحك إلفه … وليس معي إلاّ الهموم خدين
ومما شجاني والخطوب كثيرة … وليس على الدهر الخؤون ضمين
تداعي حمامات على غصن بانة … فيهتاج داءٌ في الفؤاد دفين
تداعين فاستعبرت بالدمع والهوى … تباريج أطوار حوىً وجنون
كأني إذا جنّ الظلام وأسدلت … عليّ من الليل البهيم جفون
أخو شقّة قدمنّه السير واحتوت … عليه من الأرض الفضاء بطون
رَمَى طرفه في جانبيه فلا يرى … سوى مجهلٍ قفر وليس قرين

قصيدة حزينة تدلّ على شوق لافح وقلب مفعم بالأحزان والأشواق، وغربة موحشه يعانيها الشاعر وحب طافح إلى وطنه وملاعب صباه.

أما الشعر العربي الصحراوي الحديث. فهو يشهد نهضة طيبة، ومسايرة لروح العصر. إذ انتشرت الثقافة والعلوم وقرّبت الإذاعات المسافات ووسّعت مدارك الناس.

وأصبح الجيل العربي في الصحراء يتابع باهتمام ما يدور في وطنه الكبير. وبدأ يتنسّم نسائم الأدب الحديث في المشرق والشمال الأفريقي. فبرز من بين الشعراء الصحراويين عشرات من الشباب الجيدين الذين ألهبوا بشعرهم ضمير الشعب، وجسّدوا طموحاته وانفعالاته.

ولنأخذ من بين هؤلاء الشعراء المحدثين كنموذج لهم الشاعر أحمد عبد القادر من صحراء موريتانيا.

فها هو يقول في قصيد يرثى به شاباً موريتانياً يسمى (سميدع) قاد الطلاب في مظاهرات وطنية ولكنه توفي فجأة. فأقيمت له حفلة تأبين بين الطلاب قال فيها أحمد هذا القصيد:

يحز في القلب آلاما واحزانا   موت الصديق إذا ما كان انسانا
وكان حرا نقي العزم متخذا   على صبائه بالبذل برهانا
يجود بالنفس مرتاحا ومغتبطا   ويوسع الذات عند الجود سكرانا
براءة الطفل تحنو فوق بسمته   إن كان يألف اخوانا وخلانا
وصولة المارد الجبار عادته   إن ثار يفضح تذليلا وطغيانا
قل للطلائع إذ ترثى (سميدعها)   والرزء أثقل من أجبال تقّانا
لا تمنحوه رثاء لا يلائمه   دمعاً وشوقاً واشفاقاً واذعانا
قد كان يأمل والتصميم شيمته   ان تصبحوا لسماء المجد عقبانا
قلنا خذوا المشعل الخفاق من يده   ولتملأوا الدرب إقداماً وإيمانا

* * *

ويخاطب أحمد عبد القادر الأمة العربية في المشرق مطالباً إياها أن تمدّ يدها لإخوتهم عرب الصحراء الكبرى.

يقول:

يا بني المشرق الحبيب تعالوا   نشرب النخب في كؤوس الإخاء
نحن شعب قد فرقته الليالي   ومشى الدهر بيننا بالْتِوَاء
إن هذي البلاد جزء عتيد   من تراث الاجداد والآباء

شعبها العربي يرنو اليكم غير ناءٍ عن أرضكم وهو ناءِ

* * *

أما عن ثورة 23 يوليو وعن زعيمها جمال عبد الناصر، يقول أحمد:

سلام من الروح يسري الفؤاد به في ذرا موجة من حنين
إلى الرائد الشهم ذي المعجزات معز العروبة والمؤمنين
كتبتُ وحبري نجيع العروق ونفسي تجيش بما استبين
أيا ثورة قادها ناصر سلام عليك وما تنتحين
سلام عليك ومن تصبحين وما تصنعين وما تسلكين
فهمنا الكرامة يوم انطلقت معنى الحياة كما تفهمين
واضحت لنا صورة كالضحى وكانت كاحلام طيف دفين

* * *

كما تأثّر الشعراء العرب في صحرائهم بكل الثورات في العالم وخلدوها في أشعارهم. فهم يحبّون البطولات ويتوقون للتحرر ويعجبون بالرجال الأفذاذ الذين يغامرون لتحرير بلدانهم ويضحّون من أجلها.

ونظراً لعدم وجود الدواوين المطبوعة لهذه الأعمال لم نستطع العثور على أشعارهم التي سجّلوها كمخطوطات في صناديق العائلات في الخيام. وقد قضى الاستعمار الفرنسي على الكثير من هذه المخطوطات والدواوين. ونقلها معه إلى المكتبة الوطنية بباريس أو إلى المكتبة الوطنية بدكار التي كانت عاصمة غرب أفريقيا.

وقد سجّل الشعر الصحراوي جميع الظواهر الاجتماعية في الصحراء. كوصول الشاي للمنطقة فبعضهم يحرمه وبعضهم يحلّله. ووصول الدخان (التبغ) إلى المنطقة وغيرها من مستحدثات العصر.

حتى ركوب السيارة والقطار والطائرة للشعراء العرب الصحراويين قصائد مطولة فيها.

ب ـــ النثر

النثر في الصحراء الكبرى لم يبلغ المكانة التي يجب أن يبلغها. فهو لا يزال يعتمد على أسلوب السجع الركيك والمبالغة في المدح لدرجة مقزّزة. والتحقير بالكاتب الذي يحقر نفسه

معتقداً أن ذلك من أسلوب التواضع. كأن يقول (العبد الفقير) أو (العبد الضعيف المحتاج لرحمة مولاه)، إلى غير ذلك من النعوت والأوصاف.

وقد ترك لنا عرب الصحراء الكبرى مجموعات كبيرة من المخطوطات في مجالات الفقه والنحو وعلم المواريث والتشريع الإسلامي والحديث والتفسير.

كما تركوا لنا دواوين شعرية وقلّة من كتب التاريخ. غير أن هذه المخطوطات متداخلة وكثيرة الاستطراد. فأنت تدرس سيرة شخص حتى تجد نفسك يحدّثك الكاتب عن ابن خلدون، أو عن ابن الأثير، أو عن عقبة بن نافع، أو عن امرىء القيس، أو عن قصة خيالية سمعها من أحد الشيوخ في المخيم، أو عن كرامة من كرامات الأولياء والصالحين في المنطقة، أو عن منافع شجرة صحراوية أو عشبة برية، ثم يعود للموضوع الذي كان يتحدّث عنه وهكذا.

ولنضرب مثلاً بمخطوط (الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسّانية) لمؤلفها محمد صالح بن الوهاب. يلاحظ القارىء السجع في عنوان المخطوط والذي لا لزوم له.

يقول المؤلف في بداية المخطوط بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

«.. أما بعد. فيقول محمد صالح بن الوهاب سامحه الله تعالى وعافاه مع جميع المسلمين آمين.

هذه نبذة مما أعلمه من أنساب أولاد حسان جمعتها للسيد المشهور بالإحسان، محمد المختار بن سيد عبدالله بن الحاج ابراهيم حفظنا الله تعالى وإياه برعايته ولحظنا وجميع المسلمين بعنايته آمين..».

وفي كتاب (سراج الاخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان) للشيخ عثمان دان فودى، يلاحظ القارىء السجع في العنوان، ويلاحظ في مقدمة الكتاب تواضع الكاتب وإذلاله لنفسه وهي سمة ذلك العصر. يقول بعد البسملة والصلاة على النبي:

«.. قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه عثمان بن محمد بن عثمان المعروف بابن فودي تغمّده الله برحمته آمين..»

وفي فصل من فصول هذا الكتاب يقول:

«.. في بيان الفرق بين علماء المسلمين أهل الذكر أنصار الرحمن وبين علماء السوء أهل الغفلة أنصار الشيطان..».

أما بالنسبة للرسائل فهي مطوّلة محشوّة بكثير من عبارات التبجيل والتودد التي تجعل الرسالة مملة لا يبلغ الإنسان المراد منها حتى يضطر لقراءة عدة سطور لا تزيد ولا تنقص منها.

ويتبادل العرب الصحراويون الفتاوى في مراسلاتهم هذه. ورأي العلماء والفقهاء في مسألة من المشاكل وتستمر المراسلات والمخاطبات إلى أن يقتنع أحد العلماء برأي صاحبه. وكل منهم يوشّح رسالته بالآيات القرآنية التي تؤيد رأيه، وبالأحاديث النبوية، وبسيرة السلف الصالح.

وقد لا يقتنع أي عالم من الاثنين برأي صاحبه فينقسم الناس بينهما وكل منهم يؤيّده فريق من الفرق، وهكذا تنشأ أحياناً المذاهب والطرق.

وننقل هنا رسالة من الشيخ مختار الكنتي، أو كما يسمونه الشيخ الكبير إلى كاوي ابن كردنا أحد أتباع الطريقة القادرية. يقول الشيخ مختار:

«.. الحمد لله الذي لا راد لقضائه ولا غنى عن فضله وعطائه والصلاة والسلام على من أكرمه الله بحقائق آلائه وعلى آله وصحبه وعترته وأزواجه وابنائه.

هذا وإنه من عبد ربه المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي إلى عيبة نصحه وكرشه ومحل محبته وأنسه سلالة الأخيار والأبرار، معدن الجود والفخار، ومحط رحال القاصدين من جميع الديار والأمصار. من أينعت شماريخ مجدهم فعَلَت. وشمخت معالم قدرهم فجلت. جماعة الأبناء والأحبّة والنصحاء. ومن انضاف إليهم مِنْ مَنْ ولاه الله حل الأمور وعقدها من أبناء كردان أدام الله عزّهم ورفع مجدهم. أخص من الجميع القاضي الهمام الناصح لجميع الأنام الصالح بن محمد البشير والأمير كاوي ألف سلام عليكما ورحمة الله وبركاته..».

هذه كلها مقدّمة ليصل الشيخ إلى موضوع الرسالة فيقول:

«.. أما بعد فموجبه إليكم أنّي بليتُ في هذه الأيام برعاع لئام. لا يفقهون خطاباً، ولا يردون جواباً، أعماهم الجهل والحسد وأضلّهم الهوى واللدد. لا يفون بوعد. ولا يثبتون على عقد، قد تحزّبوا تحزب الخوارج على السلف. وتألّبوا تألّب النصارى على الخلف. فأطفأ الله جمرتهم بالرعب. وصولتهم بالغلب والسلب. فحميتُ السالم، وتجافيتُ عن الظالم، وما فعلت ذلك غضباً لنفسي ولا عداوة لهم، بل سبب ذلك أنهم أغاروا على

قافلة من فقهاء المغرب من غير سبب وتجرّدوا لكل نهب وسلب..».

* * *

هذا نموذج من مراسلات الصحراويين في القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

أما الآن فقد بدأ الأسلوب العصري يدخل لمكاتباتهم وتخلّوا تدريجياً عن السجع الثقيل. والمترادفات التي لا لزوم لها والحشو الذي ينقص روعة الأسلوب، ويؤثر على موضوع الرسالة.

جـ ــ القصص والحكايات والنوادر

لم نجد في الصحراء قصصاً شعبية مكتوبة، أو حكايات مدوّنة أو نوادر مخطوطة. وإنما قصصهم تتواتر شفاها وحكاياتهم تُروى في ليالي السمر. ونوادرهم تُقال في مجالس الحديث.

وأغلب قصص الصحراء عن الغارات القبلية وضياع القوافل، وثارات الفرسان، وحكايات الجن والغول، وأخبار العشق ومكائد المرأة، وحكايات عن الصيد واقتناص الوحش.

وهناك في الصحراء لون من القصص يُروى على ألسنة الحيوانات. وأهم هذه القصص تلك التي تُروى على لسان الدب البري والذي يسمّونه (شرتات) أو (قابون) و(قرفاف) ويلقّبونه بـ (عبد الرحمن) ويصفونه بالبلاهة والشراهة والغفلة والطمع. كما يلقّبون الذئب بـ (محمد) ويصفونه في حكاياتهم بالذكاء والفطنه والحيل. وكثيراً ما يقع الدب في مكائده.

ومن قصصهم عن الدب البري (شرتات):

قالوا إن الاسد وُلد له ولد فأقام وليمة كبيرة دعا إليها جميع الحيوانات في حفلة طرب ورقص.

وقام الظليم (ذكر النعام) يرقص فأحسن الرقص وأعجب به الجميع. وبدأوا يتساءلون لمن هذا الراقص الجميل. فتحرّك الدب في موضعه وتنحنح وقال:

- إنه ابن اختي. وأنا الذي علّمته الرقص وربّيته.

وأثناء الرقص والظليم منسجم وطأ برجله ولد الأسد فقتله. فأمر الاسد بالقبض عليه. ولكن الظليم هرب. ولم يستطع أي من الحيوانات اللحاق به. فصاح الأسد:

- اقبضوا على خاله.

فصاح الدب. (شرتات).

● آش جاب طير البخنوس.

أي ما علاقة طائر بحيوان يمشي على أربع.

وذهبت مثلاً.

وهناك الكثير من الحكايا والقصص.

والقصص في الصحراء تغمرها المبالغة، فأنت تسمع أن فرس فلان بسرعتها لا تلحق بها الرصاصة.

وهذه مبالغة فلا يمكن أن يكون هناك جواد أسرع من الصوت.

ويقولون إن فلاناً يستطيع أن يصرع كذا شخص في وقت واحد.

أو أن فلاناً رصاصته لا تسقط على الأرض فحتى لو أنه أطلقها في الهواء فلا بد وأن تصيب طائر. أو أنه أطلقها نحو الأرض فلا بد وأن تصيب صيداً، وهكذا.

وهذه القصص الصحراوية لم تجد من يتطوّع لجمعها باستثناء بعض الأساطير التي قام بعض الفرنسيين بجمعها ونشرها في كتيبات وخاصة أساطير (الجن) والغول والعفاريت.

أما القصص الأدبية فلم تظهر في الصحراء إلاّ أخيراً حيث بدأ بعض الأدباء المعاصرين في نشر انتاجهم القصصي النابع من عادات وتقاليد الصحراء. ونذكر منهم الأستاذ إبراهيم الكوني، وهو من عرب توارق ليبيا. والأستاذ أحمد عبد القادر من عرب صحراء موريتانيا. والأستاذ محمد المرزوقي من عرب صحراء تونس.

وقد جمع كل منهم عادات وتقاليد المناطق الصحراوية التي يعيش فيها وينتمي إليها.

د ـ الشعر الشعبي

الشعر الشعبي، أو الشعر الملحون، هو الشعر باللهجة الدارجة. برع الصحراويون في نظمه وإلقائه والتغني به في أفراحهم وفترات لهوهم. وحتى في مجالسهم وفي مراسلاتهم.

ويسمي الصحراويون الشعر الشعبي (الشعر الحسّاني) نسبة لأولاد حسّان ويسمونه (الغناء).

وللشعر الشعبي الصحراوي بحور وأوزان وقوافٍ تقع ضمن بحور الشعر الفصيح وتحمل نفس الأغراض التي يحملها الشعر الفصيح. كالمدح والهجاء والفخر والنسيب والغزل والوصف والحنين والمراثي وغيرها.

كما يحمل المساجلات الشعرية والرد عليها وقصص البطولات الشعبية وتخليدها. وحتى الألغاز والإيهام والإيماء. ويقسم الصحراويون الشعر الحسّاني إلى ثمانية بحور[1].

1 - **لـحويويص:** يتألف من أربعة حروف متحركة ولا عبرة بالساكنة فيه ولا في غيره وهذا في شطر البيت.

2 - **لبتيث الناقص:** وشطره يتألف من خمسة حروف متحرّكة.

3 - **بتيث التام:** ويتألف شطره من ستة حروف متحركة أو من ثمانية.

4 - **بو عمران:** ويتألف شطره من سبعة حروف متحرّكة مع مد أول كل شطر وآخره ويصف أهل الفن شطر هذا البحر للدلالة على هذا المد بأن (تيفلويت) أي الشطر منه (امكرسعه) أي متحفزة.

5 - **الصغيّر:** ويتألف شطره الأول من سبعة حروف متحرّكة والثاني من خمسة.

6 - **أمريميدا:** ويتألف شطره من سبعة أحرف متحرّكة عادية الوضع.

7 - **لبيّر:** (تصغير بئر) ويتألّف شطره من سبعة حروف ساكنة عادية الوضع. يصف أهل الفن شطريه بأن أحدهما (الأول أو الثاني على حد سواء) متحفز الأخير، والآخر مرتخيه. فيقولون (تيفلويت منه امكرسعه) والأخرى (مسرومه).

8 - **التيدوم:** يتألّف شطره هو الآخر من سبعة أحرف متحركة.

وينقسم الشعر الحسّاني من حيث الشكل إلى أربعة أشكال هي:

1 - **القاف:** وينطق القاف جيماً مصرية.

ويتألف القاف من أربعة أشطار على الأقل. وعلى الأكثر من ثمانية أشطار. تلتزم الأشطار الأول والثالث قافية. والثاني والرابع قافية. مثل من بحر الحويويص:

ذاك الـمـديـور. والـيـمَـنّـى ماهُ مـجـبـور. أخْـلَ عـنّـا.

والمعنى: ذلك المطلوب والذي يتمنى مستحيل الحصول عليه يا للأسف.

---

(1) عبد الوهاب الشيقر: الشعر الحسّاني بموريتانيا، مخطوط، مكتبة المؤلف.

2 ـ **الطلعة**: وتتألّف من ثلاثة أشطار موحّدة القافية يليها رابع له قافية أخرى ثم بيت أو أبيات لأشطارها الأوائل قافية الأشطار الثلاثة الأولى، وللأواخر قافية الشطر الرابع. وتسمى هذه الأبيات (مقاعد الطلعه). وقد تتغير قافية الأشطار الأولى مع الطول أما الأخيرة فلا. ومثالها من بحر (الصغيّر):

مــن انــدرا امــنــين تــمــشــى	ابــجــاوى مــانــى ابْـدبــشــي
مــسـتَـدْبِ ذا كــيـفْـتْ وحـشـى	تــوّا ذانَ الـــطـــيـــرْ
الّـــلـقْــصِــيــرْ انــروّحْ غَــرْشِــي	واشــايَــفْ لــخــطــيــر

والمعنى: إن امشي من مدينة (أندر) وهي مدينة سان لويس السنغالية راكباً جملاً بدون حمل خارجاً للسفر عشية وشوقي على ما هو عليه وقت صياح الديك أصل إلى (القصير) رواحاً بدون شك وإلى حجرة الخطير.

3 ـ **الكرزه**: وهي كل ما زاد على ثمانية أشطار مثنى مثنى مع وحدة قافية الأشطار المفرده. ووحدة قافية الأشطار المثناة. ويكون هذا النوع في القصائد الطويلة.

4 ـ **التهيدينه**: وهي مثل الكرزة تماماً، إلاّ أنها لا تكون إلاّ في بحر (بو عمران) وموافقة للنغمات الموسيقية المسماة (فاغو) وفي موضوع الحماسة وذكر الوقائع الحربيه.

ويسمّي الصحراويون في غرب الصحراء الكبرى شطر القاف أو الكرزة أو التهيدينه أو الأبيات الملحقة أحياناً بالطلعة والمسمّاة مقاعد الطلعة (تيفلويت). وهي كلمة صنهاجيه تطلق على مصراع البيت ذي المصراعين وعلى دفته إن كان ذا مصراعٍ واحدٍ.

أما أشطار الطلعة الثلاثة الأوائل فيسمّونها (حمرا) واحدها (أحمر) وأما الرابع فيسمونه (عقربا لها)[1].

ويستخدم الشعر الحسّاني للألغاز، والإيماء والمراسلات التي تكون معروفة لاثنين من الناس ولا يعرفها غيرهم. ومن ذلك أن الأمير (سيدي أحمد ولد عيده) أمير الأدرار، أرسل إليه الفرنسيون يطلبون قدومه إلى مدينة (أندر) (سان لويس) وذلك لسجنه.

وكان المترجم للفرنسيين صديقه المقداد، ذلك الرجل الذي أنقذه سيدي أحمد من الأسر.

---

(1) عبد الوهاب الشيقر: الشعر الحسّاني بموريتانيا، مخطوط، مكتبة المؤلف.

فأرسل الفرنسيون الرسالة. وكتب المقداد على ظهرها الأبيات التالية:

قولوا لسيدي أحمد كان أبعاد ... في البُعْد إيتم إلاّ ينزاد
وقولولوا يحذر من تفقاد ... هذا الكفر اللى عاد اجديد
وقولولوا عن لغراب زاد ... إذا ارتفعت لم تعيدْ

والمعنى: قولوا لسيدي أحمد أن يبتعد ويزيد في البعد. ويحذر من الاقتراب من (الكفر) (الفرنسيين) الجديد في المنطقة. وقولوا له أن الغراب إذا طار من موقع لا يعود إليه.

وفهم سيدي أحمد إشارة صاحبه وارتحل شمالاً حيث لحق به العدو واشتبك معه في معركة معروفة استشهد فيها رحمه الله في 19 مارس/ آذار 1932 م.

وقد فسّر سيدي أحمد وضعه قبل هجرته للشمال في أبيات (حسّانية) قال فيها:

ينّا لله الخير بعد ... مذْ فخلاقى باقى
منشا مولاه زاد حد ... يلق فيه على اخلاقى

* * *

ذا اللى فخلاقى ما يبان ... من شي كان وبيه كان
السانى ما يسمّيه كان ... غير اضياق اخناقى
عن كتمانى له بلسان ... وعن تدراقُ في اخلاقى

* * *

والمعنى: أن بقلبي أشياء مكتومة لا أستطيع أن أبيحها بلساني ولكن صبري نفد.

* * *

ولهم قصائد مطوّلة في الغزل، ومدح الرسول ﷺ، وذم الدهر. ولهم رباعيات مثل (الدوبيت) في الشرق يقولون فيها:

خالق حدّ اقبيل جانا ... من عنْد اقمُّون
قال انو مسحوب وأنا ... بيّ مِنت اقَون

* * *

أي إن شخصاً جاءنا منذ قليل من بلدة (اقمون) وقال إن المطر أصابها. ولكن ما علاقتي بالمطر فإن الذي يهمني (بنت امون) خليلتي.

ويقولون:

سلتك بالله يا قويده | إن كان عقلك ما تحوّل
ما ريت لي بلد غيده | كانت عندك عام نوّل

* * *

والمعنى: سألتك بالله (يا قويده) وهو بكر صغير إذا كان عقلك ما زال يذكر الماضي أما رأيت لي فتاة غيداء كانت تردك العام الماضي اين هي الآن؟

* * *

ومن شعرهم في الغزل:

نبغيني كان بغيتيني | ونكرهني كان كرهتيني
وعلى اقفا ايدك لادرتينى | نزرقنى شور اقفا ايديه

* * *

كان بغيتني يا العراد | يغلينى ذاك عليّه
وكانا ما بغيتيني زاد | حتى انا ما عينى فيه

والمعنى: أحب نفسي إذا ما احبتني حبيبتي وتكره نفسي إذا كرهتني.

إذا أحببتني أيتها الغزال فإن ذلك يغليني على نفسي.

وإذا لم تحبني. فإنني أكره نفسي.

* * *

هـ ـ الامثال الشعبية

الأمثال الشعبية في الصحراء، هي امتداد للأمثال الشعبية العربية الفصحى. وهي أيضاً نتاج تجارب الصحراويين في صحرائهم وتحوير للأمثال الفصحى في بعض الأحيان.

ولنذكر هنا بعض الأمثال الشعبية كنموذج للأمثال الشعبية في الصحراء[1]:

---

(1) راجع: الأمثال الشعبية في الصحراء، للمؤلف.

● عبد ما هو عبدك حر كيفك.

أي إن العبد الذي لا يكون مملوكاً لك، فهو حر مثلك بالنسبة إليك.

* * *

● ائِسَهركْ همُّه اللى يْسَهْره اعنادك.

والمعنى: يجعلك تسهر الليل هموم إنسان يهمّه أن يسهر للتفكير في معاندتك.

* * *

● اللي قال لك شي يقول فيك.

أي إن النمّام الذي يوصل لك الأخبار، سيقول عنك كما يقول لك.

* * *

● الباتت عليه الظفيره تصبح عليه اللحيه.

والمعنى: الذي تقوله المرأة في الليل ينفذه الرجل في النهار.

* * *

● إيشوف الشيباني المتكى الما شاف الشاب الواقف.

والمعنى: يرى الشيخ المتكىء في خيمته ما لا يراه الشاب الواقف. والمعنى أن الشيخ يرى بتجربته وبُعد نظره.

* * *

● اللى ما هو ماشي معاك ما يعقد لك عقده.

والمعنى: الذي لا يسافر معك لا تجعله يعقد لك متاعك على رحلك. لأنه لا يحسن ذلك. ولا يهمّه إذا سقط متاعك.

* * *

● أفوك يعرف اللي في أخلاق امّه.

والمعنى: العجل الصغير يعرف ما تريده أمه.

* * *

● لحوار ما يروم الغروز.

والمعنى: الحوار لا يتبع أمه إلا إذا كان فيها اللبن.

* * *

● اللي ما عسّ على راسو ما يجبر حدْ يعسّ عليه.

والمعنى: الذي لا يحرس نفسه لا يجد أحداً تهمه ويحرسها.

* * *

● منه خوك. خو خوك.

والمعنى: ان أخ اخاك يكون أخاك حتماً.

* * *

● قول كلمتك وأعرف قدْ اجماعتك.

أي إذا تحدّثت بين الناس أعرف عدد أفراد قبيلتك وأهلك الذين ينفرون إليك إذا خاصمت.

* * *

● ما تموت عنقره ما تشيخت أخرى.

والعنقره: الرقبه.

والمعنى: لا يموت أحد إلاّ ويخلقه غيره.

* * *

● ما يحك اللّجرب فمُّه.

والمعنى: البعير الأجرب لا يحك له غير فمه وهو تحريف للمثل العربي:

(ما حك جلدك غير ظفرك)

* * *

وهناك مجموعات كبيرة من الأمثال الشعبية بعضها مضرب المثل لأشخاص في الشجاعة، أو الكرم، أو الجبن، أو البخل، أو الذكاء، أو الحمق، أو الغناء، أو الطرب وغيرهم.

الموسيقى

الصحراويون قوم طرب وغناء، يعقدون للطرب مجالس وندوات وسمراً. ينحرون لها النحائر ويولمون لها. تسمع فيها قصائد المديح والفخر وذكر الغزوات وبطولات الشجعان وينتقصون الأعداء ويهجونهم.

والمطربون الشعبيّون (ايقيّو) لهم مكانة مرموقة لدى الشعب، ولدى المشايخ والأمراء. فهم مجموعة مدلّلة في الصحراء، لا يقدمون على أحد من الصحراويين ويردهم بدون رفد، تُهدى إليهم البنادق والجمال والملابس والخيام، وحتى الأماء والخدم.

والمطربون يعرفون ذلك. فلا يطلبون شيئاً، ويردون دون رغبتهم. ولقد شاهدت الكثيرين منهم. المطربون لسان حال القبيلة ووسائل إعلامها لدى القبائل الأخرى ولهذا هم مبجّلون ومقدرون. إذا جاء المطرب للمخيم تعلن الطوارىء بحيث لا يرى المطرب إلا كل حسن، ولا يظهر له الناس إلا كل جميل من القيافة والضيافة وأدب الأسرة وحشمتها، وزينة البنات وأدبهن، وحسن تقديمهن للطعام والشاي، إلى غير ذلك. ويستمرّ ذلك الوضع إلى أن يرحل المطرب عن المخيم، فيرفد بخير ما يرفد به الناس ويُعطى له ما طلب وما لم يطلب، ويساير إلى خارج الخيام بعد الإلحاح على طلب بقائه مدة أكثر في الضيافة.

الآلات الموسيقية في الصحراء

الآلات الموسيقية في الصحراء هي نفسها الآلات الموسيقية في جزيرة العرب. ولو أنها اتخذت أسماء غير تلك الأسماء التي تُعرف بها في الجزيرة في بعضها.

وأهم الآلات الموسيقية في الصحراء:

1 - **الطبل**: وهو مجد القبيلة، ورمز قوتها. وخيمة شيخ القبيلة هي خيمة الطبل. والطبل يمثل راية الحرب والقبيلة التي يؤخذ طبلها في الحرب تحسب مهزومة، ويلحقها العار والإهانة.

وللطبل طرقات معينة لكل مناسبة. للحرب، وللسلم، وللاجتماع، ولضياع قافلة، ولوصول قافلة وأيضاً في الطرب.

وللطبل شخص خاص بقرعه. ولا يقرعه سواه ويكون تحت نظارة الشيخ وقريباً منه.

أما في الطرب فتقرعه زوجة المطرب (تقيّوت) على أنغام الموسيقى والغناء.

ويصنع الطبل من جلد البعير، يربط على قصعة من العود، ويشد بحبل وتكون بأعلاه ثقوب لخروج الهواء عند القرع حتى لا ينفجر.

2 - **تيندِّي**: وهي آلة تسمى في الشمال الأفريقي (دربوكة) وهي عبارة عن هاون يربط على فمه جلد شاة ويضرب عليه. ويكون مفتوحاً من الجهتين. ويستخدم في الأفراح. ويسميه عرب التوارق (تيندِّي). أما بعض عرب الصحراء فيسمونه (داغمّة).

3 - **الدف**: وهو الدف المعروف. ويصنع من إطار من الخشب يربط عليه جلد شاة، ويشدّ خيط كالوتر في قطر الإطار، وتضرب عليه في الصحراء النساء للأفراح، ويستخدمه أصحاب الطرق الصوفية للطرق أثناء الأذكار والمديح.

هذه هي أهم الآلات الجلدية، أما الآلات الوترية فأهمها:

1 - **التّيدنيت**: وتصنع من قدح مستطيل يُغطى وجهه بجلد بقر أو جلد شاة، وتشدّ في جانبه عصا طويلة يتجاوز طولها المتر أحياناً ويربط عليها أربعة أوتار من شعر ذيل الحصان أو من النايلون (حاليّاً). وقد تحمل خمسة أوتار. ويسمى الوتران الطويلان (الأمهار)، أما الوتران القصيران فيسميا (التيشبْطنْ) ويعزف عليها الرجال.

2 - **آردين**: وتصنع من قدح الكوز ويُغطى فوه بجلد الغنم وتشدّ عليه عصا طويلة قرابة المتر وتشبه آلة (التيدنيت). وهذا الآلة لها أوتار واسمها مشتق من (آلة الدين) إذ أن المرابطين كسروا آلات الطرب والموسيقى وحرّموا الغناء لأنه من مظاهر الفساد الاجتماعي. فتحايل

المطربون بهذه الآلة على أساس أنها تساعد على ذكر الله ومدح رسوله. وتعزف النساء على الآردين.

3 ـ **الرباب:** وهي الآلة المعروفة عربيّاً (الربابة).

4 ـ **أمزاد:** وهو أشبه بالربابة. ويسمى (أمزاد) ويستخدمه عرب التوارق في أفراحهم وطربهم وتعزف عليه النساء ويخرج صوتاً من احتكاك قضيبين من شعر الخيل مع تبديل الأصابع.

ويخرج من الأمزاد صوت شجي يُسمع في هدأة الليل. ترى القوم حوله منكسي الرؤوس مطرقين كأن على رؤوسهم الطير استحساناً له واستمتاعاً به يُرافقه صوت العازفة فتخاله هي أو تخالها هو في مزيج صوتي عجيب.

5 ـ **الزقعاري:** قوس كبير يشد رأسيه وتر غليط يصحبه إناء كبير يخرج منه أصوات إيقاعية ووترية أشبه بأصوات (الكونترباص) وهذه الآلة يعزف الحراطين عليها.

* * *

هذا إلى جانب آلات النفخ مثل:

1 ـ **الناي:** وهو القصبة المعروفة في أغلب البلاد العربية ويسميه الصحراويون (النيفّارة).

وتعتبر صحراء جنوب الجزائر من أهم المواقع لاستخدام الناي. ويعزف عليه رعاة الإبل.

وإن الإنسان لا ينسى سماع ذلك الصوت الشجي الحزين ينطلق من فم وأصابع راعٍ يجلس على ربوة عالية في أماسي الربيع أو ليالي الصيف المقمرة، بعيداً عن الخيام يبث شجونه وحده للسكون تصغي إليه الإبل، ويتّخذ من كثيب رمل فراشاً ووسادة له.

2 ـ **الزوزاية:** وهي التي تُسمّى عند العرب الشماليين (المقرونة) وعند عرب الشام (المجوز).

تصنع من القصب، وتُثقب أربعة ثقوب، وفي أعلاها تصنع لها مزامير أصغر منها وتحشى فيها، وينفخ الزمّار بفمه فيها ويبدّل النغم بأصابعه.

3 ـ **الغيطة:** وهي مزمار من القصب برأسه قمع. وينفخ فيه العازف، فيخرج صوت حاد، يعزف في الأفراح في غدامس وغات وجانت وجنوب تونس والجنوب الجزائري.

* * *

هذه هي أغلب الآلات المعروفة في الصحراء الكبرى وأن الذين يعزفون على هذه الآلات هم المطربون وحدهم أو الحراطين، أو رعاة الإبل.

* * *

الأصول العربية للموسيقى الصحراوية

لا يختلف اثنان من أن أصول الموسيقى الصحراوية عربية المنشأ والأصول.

فالمقامات في الموسيقى الصحراوية ما زالت بأسمائها العربية الأولى، مع بعض التغيير الطفيف. وذلك لاختلاط الموسيقى العربية في المنطقة بالموسيقى الأندلسية، بالموسيقى العربية الصنهاجية حيث يوجد التأثير الأفريقي.

فالمقامات «كار» و«الفايز» و«أسروزي» بمعنى «السروجي» وغيرها هي مقامات عربية.

وكذلك (الهز) بمعنى (الهزج) ومقام (اعظال) ومقام (لبتيت) من البت وهو القطع أو النهاية.

ومن مقامات الموسيقى الصحراوية (لبياظ) من البياض و(الزراق) من الزرقة أو السواد.

وتتميّز الموسيقى الصحراوية بوجود السلم الخماسي في معظم مقاماتها من آثار الموسيقى الصنهاجية.

الأثر الأفريقي في الموسيقى الصحراوية

ذكرت سابقاً أن المرابطين حطّموا الآلات الموسيقية ومنعوا الغناء والطرب. واعتبروه مفسدة ومدعاة للتفسخ وأنه لا يجوز للمسلم أن يلهي ويطرب ويترك العبادة والعمل.

وبعد سنين من الحكم المرابطي بدأ الفنانون يصنعون آلات تساعدهم كما يقولون على الذكر. ومدح الرسول متحايلين تحت هذا الشعار مختفين عن أعين السلطة المرابطية. واخترعوا لذلك آلة أسموها (آلة الدين) وسمّوا الغناء (الهول) أي الذكر الذي يذكرهم بهول الآخرة وعذاب الجحيم والعقاب.

وحتى هذه الساعة يبدأ المطربون الصحراويون غناءهم بقولهم (لا إله إلا الله) في بداية الغناء.

وأذكر نكتة تروي في موريتانيا أن فرقة موسيقية غنائية لها اشتركت في احتفالات الاستقلال الجزائري ولما تقدّمت للغناء ابتدأ المطرب الموريتاني في غنائه بقوله (لا إله إلا الله) مغنّياً بها. فقال أحد الجزائريين (نحن في فرح والا في جنازة)؟

وعندما قامت إمارة أولاد امبارك وهي أسرة من الساقية الحمراء جاءت لمنطقة الحوض الشرقي لموريتانيا وأسست إمارة هناك ازدهرت فيها الفروسية. واهتموا بالغناء وشجّعوه وكونوا مجموعات من المطربين.

ولما كان جيش الإمارة يتكوّن من فرق من العرب البيض وفرق من الأفارقة السود.

وبما أن المطربين يتغنّون للمجموعتين اخترعوا طريقتين للغناء (الطريق البيضاء) و(الطريق الكحلا).

وخصصوا للمقامات العربية (الطريق البيضاء). وخصصوا للمقامات الأفريقية (الطريق الكحلا).

واقتبسوا مجموعة من المقامات الأفريقية يعزفونها أثناء الغناء للفرق الزنجية ومن أمثلة هذه المقامات:

1 - **(مقام انتماس):** وهو يعني فطور الملك.

2 - **(مقام تَنْ جوق):** ويعني مقام الفخر والحماس.

3 - **(مقام ماغ جوق):** أي مقام (ماغ)، وماغ هذا هو فنان أفريقي ينسب إليه هذا المقام.

* * *

السهرة الصحراوية

للسهرة العربية الصحراوية آدابها وطرقها وتنظيمها حيث يُدعى الفنانون (ايقيو) حيث يحضرون ومعهم الفنانات (تقيوت) لإحياء سهرة في بيت فلان لمناسبة زفاف أو ختان، أو قدوم ضيف كبير. أو سهرة لسماع الفن لا غير.

ويقوم صاحب الدار أو الخيمة بتسوية المكان وإعداده، وبسط الفرش ووسائد الجلد، وذبح الذبائح وإعداد الوليمة التي تكون من اللحم المشوي وحليب النوق في أغلب الأحيان.

ويقوم الخدم بخدمة الضيوف الذين يتصدّرون المجلس، ويجلس المطربون والمطربات قبالة الضيوف، ويبدأون بعزفهم وأغانيهم. تبدأ الحفلة بالعزف (مقام كار) وهو المخصّص لذكر الله والرسول صلى الله عليه وسلم ثم ينتقلون إلى العزف على المقامات الأخرى، وينتقلون بغنائهم من موضوع إلى آخر من ذكر الله إلى النسيب، إلى الفخر والحماسة. ويقوم المعلمون

(الحدادون) بالرقص، وتقديم فصول تمثيلية مضحكة، وتقليد الحيوانات والطيور وحتى الحاضرين، وقد يرقص بعض الفنانين والفنانات.

والمشين على أي رجل عربي خارج هاتين الفئتين (الحدادون) و(المطربون) أن يرقص أو يغني.

وفي آخر السهرة يعزف الفنانون في (مقام لبتيت) ومعناه البت أو القطع. وعندما يسمع المتفرجون العزف في هذا المقام يهمون بالانصراف لأنه نهاية السهرة. ويغني المطربون قولهم:

إني استترت بامداح النبي ولم   بخش الفضيحة ذو عيب به استترا
إني على النفس والشيطان منتصر   بالمصطفى عز من بالمصطفى انتصرا

فيسمعها المتفرجون فينصرفون إلى خيامهم وتنتهي السهرة[1].

وقد شاهدت المتفرجين يقذفون النقود على طبل المطربين ينفحونهم بها.

أما الداعي للسهرة فإنه يقدّم للمطربين مبلغاً من المال مناسباً لهم نظير أتعابهم.

---

(1) سيمالي ولد همدفال: بحث عن الموسيقى الموريتانية، مخطوط في مكتبة المؤلف.

الفصل السابع

وصول الإستعمار الأوروبي للصحراء وجهاد عرب الصحراء



بدأت أقطار أوروبا تتوق للتوسع ولاحتلال العالم القديم ونهب ثرواته منذ سقوط الأندلس. وتنظيم الحملات الصليبية على الوطن العربي.

ونظراً للجهل الأوروبي بعالم ذلك الزمن بدأ الأوروبيون التمهيد لاحتلالهم بإرسال بعثات استكشافية مهمتها التجسّس لمعرفة الطرق والآبار وأهم القبائل ومشايخها ومحاولة كسب الأصدقاء والتودّد إلى الناس وتضليلهم، بحجة أن الأوروبيين قادمون لحماية الدين واستتباب الأمن ومساعدة الناس على العيش في سلام ووئام، ولتعمير الأراضي وزراعتها وصيانة المدن والقرى.

وأسمى الأوروبيون زحفهم هذا (استعمار) أي أنهم قادمون لتعمير المناطق وهم في الواقع قادمون (لتخريبها).

وقد بدأت البرتغال بالوصول إلى السواحل الأفريقية الشرقية. ثم تبعتها اسبانيا التي استولت على جزر الخالدات العربية بعد سقوط الأندلس مباشرة. وبدأت تمد أخطبوطها إلى السواحل العربية الشمالية والشمالية الغربية.

ووصل للمنطقة بعد البرتغال واسبانيا بلجيكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وأخيراً إيطاليا.

وقد مهّدت هذه الدول لاستعمارها بإرسال عدد من الرحالة (الجواسيس) استطاع بعضهم أن يتغلغل في أفريقيا وأن يرسم لها الخرائط، ويضع عليها أهم المدن وأهم الطرق. وأن يحدد مسار الأنهار ومدى صلاحها للملاحة.

ومن الجزر القريبة من السواحل قفز الاستعمار الأوروبي إلى قلب القارة حيث بدأ في احتلالها بعد أن حمل آلاف المواطنين كعبيد يباعون في أسواق أوروبا وأميركا.

واستغل الأوروبيون طيبة وتأخر الشعب الأفريقي بعربه وزنوجه وقلة تسليمه، وعدم وجود أراض فردية (ملكية فردية) في أفريقيا بحيث يدافع الإنسان عن أرضه وممتلكاته. وإنما الأراضي في أغلب القارة الأفريقية وفي الصحراء موضوع بحثنا هذا أراضٍ جماعية لمجموعات من البدو يتنقلون فيها وراء الكلأ وإذا ما أجدبت يتركونها لينتقلوا إلى غيرها، وهكذا.

وحتى لا يصطدم الأوروبيون فيما بينهم قرروا توقيع اتفاقية (معاهدة) تنظم السّلب والنهب عرفت في التاريخ باسم (معاهدة برلين) عام 1884 - 1885. والتي وقع عليها في اجتماع كل من: إنجلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا وإيطاليا.

وتقول هذه المعاهدة في المادة الرابعة والثلاثين منها: «.. تلتزم كل دولة من الدول الأطراف في هذه الاتفاقية في حالة قيامها بوضع يدها. أو تقرير حمايتها على أي أقليم من أفريقيا بإبلاغ ذلك إلى الدول الأخرى الموقعة على هذه الاتفاقية...».

وتقدم الأوروبيون بأسلحتهم الفتّاكة الحديثة يهاجمون القرى الآمنة والمخيمات البدوية الفقيرة والمواطنين العزل من السلاح، وينشئون الحصون والقلاع، ويسلبون المدن بجنودهم المدجّجة بالسلاح.

وحتى يضفوا الشرعية على سلبهم للأراضي والمواقع والقرى بدأوا يغيرون أسماءها الأولى بأسماء من عندهم، وذلك ليحولوا بين القارة وتاريخها المجيد وبين المواطنين وتراثهم.

فصار المرء يسمع بما لم يسمعه من قبل:

أفريقيا الغربية الفرنسية.

أفريقيا الغربية البريطانية.

أفريقيا الفرنسية الاستوائية.

الصحراء الفرنسية الكبرى.

الصحراء الاسبانية.

كما تغيّرت أسماء المدن وأصبحت بأسماء المستعمرين وكذلك المناطق:

بحيرة فكتوريا. ليوبولد فيل. سيشل. بحيرة ألبرت. كولومب بشار. فورت لامي. سان لويس.

إلى غير ذلك من المسميات الجديدة التي ترتبط بالاستعمار الأوروبي. والتي أطلقها على مناطقنا العربية الإسلامية أو على المناطق الافريقية في قارتنا الكبرى، كما قام بتغيير الحدود وتقسيم القبائل كما يحلو له وتمزيق القوميات. الأمر الذي ما زلنا نعاني من مشاكله ومصائبه. وسيبقى إلى زمن بعيد يثير المشاكل والمتاعب للدول الأفريقية التي خطط حدودها الاستعمار كما يحلو له.

وإن وَجَدَ الاستعمار حين قدومه لأفريقيا بعض الاستكانة من بعض المناطق، ومن بعض المواطنين الأفارقة، إلاّ أنه ما ان وصل لمنطقة الصحراء العربية حتى جُوبه بالرصاص والجهاد المقدس.

فاسبانيا التي وصلت إلى شواطىء الصحراء الغربية العربية عام 1884 بأن أنشأت بعض المراكز التجارية وموانىء الصيد في المنطقة بالاتفاق مع بعض مشايخ القبائل في المنطقة. إلا أنها لم تستطع التوغل داخل الصحراء إلا بعد عام 1936 وبعد انتصار الثورة في اسبانيا، حيث تمكنت من ضم الصحراء الغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) لإدارتها المركزية في مدريد.

أما البرتغال التي وصلت إلى جزر أفريقيا الشرقية وخاصّة الجزيرة العربية (زنجبار) التي احتلتها عام 1509م. في الفترة نفسها التي احتل الاسبان (الجزر الخالدات: في مغرب الوطن العربي. فإنها لم تدم طويلاً إذ اضطرت للخروج من المنطقة تاركة المجال للبريطانيين.

أما فرنسا التي وصلت إلى بلاد صنهاجة (السنغال) عام 1659 إلى مدينة (اندر) العربية وغيروا أسمها إلى (سان لويس). ومنذ ذلك التاريخ بدأوا بالزحف شمالاً متخذين من مشايخ القبائل غير الواعين. ومن التجارة وسيلة للتغلغل وللبعثات الاستكشافية منفذاً لدخولهم ولإفساح المجال لهم.

ولكن هذا لم يدم طويلاً. ولم يكن ديدن كل الشعوب التي تقع جنوب الصحراء. فلقد ثار سكان زنجبار وشرق أفريقيا العرب ضد البرتغاليين وأنزلوا بهم هزائم فادحة، وطردوهم من الساحل الشرقي الأفريقي.

ويذكر لنا التاريخ أسماء قيادات عربية مجاهدة لا تنسى مثل (أحمد القرين) الذي استطاع أن يهزم القوات الحبشية والقوات الألمانية في شرق أفريقيا.

وكذلك المجاهد بوشيري بن سالين وهو عربي، الذي أعلن الثورة على الألمان في سبتمبر/ ايلول 1886، وأباد القوة الألمانية في شرق أفريقيا. ودخل دار السلام منتصراً وقبض على البعثة التبشيرية فيها.

ولو أن هذا المجاهد قبض عليه وأعدم عام 1888م. ولكن أنصاره وأتباعه واصلوا الجهاد وكلفوا الألمان خسائر فادحة.

أما في غرب أفريقيا كان المجاهد الحاج عمر تال وهو عربي فلاني أعلن ثورته التيجانية، واصطدم مع الفرنسيين في غرب أفريقيا. ولو لم يستنفد قواه في محاربة أتباع الطريقة القادرية وتفرّغ للجهاد ضد الفرنسيين لقلب موازين التاريخ في المنطقة.

وقد تزامن الحاج عمر تال في غرب أفريقيا مع أحمد القرين وبوشيري في شرق أفريقيا ومقارعتهما للاستعمار الصليبي الأوروبي في النصف الأخير من القرن الماضي.

جهاد عرب الصحراء
ضد الإستعمار
الأوروبي الحديث

بدأ الصدام بين عرب الصحراء والقوات الأوروبية الفرنسية والإنجليزية والاسبانية في أواخر القرن الماضي بل في العقد الأخير منه وبداية القرن الحالي.

فالفرنسيون بدأوا في تسللهم للصحراء من السنغال التي وصلوها عام 1659 واتخذوا من مدينة (اندر) مركزاً لانطلاقهم متخذين من التجارة وسيلة لتواجدهم وتسلّلهم للشمال.

ولما كان الصمغ العربي الذي تنمو أشجاره في جنوب الصحراء أحد الموارد الاقتصادية للإمارات التي قامت في جنوب بلاد شنقيط.

ولهذا قامت فرنسا بالتركيز على هذا الموضوع وسعت لعقد اتفاقيات مع إمارة (ادوعيش) عام 1818م. وعام 1857م. يسمح بموجبها (ادوعيش) للفرنسيين بحرية التجارة في نقطة (بوجدور) و(متم) وحرية التنقل مقابل ذلك يتعهد الفرنسيون بإعطاء 3٪ من قيمة الصمغ الذي يتم تبادله على ضفة النهر. كما وقّعوا اتفاقيات مماثلة مع إمارة (الترارزه) وإمارة (البراكنة) سنة 1858م.

كما وصل الفرنسيون إلى الشمال حيث استولوا على الجزائر 1830 وبدأوا يتغلغلون إلى الصحراء، والتي وصلوا إلى أطرافها الشمالية (... وادي سوف، عين صالح، ورقلة) عام 1854م.

وفي محاولة للإطباق على الصحراء من الشمال والجنوب بدأت فرنسا في مخططها حيث استولت على تونس عام 1881. وما وصلت سنة عام 1891 حتى فرغ الفرنسيون من احتلال السنغال وبدأوا يخططون لاجتياز النهر والتقدم نحو الصحراء.

وقد استطاع الفرنسيون كسب ود بعض مشايخ الطرق الصوفية الذين بدأوا يساعدونهم بالفتاوى والمراسلات، والضغط على المواطنين بعدم مقاومة الفرنسيين (الذين أرسلهم الله لإنقاذ الإسلام والمسلمين!!).

وقد تولى قيادة هذه الفتاوى والمساعدات للفرنسيين الشيخ سعد بوه بن محمد فاضل أخ الشيخ ماء العينين رحمهما الله. وهي من الغرابة بمكان؟!

والشيخ سيديا ولد محمد ولد الشيخ سيديا الكبير. شيخ الطريقة القادرية في جنوب بلاد شنقيط.

ولكن هذا لم يكن كافياً لدخول الفرنسيين إلى الصحراء بدون حرب كما كانوا يتوقعون.

وكان الفرنسيون في هذه الأثناء يتقدّمون داخل أفريقيا السوداء مستعينين بأبناء البلدان التي يحتلّونها لاحتلال البلدان الأخرى المجاورة..

وما إن وصلت سنة 1899 حتى اصطدموا بأول المجاهدين العرب في جنوب الصحراء في الوقت الذي كانت المعارك تدور في شمال الصحراء ضد فرنسا، منذ نزولهم بالجزائر 1830 بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان يلجأ للصحراء لاسترداد أنفاسه ويهاجم الشمال، ثم من بعده أبو عمامه والمقراني في مناطق الصحراء 1871 وما بعدها. وبدأوا بالتحايل للاتصال بمشايخ القبائل وسلاطين عرب التوارق ويعقدون الاتفاقيات حيث تم لهم الاتفاق مع سلطان قبائل عرب الهقار (موسى اق اماسطان) ومن قبله مع سلطان آزقر (محمد اخنوخن) في غدامس عام 1862 ووقّعها مساعده عثمان عن الجانب العربي التارقي وبشير أخ اخنوخن. أما عن الجانب الفرنسي فوقعها المقدم ميرشر والنقيب د. دوبوليناك وذلك في 26 أكتوبر/ تشرين الأول 1862. وتقضي المعاهدة بحرية الحركة الفرنسية في المنطقة وتقديم المساعدة للفرنسيين الذين يصلون إلى غدامس وغات.

وحتى لا يكون هناك أي تضارب بين المصالح الفرنسية والإنجليزية عقد الطرفان معاهدة لندن 4 أغسطس/ آب 1890. والتي كان من أهم بنودها:

- اعتراف فرنسا بحكم بريطانيا للإمارات العربية في زنجبار مقابل الاعتراف لفرنسا بحكم مدغشقر.

- تعترف بريطانيا لفرنسا بنفوذها من البحر المتوسط حتى (على النيجر) - بارو - خط ساي على الساحل الغربي لبحيرة تشاد.

هكذا بدأت الصدامات الأولى مع عرب الصحراء الكبرى عام 1889 في صحراء مالي. يقود الجهاد المجاهد (محمد ولد امهد السليماني). وفي صحراء تشاد منطقة كانم حيث كانت القبائل العربية أولاد سليمان وزملله قذاذفه تصطدم بالفرنسيين.

وفي جنوب النيجر حيث اصطدم مع الفرنسيين عرب توارق امزورواق بقيادة شيخهم (موسى).

واشتعلت منطقة جنوب الصحراء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر. وبرز عشرات القيادات للجهاد الوطني في المنطقة: محمد بن عبدالله الملقب بالمهدي في الصومال في منطقة (أوقادين) يهاجم الانجليز في شرق أفريقيا.

محمد المهدي في السودان يقود الدراويش ضد الإنجليز والإيطاليين، وحتى الأحباش المتعاونين مع الحملات الصليبية وينتصر عليهم في معارك شتى ويطهّر الخرطوم من الإنجليز. وبرز في حركته أبطال أمثال عبدالله التعايشي وعثمان دقته.

ويقول الدكتور أحمد شلبي عن جهاد محمد بن عبدالله في الصومال الذي استمر أكثر من ربع قرن:

> «.. ولم يعد مهدي الصومال يهدد الاستعمار الإنجليزي وحده. وإنما أخاف بحركته التي استمرت أكثر من ربع قرن كل المستعمرين بأفريقيا. وعلى الرغم من المنافسات الاستعمارية بين دول أوروبا فإنها تعاونت للقضاء عليه خوف ان تتسرب حركته إلى حيث تعيش هذه الدول المستعمرة. وهكذا اجتمعت إيطاليا وفرنسا وانجلترا وأثيوبيا ضده...»[1].

ويقول الدكتور شلبي:

> «.. وسيرة مهدي الصومال سيرة عطرة. وموقفه من الاستعمار موقف جدير بالتقدير والإعجاب...»[2].

وهكذا تقدمت القوات الأوروبية من كل جانب لتطوّق الصحراء من كل جانب ولتفتحها على جثث الشهداء من أبنائها.

---

(1) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6.

(2) أحمد شلبي، المصدر السابق.

ففي جنوب تشاد تصدى رابح الزبيري للفرنسيين وخاض ضدهم معارك مشرفة 1899 ـ 1900 حيث سقط شهيداً في إحدى هذه المعارك، وخلفه ابنه فضل الله 1901 ـ 1902 الذي قاد الجهاد واستشهد هو الآخر.

فاستلم راية الجهاد زعماء المجاهدين العرب محمد السني والبراني الساعدي الزوي، وبوعقيلة الزوي وصالح بوكريم الزوي، وعبدالله الطوير، وجميعهم تحت قيادة وإمرة شيخ المجاهدين أحمد الشريف.

وبدأت خيول المجاهدين ومهاريهم تدك جبهات القتال مع النصارى من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر. على امتداد الصحراء الكبرى. وأصبح لكل قيادة قواتها من المجاهدين العرب في المنطقة.

فالشيخ ماء العينين بن محمد فاضل يقود مجاهدي الصحراء الغربية (الساقية الحمراء ـ جنوب المغرب ـ بلاد شنقيط).

والمجاهد محمد بن امهمد يقود مجاهدي عرب شمال مالي وتينبكتو. يساعده ابنه الخليفة.

المجاهد علي بن قدور يقود مجاهدي عرب صحراء جنوب الجزائر.

المجاهد عابدين الكنتي يقود مجاهدي عرب شمال مالي.

المجاهد موسى دقرقوما وابن أخيه خنجر بن طلحة يقود مجاهدي النيجر.

استمرت المعارك ضارية ووحشية لأن الأوروبيين يستخدمون أسلحة متطورة أمام السيوف والخناجر والبنادق القديمة.

فسقط آلاف الشهداء في هذه المعارك فإلى جانب من ذكرنا من القيادات سقط في صحراء بلاد شنقيط الأمير بكار ولد سويدي أحمد 1905 وعمره يناهز التسعين سنة.

والأمير سويدي أحمد ولد عيده أمير أدرار عام 1932 والمجاهد علي ولد مياره عام 1934.

وفي صحراء مالي سقط فهرون بن الأنصار سلطان والليمدن عام 1916 وعبد الرحمن تاقاما سلطان اقدز 1920.

وسقط شهداء من زعماء الجهاد في صحراء تشاد والنيجر عبدالله الطوير الذي سقط في

معركة بئر العلالي 1912/12/5. وأبو عقيله الزوي الذي سقط في المعركة نفسها. والمجاهد البراتي الساعدي الذي سقط في معركة (عين كلكا) 1907 وهو يقود المعارك.

كما سقط موسى دقرقوما قبل ذلك شيخ قبيلة (امزوراك) 1900.

وفي هذه الأثناء هاجم الإيطاليون ليبيا في اكتوبر/تشرين الأول 1911 الأمر الذي جعل ظهور المجاهدين غير آمنةٍ في الصحراء، فانسحب الكثيرون منهم لخوض المعارك في الساحل الليبي.

كما هاجم الفرنسيون المغرب وأخرجوا أتباع الشيخ ماء العينين من مراكش عام 1912 بالتعاون مع الإسبان لشعورهم بأن الشيخ أحمد الهيبة ابن المجاهد ماء العينين بدأ يشكل خطراً على الوجود الاستعماري في المنطقة، خاصة بعد أن نصّبه المجاهدون سلطاناً على المغرب وذلك لمهادنة السلطان المغربي للفرنسيين.

وخاض المجاهدون معارك ضارية انتصروا في بعضها وانهزموا في البعض الآخر.

وتقدّمت القوات الفرنسية من الشمال ومن الجنوب. وجرت في موريتانيا آخر معارك الجهاد بين أتباع الشيخ ماء العينين بقيادة علي ولد مياره وبين الفرنسيين في (أم التونسي) شمال نواكشوط الحالية عام 1934 م.

كما استمرّت المعارك مع فرنسا في جنوب الصحراء إلى عام 1920 في النيجر وتشاد ومالي.

أما المعارك مع إيطاليا فاستمرّت ضارية ومتواصلة منذ عام 1911 إلى عام 1931 حيث أعدم شيخ الشهداء عمر المختار الذي خاض المعارك ضد فرنسا في تشاد قبل ذلك وجرح في إحدى هذه المعارك ثم انسحب شمالاً ليقود الجهاد في الجبل الأخضر بليبيا.

استشهد آلاف المجاهدين من العرب على امتداد الصحراء الكبرى. وهاجرت آلاف الأسر تاركة أوطانها متوجهة إلى المشرق: إلى الشام والمدينة المنوره وإلى تركيا. ونفي آلاف الزعماء إلى جزر البحار النائية وإلى أميركا الجنوبية يشتغلون في قطع الأخشاب والأعمال الشاقة لصالح الاستعمار الفرنسي. وقد قضى جلهم حتفهم هناك عليهم رحمة الله وبركاته.

وحاولت فرنسا منذ استيلائها على المنطقة أن تطمس الوجه العربي الإسلامي. وتجتث جذور الثقافة العربية الإسلامية. وتقتلع الحضارة الإسلامية العربية لتبني على أنقاضها الحضارة

الأوروبية المسيحية. وقامت البعثات التبشيرية بنشاط مكثّف، وشيّدت مئات الكنائس الضخمة. وقامت فرنسا باستصدار القوانين والمراسيم التي تمنع التخاطب باللغة العربية وتفرض اللغة الفرنسية محلها.

فأصدر حاكم غرب أفريقيا في السنغال قراراً يقضي بإلغاء اللغة العربية. وترسيم اللغة الفرنسية في الدوائر الحكومية والرسمية، وكان ذلك عام 1910 م.

وكان أمام هذا التغلغل المسيحي الصليبي: الفرنسي - الإسباني - الإنجليزي - الإيطالي - الألماني - البلجيكي - البرتغالي. وقف العرب المسلمون وقفة صمود. متحدّين الاستعمار ناشرين ثقافتهم العربية الإسلامية في مدارس بسيطة وصغيرة ومتغلغلة داخل الشعب في صحاريه وقراه وواحاته. مقاطعين المدارس الفرنسية والإدارات الفرنسية، موغلين في الصحراء ينهلون من تراث أجدادهم يدرسون أنفسهم. علماؤهم يتطوعون مجّاناً لتعليم الناشئة دينهم، ولغتهم، ويحفظونهم القرآن الكريم. مقتنعين بخلوتهم الصحراوية وما تدرّه عليهم مواشيهم الضئيلة والقليلة والتي كثيراً ما تطولها أيدي المستعمرين وتنهبها وتصادرها تحت أي حجة.

الفصل الثامن

حاضر الصحراء

ما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى بدأت الشعوب تتوق للحرية، وتطالب الحلفاء بالتزامهم بوعودهم التي قطعوها على أنفسهم حتى إنهم متى وقفت الشعوب المستعمرة معهم في محنتهم ضد ألمانيا وحليفاتها سيعطونها تقرير المصير بعد الحرب.

الشعب العربي الأفريقي هو الذي استرد لفرنسا حريتها من براثن الجيش الألماني. فالفرنسيون سقطوا تحت جنازير الدبابات الألمانية في أقل من شهرين من بداية الحرب.

والعرب الجزائريون والمغاربة والتونسيون وعرب الصحراء الكبرى في موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد وإخوتهم من الأفارقة المسلمين السنغال وغينيا وساحل العاج وغيرها هم الذين أعادوا لفرنسا حريتها وأزاحوا من على ترابها سيطرة القوات الهتلرية.

فرنسا كافأت هؤلاء الرجال بتمزيق بلدانهم واستعمارها. وتقسيمها إلى دوائر يحكمها ضباط من الجيش الفرنسي. ومزّقت قبائلهم العربية في الصحراء بحيث أصبحت القبيلة ممزّقة بين أكثر من قطر. فتجد القبيلة في مالي وجزؤها الآخر في بوركينا فاسو، أو تجد القبيلة في موريتانيا وقسم منها في مالي، وهكذا.

وفرنسا لم تراعِ الوحدة العرقية ولا اللغوية لتقسيماتها وكذلك فعلت بريطانيا وألمانيا وإسبانيا.

إيطاليا اقتسمت الصحراء مع فرنسا حسب المصالح الاستعمارية لكلا البلدين وعلى أساس مجهود كل دولة في الاحتواء والاحتلال.

فقبل دخول فرنسا إلى الصحراء وإيطاليا إلى ليبيا كانت تشاد والنيجر تتبع طرابلس الغرب.

وكان الولاة لممالك برنو وكانم يعيّنون من قبل الوالي في طرابلس. واقتطعت منطقة (أزواد) شمال مالي من موريتانيا وضمت إلى مالي.

وتكوّنت بعد الحرب الثانية مجموعات من الأحزاب تطالب بالاستقلال في كل المستعمرات السابقة شمال وجنوب الصحراء. ولما أن سكان الصحراء قاوموا الاستعمار بقوة السلاح، ولم يرضوا بالدخول تحت جناحه، لم يدفعوا بأولادهم للتعلّم في المدارس الفرنسية، التي غالباً ما كانت تديرها البعثات التبشيرية.

لهذا ما إن تشكّلت الأحزاب من المثقفين حتى كان جلهم من غير العرب، ومن المنضوين تحت لواء المسيحية، أو الذين تمسّحوا وتخرجوا تحت أيادي الآباء البيض. كان ذلك في التشاد والنيجر والسنغال وساحل العاج وغيرها. وأصبح الرئيس (فوات بوني) المسيحي رئيس أغلب الأحزاب التي تشكّلت في غرب أفريقيا. وتم استقلال ليبيا عام 1951 بعد تكبيلها بالمعاهدات والقواعد، ثم السودان وتونس والمغرب. وامتشق الجزائريون السلاح عام 1954 الأمر الذي سهّل استقلال المغرب وتونس لينفردوا بالجزائر.

وفي عام 1952 انفجرت ثورة 23 يوليو/ تموز في مصر وأصبحت لسان حال الشعوب المطالبة بالحرية والاستقلال. وقامت بدعم ثورة الجزائر، وكذلك الأحزاب المطالبة بالحرية والشخصيات الوطنية في جنوب الصحراء.

واتخذ الفرنسيون من الصحراء مسرحاً لإجراء تجاربهم النووية حيث فجروا أول قنبلة ذرية لهم في الصحراء العربية الكبرى، بين الحدود الحالية بين مالي والجزائر عام 1958 م. وكأن الشعب الذي يعيش في تلك المنطقة ليس من البشر ومات مئات الأطفال والعجزة والرجال جراء الإشعاع النووي. وعُرف ذلك العام في الصحراء بعام (الكحة)، أي عام السعال. لأن الذين كانوا في دائرة الإشعاع النووي أصيبوا بالسعال قبل موتهم.

وأمام ضغط الثورة الجزائرية قرر ديجول (فرنسا) الخروج من هذه الورطة باستفتاء (نعم أو لا) ليحفظ لفرنسا ماء وجهها. وصوتت الشعوب لصالح الخروج من النفوذ الفرنسي وتكوّنت مجموعة من الدول جنوب الصحراء هي موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد. كما تشكلت قبلها دولة السودان.

وهكذا تشكّلت الحدود الجديدة حسب وجود الاستعمار العسكري في المنطقة دون النظر للتاريخ ولا إلى الجغرافيا.

فمنطقة (أزواد) شمال مالي الحالية اقتطعت من موريتانيا وأصبحت ضمن مالي.

ومنطقة (الآير) اقتطعت من ليبيا وضمّت للنيجر.

ومنطقة كانم وفايا وجبال تيبستي اقتطعت من ليبيا وضمّت للتشاد.

والساقية الحمراء ووادي الذهب بقيت تحت الاستعمار الإسباني.

وأرتريا ضمّت للحبشة في استفتاء مزيّف.

كما بقيت الجزر الخالدات تحت النفوذ الإسباني الذي انسحب من منطقة سيدي أفني وطرفاية وتم تسليمها للمغرب.

وقد لاقت القبائل العربية والمناطق العربية بعد هذا التمزيق حظوظاً مختلفة وأصبح لها تاريخ منفصل، وجب علينا أن نتحدث عن كل قطعة على حدة. علماً بأن الجزائر تم استقلالها بالقوة عام 1962 بعد أن دفعت نهراً من الدماء في سبيل حريتها وكرامتها.

الساقية الحمراء ووادي الذهب:

بقي الإسبان على هذه الأرض معتبرينها جزءاً من ترابهم متخذين من الشعب العربي في الصحراء جندا لحماية إسبانيا (الجنرال فرانكو) الذي اعتمد في حربه الأهلية عام 1934 على الشعب العربي الصحراوي.

وبعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر/ أيلول في ليبيا وإسقاط الملكية فيها وطرد القواعد الأميركية والإنكليزية من التراب الليبي طلب قائد الثورة العقيد القذافي من إسبانيا الانسحاب من التراب العربي الصحراوي.

ولما لم تستجب إسبانيا لهذا الطلب تَمَّ الاتصال بالشعب الصحراوي، وتَمَّ تدريبه وإمداده بالسلاح وتنظيمه وأشعل ثورته ضد الإسبان في 10 مايو/ أيار 1973 م. وكان لمؤلف هذا الكتاب شرف الاتصال بهذا الشعب وتنظيمه ومساعدته.

وفي 27 فبراير/ شباط 1976 قرّرت إسبانيا الانسحاب بعد أن اتفقت مع المغرب وموريتانيا تسليم الصحراء إليهم. ولكن الشعب العربي الصحراوي الذي فجر الثورة وأرغم الإسبان على الانسحاب أنف من أن لا يؤخذ رأيه في مصيره، فواصل القتال ضد إخوته المغاربة والموريتانيين

والذي والحق يقال لم يقدموا له أي مساعدة أو دعم على المستوى الرسمي عندما كان يجاهد ضد الإسبان.

وفي 5 أغسطس/ آب 1979 خرجت موريتانيا من الحرب بعد أن أسقط الرئيس السابق الموريتاني مختار ولد داداه بانقلاب عسكري.

وبقيت المغرب وحدها مع الصحراويين في المشكل الذي قررت هيئة الأمم المتحدة التدخل فيه وإجراء استفتاء بين المواطنين لتخييّرهم بين الانضمام للمغرب أو الاستقلال.

بلاد شنقيط:

نظراً لأن الشعب العربي في صحراء شنقيط (موريتانيا) يعتبر حامي حمى اللغة العربية والدين الإسلامي في غرب أفريقيا، ومهد المرابطين الأول. وأن مشايخ الطرق الصوفية وعلماء الدين والفقه واللغة في غرب أفريقيا أغلبهم من بلاد شنقيط.

لهذا كان التفكير العربي الموريتاني على هذا الأساس. فهم يفكرون على أن السنغال ومالي وموريتانيا منطقة واحدة يديرها روحياً مشايخ الطرق العرب الموريتانيين. عليه يرون إقامة اتحاد فيدرالي بين هذه المناطق التي أصبحت دولاً بعد نتيجة الاستفتاء الفرنسي.

ولقد لقي هذا الاتجاه تشجيعاً من الأقلية السوداء في موريتانيا ومن الرئيس المالي موديبو كيتا، كما نادى المغرب بأن موريتانيا جزء من ترابه. وقد أيّده في هذا المطلب الكثير من العرب الموريتانيين وشكّلوا حزباً ينادي بذلك يسمى (حزب النهضة).

وبعد مخاض وأخذ ورد استقلّت منطقة غرب أفريقيا العربية وأسماها الفرنسيون (موريتانيا) أي بلاد (المور) (السمر). وهو اسم روماني قديم للمنطقة بدلاً من اسمها العربي بلاد شنقيط. وحكم موريتانيا حزب واحد هو حزب (الشعب) ورئيسه (المختار ولد داداه) الذي كان ينادي دائماً بأن موريتانيا هي همزة الوصل بين الأمة العربية وأفريقيا السوداء.

وفي الوقت الذي لم تترك فرنسا في هذه المنطقة شيئاً ذا بالٍ: لا طريق، ولا مصنع، ولا كهرباء، ولا هواتف، وحتى بدون مقر للدولة أو عاصمة للجمهورية الجديدة.

فأسس العرب الموريتانيون عاصمة لهم في موقع قريب من المحيط أسموه (انواكشوط) أي مكان القواقع عام 1958 م. وأصبحت بديلاً عن العاصمة السابقة (أندر) (سان لويس) ببلاد السنغال.

عرب صحراء تينبكتو:

تسمّى هذه المنطقة (أزواد) وهو اسم عربي تارقي معناه الصحراء (أزواغ).

وقد حاول الفرنسيون في أواخر بقائهم في المنطقة أن يكوّنوا جمهورية سموها (جمهورية الصحراء) ليقتطعوا الجنوب الجزائري المليء بالنفط وجزء من جنوب ليبيا وشمال مالي والنيجر وموريتانيا، وليكثفوا نفوذهم فيها ويبقوا بها. وقد سايرهم في هذا التوجه بعض الشخصيات الصحراوية وبدأ يدعو لهم ويطالب بهذا المطلب.

وكان على رأس هؤلاء المطالبين بإقامة (الجمهورية الصحراوية) والباقية تحت النفوذ الفرنسي الشيخ محمد محمود الأرواني قاضي تينبكتو والذي فسحت له فرنسا المجال في الإعلام وبدأ يحرّض الناس لطاعة فرنسا والبقاء تحت نفوذها.

ولكن الأغلبية من الشعب العربي الصحراوي رفض هذا الاتجاه، وطالب بالاستقلال ضمن دولة مالي مع إخوتهم المسلمين السود الذين تربطهم بهم وشائج الدين والقربى، وكثير منهم من أصول عربية سوّدتهم الأمهات، كما قال الشيخ نياس رحمه الله. ولكن ما إن انقطعت منطقة (أزواد) من منطقة بلاد شنقيط ومن بلاد الجزائر وانضمت إلى جمهورية مالي، حتى قام حكام مالي الجدد، وعلى رأسهم الرئيس موديبوكيتا باضطهاد العرب في الشمال وإذلالهم وإذاقتهم صنوف الإهانة. وصادروا أموالهم وممتلكاتهم وحيواناتهم بحجة تطبيق الاشتراكية الصينية. ومنعوهم من الدخول في السلك الحكومي وفي الجيش والشرطة، ومنعوا عليهم التنقل من مناطقهم إلا بإذن.

ولما كانت منطقة الصحراء العربية تحكم حكماً عسكريّاً أيام فرنسا لأن هؤلاء الناس أخضعتهم فرنسا بالحديد والنار. استمر الحكم العسكري في منطقة الصحراء أيام استقلال مالي. واستمرت مناطق العرب في الصحراء تدار بواسطة ضباط الجيش وقواتهم المتمركزة في الشمال.

وبما أن هؤلاء الضباط يعيشون بعيداً في الشمال عن أسرهم وذويهم وفي ظروف صعبة تزيدها حرارة الجو بؤساً وقلة الموارد والمياه. لهذا حقدوا على الشعب في الشمال وعاملوه معاملة سيئة كان أبسطها اختطاف بناتهم والزواج بهن رغم أنف أوليائهن، إلى غير ذلك من التعديات.

لهذا انتفض الشعب العربي الصحراوي ضد السلطة في مالي عام 1963. ونشب قتال مرير

بين الشعب وجيش السلطة غير متكافىء استمر أكثر من سنة، ذهب ضحيته آلاف العرب الصحراويين. وكان موديبوكيتا يظهر وجهاً تقدمياً، الأمر الذي جعل الرئيس جمال عبد الناصر يحترمه ويدعمه وكذلك الرئيس أحمد بن بلة الرئيس الجزائري الجديد بعد الاستقلال.

وهكذا تم القبض على زعماء الثورة وأودعوا السجن الأمير زيد الطاهر، واللادي بشير، والياس ومحمد علي الأنصاري. أجهضت الثورة وسحق الشعب العربي الصحراوي تحت أقدام الجند الحاقدين.

وقد شاهدت هذا الشعب عام 1972 وما بعده وشاهدت المآسي التي سبّبها الحكم العسكري المالي، والجوع والعري والمرض والقهر والجهل. وتشرّد الشعب العربي الصحراوي في مالي في البلدان المجاورة. وأصبحت تينبكتو المدينة العربية الإسلامية العريقة شبحاً من الأشباح تغزوها الرمال، وتتساقط جدرانها وتتهاوى أسقف معالمها بعد أن هجرها جل ساكنيها، وأصبحت أثراً بعد عين.

ولم يستطع الرئيس موسى تراوري الذي أطاح بموديبوكيتا أن يغيّر من الأمر شيئاً.

وتدفّقت البعثات التبشيرية المسيحية للشمال وبدأت تشتري أولاد العرب الصحراويين بحجة إنقاذهم من المجاعة لتنصيرهم، وشيّدت الكنائس في تينيكتو وقاوة، واعتنق بعض العرب المسيحية من جراء الجوع.

وأمام هذه المأساة أعلن العقيد القذافي في خطاب له ببلدة أوباري في 1980/10/16 أن ليبيا لن ترضى بإبادة عرب التوارق، وأنهم من أصل ليبي، وليبيا مفتوحة لاستقبالهم.

وأمام هذا النداء تدفّق آلاف العرب الصحراويين لليبيا حيث وجدوا المأوى والمأكل والملبس ودخل أولادهم المدارس للتعليم، وجعلت للكبار منهم مدارس لمحو الأمية، والتحق شبابهم بالقوات المسلحة العربية الليبية.

وفي عام 1990 رجعت مجموعات من الشباب إلى صحراء مالي وفجّروا الكفاح المسلح ضد الظلم والاضطهاد الذي يعيشه شعبهم.

وتحرّك الشعب المالي جميعه يؤيد انتفاضتهم ويشاركهم الثورة ضد النظام المالي.

فسقط الرئيس موسى تراوري وخلفه أحمدو توري الذي أعلن أنه يريد مفاوضة العرب الصحراويين وأنهم على حق في انتفاضتهم، وأنهم ظلموا طوال السنين الماضية. وقد التقى

مؤلف هذا الكتاب بالرئيس المالي في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 1991 الذي أخبرني بأن الصحراويين على حق، ونحن بصدد نسيان الماضي وعلاج المآسي التي تسبب فيها النظام السابق، والنسيان والإهمال الذي يعيشه الشعب العربي في الشمال.

وقامت جمهورية الجزائر بإجراء الصلح بين عرب الشمال وحكومة مالي. وقد توصلوا أخيراً لهدنة يناقشون خلالها مشاكلهم بعيداً عن السلاح.

وقد سقط مئات القتلى من الشماليين والجنوبيين وتناست روح الأخوة الإسلامية التي جمعت هذا الشعب في الشمال والجنوب.

عرب صحراء النيجر:

يقطن عرب صحراء النيجر أكثر من ثلثي مساحة النيجر الحالية.

وبالرغم من أن تاريخ النيجر في صده للاستعمار الفرنسي كتبه هؤلاء القوم بدمائهم، وبرز من بينهم أبطال يشهد لهم التاريخ بشجاعتهم وجرأتهم أمثال محمد كويصين من قبيلة إيكزكزن العربية التارقية، وموسى دمرقوما، وعبد الرحمن تاقاما سلطان عرب توارق أقدز، وغيرهم.

ولكن ما إن استقلت النيجر حتى أصبح هؤلاء القوم مواطنين من الدرجة الثانية. وورث الإخوة السود في النيجر النظرة الفرنسية المتعالية على العرب والحقد الفرنسي على الإسلام واللغة العربية.

وقد أهملت حكومة النيجر العرب الشماليين الأمر الذي جعل المرض والجوع يقضي على الآلاف منهم، ويهاجر الآلاف إلى الدول المجاورة يطلبون العيش.

وبعد خطاب العقيد القذافي الذي يفتح حدود ليبيا أمام عرب التوارق، تدفق آلاف العرب النيجريين إلى ليبيا يدرسون ويعملون ويتنقلون ويتدربون على السلاح أسوة بإخوتهم العرب الليبيين.

وبعد وفاة الرئيس النيجري الأسبق حسين كونشي اتصل الرئيس الجديد (علي شعيب) بليبيا طالباً منها إرجاع عرب التوارق للنيجر واعداً إياهم بالعمل والعدل والمساواة.

وفعلاً رجع للنيجر مجموعات كبيرة من العرب التوارق إلى شمال النيجر، ولكنهم قوبلوا بالإهمال والبطالة، سوء المعاملة، وعدم وجود التعليم لأولادهم، والسكن لأسرهم. فتظاهروا في

قرية (شين براضن) وقابلهم النظام بالسلاح، وسقط عدة قتلى وانتقلت الانتفاضة لمعظم مناطق الشمال، فقامت القوات النيجرية بمذابح ضد هذا الشعب العربي في الشمال، وتم قتل أكثر من ألف مواطن أمام تعتيم إعلامي على هذه المذابح.

وتشتت العرب الصحراويون في الجبال بدون زاد أو أكل أو ملبس، الأمر الذي دعاهم للسطو وقطع الطريق ومهاجمة مراكز الدولة.

ولا تزال منطقة صحراء النيجر حتى كتابة هذه السطور تمور غيظاً، والأمن في ربوعها غير مستتب. وقد أودع مجموعات من مثقفي العرب في السجون كما تم قتل بعضهم.

عرب الصحراء في تشاد:

ما إن استقلّت تشاد وتكوّن بها مجلس برلمان واجتمع ليناقش قضاياه حتى وقف الأعضاء العرب الشماليون في البرلمان مطالبين:

1 - جعل اللغة العربية هي الرسمية بدلاً من الفرنسية.

2 - طرد القواعد الفرنسية من البلاد.

وحدثت ضجة في المجلس، وحمي النقاش ولم يصل المجتمعون لحل إذ أن أنصار الفرنسيين يصرّون على بقاء اللغة الفرنسية هي الرسمية.

وهكذا حلّ المجلس، ورجع أعضاء الشمال إلى بلدانهم يعلنون الثورة ويمتشقون السلاح وعلى رأسهم (أباه محمد سعيد)[1] أحد أعضاء المجلس ورئيس الكتلة المطالبة بالعربية.

وتكوّنت جبهة تحرير (فارولينا) ولكنها من العرب الشماليين، واستمرت المعارك منذ عام 1965.

ووقفت فرنسا تدعم الحكومات المتعاقبة على تشاد وتطيح بأولئك الذين لا يأتمرون بأمرها، أو أنهم يحيدون عن الخط الفرنسي المرسوم لهم. ويشتد الصراع ويضعف حسب أهمية المنطقة والظروف السياسية الدولية.

---

(1) أباه محمد سعيد: عربي من الشمال من أصل شريف يعتبر مؤسس جبهة فارولينا، ومؤسس الجيش الأول. التقيت به في طرابلس الغرب عام 1989 وحدّثني أخبار الثورة.

وبعد قيام الثورة في ليبيا وقفت تدعم التيار العربي الإسلامي التحرري في تشاد، ووقفت فرنسا تدعم التيار الموالي لها. وتسرّب الاستعمار للثورة فشطرها على نفسها. وأصبح العرب الصحراويون في تشاد يتقاتلون. وقتل آلاف العرب بأيدي إخوتهم وبأيدي النظام التشادي الموالي لفرنسا. وأصبح هَمُّ رؤساء التنظيمات الوصول للحكم وبالتالي بدأوا يسعون لإرضاء فرنسا وأميركا التي دخلت الساحة أخيراً.

وفي السنتين الأخيرتين وصل للحكم (موسى دبي) أحد أفراد قبيلة (الزغاوة) العربية. وهدأت الاضطرابات ولكن هل يستمر الوضع هادئاً؟ نأمل ذلك.

كما نأمل ألا ينسى الثوار السبب الذي من أجله قاموا بالثورة، وهو فرض اللغة العربية في البلاد، وطرد القواعد الأجنبية.

إن عرب الشمال في تشاد يعانون الفاقة والجوع والمرض والجهل وقلّة الموارد، وويلات حرب دامت أكثر من ربع قرن أتت على الأخضر واليابس. إنهم يتدفقون على ليبيا للعمل وسدّ الفاقة.

عرب السودان:

السودان كلمة عامة معناها (السود) أو بلاد (السود) وكانت تطلق على كل أفريقيا السوداء من قبل العرب الشماليين. كما كان الأفارقة يطلقون على العرب (البيضان) نسبة لبياضهم.

ولم تتخذ إحدى الدول الأفريقية هذا الاسم إلا السودان الحالي وعاصمته الخرطوم الذي يقع على مجرى نهر النيل.

وهذه المنطقة كانت مرتبطة بمصر. وكثيراً ما كانت تتبع الحكم المصري وتدار من قبل حكام مصر.

ولما وقعت مصر تحت حماية الانتداب الإنكليزي عام 1882 وقعت كذلك السودان وبدأت تدار من قبل ضباط إنكليز.

ولم تستطع ثورة المهدي من طرد الإنكليز نهائيّاً من السودان بالرغم من قتل الحاكم الإنكليزي للخرطوم.

وبعد الحرب العالمية الثانية وقع للسودان ما وقع لغيره من سكان الصحراء الكبرى، بل وأفريقيا بكاملها. فلقد سعى المواطنون لتكوين أحزاب مطالبة بالاستقلال.

وبعد قيام ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 في مصر قرّرت الثورة فصل الارتباط مع السودان بناء على رغبة السودانيين بالاتفاق مع بريطانيا.

وفي عام 1956 أعلنت السودان استقلالها وانضمّت للجامعة العربية.

وبما أن هناك سودانيين من سكان الأدغال وهم أفارقة بدأ الصراع بين الشمال والجنوب تغذيه الأيادي الأجنبية والكنيسة المسيحية، التي شاهدت كنيستها في مدينة (جوبا) عاصمة الجنوب عام 1973 وعلى جدارها صورة كبيرة لمجموعة من الأفارقة الجنوبيين العراة مربوطين بحبال ويسوقهم عربي من الشمال بعمامته، ويلوح بالسوط من ورائهم. وذلك ليرسّخ الأوروبيون العداوة بين العرب والأفارقة، وليرمي الأوروبيون من رقابهم جرائم الرق ويطرحونها في رقاب العرب. ولا يزال الصراع مستمراً بين العرب الشماليين والجنوب، بالرغم من حدوث عدة انقلابات عسكرية في السودان جاءت بعدة ضباط إلى السلطة وأنزلتهم منها وآخرين مدنيين.

وأخيراً يذاع أن السودان سيتخذ من سلطة الشعب طريقاً للحكم. بحيث يشارك جميع الشعب شماله وجنوبه في مؤتمرات شعبية ولجانٍ شعبية في تنظيم يقفز فوق الأحزاب وفوق القبليات.

* * *

عرب أرتريا:

بناء على تنازل إيطاليا عن مستعمراتها - والتي من ضمنها أرتريا - عام 1947 للحلفاء، وكذلك الحبشة.

وبما أن الحلفاء أرادوا دعم الحبشة التي منحوها استقلالها الفوري رأوا أن يمنحوها أرتريا. ولكن الدول الكبرى الأربع المنتصرة في الحرب لم تتفق على هذا الرأي فأحالوا قضيتها إلى هيئة الأمم عام 1948، التي اتخذت جمعيتها العمومية قراراً يقضي بارتباط أرتريا بالحبشة في اتحاد فيدرالي وكان ذلك في شهر ديسمبر/ كانون الأول 1950.

ولكن الحبشة ضغطت على أرتريا بقواتها المسلّحة، وقامت باعتقال كل العناصر الوطنية القومية والإسلامية، وأعلنت عن ضمّ أرتريا للحبشة وإلغاء الاتحاد الفيدرالي.

وهنا انفجرت الثورة ضد الحكم الحبشي عام 1961 م.

وسيطر الثوار على السهول الأرترية وعلى الجبال حتى وصلوا إلى أبواب العاصمة (عاصمة الإقليم) هرر.

ووقفت الكنيسة وأوروبا تدعم هيلاسيلاسي أمبراطور الحبشة.

وسقط هيلاسيلاسي. ووصل الجيش إلى السلطة ولكن الثورة الأرترية استمرت وانشقّت على نفسها إلى مسلمين ومسيحيين. ووقفت أخيراً أميركا والدول الأوروبية تدعم الجبهة المسيحية (الجبهة الشعبية). وتمكّنت من إيصالها إلى حكم الإقليم بقيادة (سياس آفورقي) في الوقت الذي أوصلت فيه للحكم في الحبشة أحد أقربائه، وكلاهما من قبيلة (التيقراي).

وقد منح أخيراً لأرتريا حق تقرير المصير حيث صوّت شعبها لصالح الاستقلال فأعلنت دولة مستقلة دون أن تحدد هويتها العربية.

خاتمة

هذه هي صحراء العرب الكبرى من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر والتي كانت ذات يوم امتداداً لصحراء الجزيرة العربية عندما لم يكن هناك وجود للبحر الأحمر ـ كما يقول الجغرافيون ـ.

هذه هي صحراء العرب الكبرى التي سكنها العرب منذ آلاف السنين. يدل على ذلك نقوشهم في جبال أكاكوس وتيبستي والهقار وآير.

وتدلّ على ذلك طرقهم التي شقّوها عبر الرمال والصخور رابطة شمال الصحراء بجنوبها، وشرقها بغربها.

وتدل على ذلك آبارهم التي حفروها، وما زالت تحمل أسماءهم لها منذ زمن قديم.

هذه هي الصحراء التي ما زال الطابع العربي على أديمها منذ أحقاب قديمة. أسماء صحاريها الشاسعة المنبسطة: سرير مرزق، سرير القاف، تيرس، الرق. وتيرس تعني أنها تشبه الترس. والرق تعني أنها مثل الجلد المنبسط.

وما زالت جبالها تحمل الأسماء العربية:

جبال الآير: والآير في لغة القاموس الحجر الصلد.

الأدرار: وقلنا إنها تعني الجبال في لهجة صنهاجة.

وجبال تيبستي: بلاد التبو، وجبال الهقار: قبائل الهقار.

وما زالت رمالها العالية تحمل الأسماء العربية العِرق، والكَنْدرَة، والعقلة.

وما زالت مدنها وقراها تحمل الأسماء العربية وكذلك أشجارها وحشائشها وحتى حيواناتها البري منها والأليف.

ما زال العرب البدو بخيامهم السوداء يتنقّلون من وادٍ إلى واد. ومن منحنىً إلى منبسط. الخيام العربية نفسها في جزيرة العرب بمسمياتها وأوتادها وأطنابها وركائزها.

تلك هي صحراء العرب التي قضى الاستعمار الحديث أن لا تكون لها بالعرب صلة، وأقصد القسم الأوسط منها، وركّز على سلخها من أمتها ووطنها العربي الكبير.

كلف مئات البعثات التبشيرية في محاولة منه لتنصير العرب في صحرائهم.

وضغط عليهم عن طريق الحكومات العميلة في المنطقة وشردهم في البراري.

وزادهم فوق ذلك قسوة الجفاف والطبيعة فتاهوا في بلاد الله لا يجمعهم جامع ولا يحميهم حامٍ غير وجه الله. تتالت عليهم سنون عجاف أهلكت الزرع والضرع، وحجبت عنهم المساعدات الإنسانية فماتوا جوعاً وشردوا هائمين على وجوههم يقتحمون المصدات التي صنعها المستعمر وأسماها حدوداً، فيردّون إلى مصيرهم المحتوم.

آلاف الخيم الممزّقة المكدّسة على حدود الجزائر تجمع هذا الشعب الأبي في برج المختار، وتيمياوين، وتمنرست، تمزّقهم الفاقة والعوز.

مخيمات مهلهلة نصبت حديثاً في شرق موريتانيا في النعمة وولاتة وباسكنو على الحدود مع مالي، لهذا الشعب العربي الطيب يتكدّس فيها الشيوخ والنساء وبقايا الأطفال هروباً من بطش إخوة لهم في الدين والعرق فرّق بينهم الاستعمار واستعداهم عليهم فبطشوا بهم من غير رأفة، وشرّدوهم بدون تأنيب ضمير. التقيت بهؤلاء وهؤلاء، ووجدت الجميع يأسفون لما حدث ولكن الكل جرفه التيار ولا يستطيع التوقيف عما دفعه المستعمر إليه، والحرب تورث التارات، والحرب تورث الضغائن والأحقاد. وهكذا كان.

آلاف الأسر تكدّست في بوركينا فاسو من العرب الأقحاح هاربين من ظلم ذوي القربى في مالي والنيجر.

آلاف الشباب والنساء والشيوخ والأطفال تدفّقوا على الجماهيرية (ليبيا) يبحثون عن المأوى والمأكل والملبس. تركوا الصحراء خاوية خالية يحنّون إليها في ألم مكبوت، وينظرون إلى الأفق الغائم علّه يرجعهم إلى مرابع الصبا وملاعب الطفولة. هناك في حنايا الوديان وفي انحراف

الظل للجبال في المساء، حين تمل قطعانهم المرعى وتتداعى راجعة للخيام متذكرة صغارها في زرائب الحي الباقية في الانتظار منذ الصباح الباكر.

هذه هي صحراء العرب الكبرى التي اقتطعت من أمتها وتناساها أهلها. أردت أن أسلط عليها الضوء علّي بهذا الضوء البسيط أعرّف مجهولاً وأذكّر من شاء الذكرى، وأتحدث عن ربوع أمجاد صاغها رجال أفذاذ من هذه الأمة العظيمة، ستبقى ما بقي الدهر، وما بقي للعالمين ذاكرة تذكر، وحافظة تحفظ.

أردت أن أسلط الضوء على هذه الصحراء في سلسلة من الكتب هذا أحدها، ليعلم قومي أن لهم إخوة يكاد يبتلعهم النسيان في مهامه الصحراء الكبرى، علّهم يتسارعون إليهم لنجدتهم وإنقاذهم.

إن آلاف الشيوخ والنساء والرجال في الصحراء يبيتون قرب المذياع يتابعون أخبار أهلهم وذويهم في العواصم العربية، يتألمون لآلامهم، ويفرحون لفرحهم وأغلب العرب لا يعلمون ذلك، أو أنهم غافلون.

آلاف قصائد الشعر العربية في الصحراء تمجد ثورة الجزائر، وثورة شعب فلسطين، وثورة عبد الناصر، وتؤيد مصر ضد العدوان الثلاثي، وتؤيد ثورة ليبيا ومواقفها.

آلاف القصائد تحويها صناديق مقفلة في الخيام تحملها الإبل في تنقلاتهم، ويورثها الآباء للأبناء.

قصائد ترثي شيخ الشهداء عمر المختار، وأخرى تشجب الغزو الإيطالي لليبيا. وقصائد تمتدح عبد الكريم الخطابي، والأمير عبد القادر الجزائري، وأشعار تمجّد بطولات العرب في الصحراء ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني والإيطالي والألماني.

آلاف المخطوطات العربية بعضها سُرق ونُهب من قبل المستعمرين وبعضها لا يزال ينتظر من ينفض عنه غبار السنين ليرى النور ويُقدّم لقراء العربية في أقطارهم.

لقد مررت في تجوالي على مئات المخيمات في مختلف بقاع الصحراء. وإن نسيت لا أنسى أولئك الشيوخ والعجائز الذين صادفتهم في المخيمات ويصرّون على أن يطلعوني على شجرات أنسابهم التي توارثوها عن أجدادهم، وجلّها ترجعهم إلى قبائل الجزيرة العربية أيام نهضتها وازدهارها.

هذه الشجرة ترجع إلى جعفر الطيار، وهذه إلى أبي بكر الصديق، وأخرى إلى علي ابن أبي طالب، وشجرة ترجع إلى عقبة بن نافع، وأخرى ترجع إلى عمر بن الخطاب وهذه إلى الحسن أو الحسين.

قبائل ترجع إلى بني أمية وإلى الأنصار وإلى حمير وإلى معاذ بن جبل، وأخرى قادمة من حضرموت.

أغلب العرب الصحراويين يصرّون على أن تبقى أنسابهم معروفة لبنيهم فيورثونهم شجرات أنسابهم هذه.

إنه الخوف من الاندثار، وإنه الفخر بالنسب العربي الصميم. حتى خيولهم لها شجرات نسب شاهدت بعضها، محافظين على نقاوة دمها، مدققين في انتمائها لدرجة أنهم يذكرون الصميم ويذكرون الخليط ويسمّونه (حرطاني) أي ليس دمه نقيّاً بل مختلط.

حتى جمالهم الأصيلة (المهاري) يذكرون شجرات نسبها إما مكتوبة أو شفاهاً يتناقلها الابن عن الأب والأب عن الجد.

حتى الأسماء العربية الصميمة ذات الأبعاد الموغلة في التاريخ ما زالت هي هي: فهر وزيد وخنجر وصخر وطلحة وإدريس واخنوخن (اسم سيدنا إدريس[1] عليه السلام) والياس. أسماء الأنبياء في العرب البائدة وعلم الله إنها ما بادت ولكنها انتقلت إلى صحراء الشمال الأفريقي بآدابها وفنونها وأسمائها وعاداتها وتقاليدها ولغتها القديمة.

هذه هي صحراء العرب الكبرى، ترتكز على أرخبيل الجزر الخالدات في المحيط الأطلسي أو جزر الربيع الدائم، حيث يعيش شعب عربي أصيل، يذكر شيوخه أنهم قادمون من مصر في تاريخ متقدم، وبعضهم جاؤوا من موريتانيا أيام حملات الرق التي كانت تقودها أوروبا.

ما زالوا يحفظون تاريخهم بالرغم من الاستعمار الإسباني الذي يعتبر هذه الجزر جزءاً من أملاكه، وهذا الشعب جزءاً من شعبه. وبالرغم من التفريغ لهذا الشعب من موطنه حيث تسعى إسبانيا لملء الجزر بالإسبان وترحيل السكان الأصليين إلى إسبانيا.

يبعد هذا الأرخبيل عن إسبانيا ألف وخمسمائة كيلومتر وعن شواطىء الساقية الحمراء مائة كيلومتر فقط.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية.

وتنتهي هذه الصحراء بأرخبيل جزر دهلك في البحر الأحمر. وهي أكثر من مائتين وستين جزيرة اتخذها بعض حكام الجزيرة العربية في زمن مضى منفى للذين قضى الله أن يدانوا في جرائم يراها الحاكم موجبة للنفي إلى هذه الجزر.

وتكوّنت بها أسر عربية احترفت الصيد والملاحة. وقد بدأت إسرائيل أخيراً تحوم حول هذا الأرخبيل لتستعمره وتسيطر عن طريقه على مضيق باب المندب وطريق البحر الأحمر لجنوب شرق آسيا. وقد تكون هناك مفاوضات بهذا الشأن بين الحبشة وإسرائيل. وقد تكون إحدى هذه الجزر مستقراً لقوات إسرائيلية معادية للعرب. وأميركا ليست ببعيدة عن هذا الحدث وعن التخطيط له.

لم أرد أن أفرد فصلاً للحديث عن هذه الجزر الغربية والشرقية، تاركاً ذلك لموضوع آخر، في كتاب آخر إن شاء الله إن كانت في العمر فسحة.

وأطلب من الله العون والهداية.

د. محمد سعيد القشاط

طرابلس الغرب ـ 9 مارس 1992

مُلحق الوثائق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

[illegible]

ثم ما بعد هذا قالوا تتغلب الروم على العرب فتجلي البربر عن العرب الى ... النيل

ويجلي النصارى البربر الى الصحراء ثم بعد ذلك يخرج ... العرب ...

ويتغلب على البربر والنصارى ويفتح الغرب وجزيرة العرب ... النصارى

ويجمع من جزيرة العرب ثم يتوجه الى المشرق ... مصر والشام وأعماله

(*) وثيقة من صفحتين مكتوب في الصفحة الأولى رؤيا للشيخ سيدي المختار بن أبي بكر الكنتي، والصفحة الثانية أسماء القبائل التي يقال أنها شريفة النسب.

6 قال محمد امبارك اللمتوني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد

أمن هند بكثبان الأجيب لبنا ام الهزل

لهام ... يعتاده الحزن والثكل

نعم قلبها يرعى للغواة امل ...

على أن ... عقد العزم ... منه ...

وتحسبني من حب ان جال ... ثم ...

والاكثر فيهم الرسايس والختل

والذ ذهبت عندهم ... ادعيهم

وهل هي الا خبئة الجلسم والحفل

أراهن كالدهر اذ فلا با منهن تشكل

على حبلهم المامود بنقص الحبل

و... مثلا جبال الخيل نجد نحوه

فبين كبارهن الوشر المكسر والنزل

ورب جباة افسمت لحبايلها

يمينا على ان لا تكون منى تخلو

ودر بعيره تهيئة احد ما لويدا له

لحل حبال الوصل من حيث تحل

(*) قصيد للشاعر امبارك اللمتوني يتحدث فيها عن منهاجه ولمتونه وانتسابها (لحمير)، القصيد في أربع صفحات. وهو غير كامل.

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وآل...

هذا نسب الشرفاء ابناء ابي السباع

فجدهم عامر المكنى بابي السباع 1 بن

احمد 2 بن محرز 3 بن عبد الله 4 بن

ابراهيم 5 بن ادريس 6 بن محمد 7

ابن يوسف 8 بن عيسى 9 بن

عبد الكريم 10 بن محمد 11 بن ... 12 بن

عبد الله 13 بن عمر 14 بن سعيد 15 بن

بن عبد الرحمن 16 بن ابي سالم 17 بن عمر

18 بن عبد الكريم 19 بن خالد 20 بن

سعيد 21 بن عبد المومن 22 بن

زيد 23 بن رحمون 24 بن زكرياء 25

بن محمد 26 بن احمد 27 بن الحاج 28

ابن علي 29 بن عبد الله 30 بن احمد 31

ابن محمد 32 بن ادريس 33 بن ادريس 34

ابن عبد الله الكامل 35 بن الحسن المثنى 36

ابن الحسن السبط 37 بن علي بن ابي طالب 38

رضي الله عنه وكرم وجهه اللهم

بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وجاه علي

رضي الله عنه وجاه الحسن والحسين

(*) شجرة نسب أولاد بو السباع التي تصل بهم إلى الحسن بن علي عليه رضوان الله، وهي من أربع صفحات، على الصفحة الأولى عنوان المخطوط (هذا نسب الشرفاء أبناء أبي السباع).

(*) رسالة مرسلة من الفانوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسى تلميذ الشيخ سيدي المختار، وذلك لجميع زعماء دول المغرب العربي، ويذكر فيها تاريخ (الفلانين) ونسبهم. المخطوط من (13) صفحة من الحجم الصغير والصورة للصفحة الأولى والصفحة الأخيرة.

(*) مخطوط يبين نسبة أهل مولاي الزين للشرفاء. المخطوط في (3) صفحات.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم

هذه قصيدة لشيخنا العالم الفقيه النسابة

عثمان بن شيخنا الفقيه محمد يحيى بن سيدي محمد بن سليم

نفعنا الله وإياه بالقلب السليم من نسب

الكرام أبناء مولاي عمار الهمام جعلنا الله وإياهم

الصلاة والسلام

(*) قصيدة الشاعر عثمان بن الفقيه محمد يحيى بن سيدي محمد بن سليم، تبين نسبة الشرف لأبناء مولاي عمار.
القصيد في (6) صفحات و(92) بيتاً.

بسم الله الرحمن الرحيم — وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نحمد لله العلي الأعظم ۞ والحمد لله الكريم الأكرم
صلواته على محمد ۞ وعلى آله وصحبه والمقتدي
[illegible] بسلسلة الأشراف ۞ [illegible] ذوي العفاف
شجرة ثمارها قد اينعت ۞ شجرة أزهارها قد تفتحا
شجرة أغصانها قد [illegible] ۞ شجرة أفنانها قد أزهرت
[illegible] ۞ وتنفح المسك لمن نوى [illegible]
بدأتها بالشريف عبد الحي ۞ نجل الشريف الحسن المرضي
[illegible] سيدنا محمد ۞ نجل لدحمان كذاك اعتمد
ذا انتمى لسيدي محمد ۞ والده فخر الهداة الأمجد
نجل الملا وهو عبد المالك ۞ ينمى إلى الشيخ التقي الناسك
مولاي عبد الله يدعى بركاني ۞ نجل علي المرتضى ذي الإحسان
[illegible] لعبد الله ذاك الأطهر ۞ ابن مولاي الزين ذاك الأشهر
[illegible] ۞ دال من الفقور [illegible]
[illegible] بريش ومستور اعلموا ۞ زاوية لكنت ذاك ما فهموا

وهو نجل الحسن المكرم ۞ نجل محمد [illegible] الأفخم
نجل لعبد الله يا من يفهم ۞ نجل محمد الكريم الأكرم
نجل المجاهد التقي علي ۞ يدعونه الفلالي يا صفيي
وهو الذي ينمى إليه الشرفا ۞ العلوية بمغرب [illegible]
له أخ يدعى بعبد الرحمن ۞ نجل مولاي حسن ذي الإحسان
وهو نجل حسن الداخل ۞ للمغرب من ينبع [illegible]
سليل قاسم شريف أزهر ۞ ابن محمد نبيه أبهر
نجل القاسم الرضى المكرم ۞ نجل محمد الكريم الأكرم
نجل مولاي حسن كالقمر ۞ نجل لعبد الله ذاك الأشهر
نجل المكرم أبي محمد ۞ نجل مولاي عرفة به اقتدي
سليل مولاي الكريم الحسن ۞ ابن أبي بكر لهذا اقتفي
نجل علي ابن حسن الفاضل ۞ سليل أحمد سليل إسماعيل
سليل قاسم سليل الأكرم ۞ محمد النفس الزكية اعلم
ولد عبد الله صف بالكامل ۞ ابن المثنى حسن الفاضل
وبعده الحسن نجل لعلي ۞ زوج البتول بنت أعلى الرسل
وأم ذا الحسن بنت الرسول ۞ سيدنا محمد به أقول

(*) مخطوط من صفحة واحدة يبين شجرة نسب الشيخ بن مولاي زيدان الشريف من أشراف (أروان).

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله القائل إن أكرمكم عند الله أتقاكم والصلاة والسلام
على سيدنا محمد القائل تعلموا من أنسابكم ما تصلون
به أرحامكم وعلى آله وأصحابه الأكرمين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فهذا ذكر
نسب تكنة أولاد موسى بن أعل القاسمي ببلد
وادنون وبلاد تيغزرت وشلح في جنوب تافيلالت وبلاد
درعة وغيرها وذكر نسب أخيه النسيب سليمان
الملقب وشل الحدفون في تخوم توات توفي في
زهاء تاريخ سبعمائة وخمسين من الهجرة في زمن
ولاية أمير المؤمنين الموحد المستنصر أبو يعقوب
يوسف بن أبي محمد عبد الله الحي وبها أولاد وأولاده
قبائل هنالك وسنذكرهم إن شاء الله وفي كثير من
كتب التاريخ الكبار أنهما أعني موسى بن أعل جد
تكنة وأخاه سليمان شريفان صحيحا النسب جدا
وعندنا كتابان جليلان نفيسان في أنساب الشرفاء
حقق فيهما أنهما شريفان الأول منهما كتاب
زهرة الأخيار في نسب آل بيت النبي المختار
المطبوع في فاس لمؤلفه العلامة المحقق والنسابة
المرابط أبي عبد الله أحمد بن محمد المغربي التلمساني

(*) مخطوط ذكر شرف قبيلة (تكنة) في (9) صفحات.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
ذكر فقهاء تنبكت وعلمائها رحمهم الله
ونفعنا ببركاتهم وزال عنا دجى الجهالة والضلالة
بهم واكشف عنا الضيق والكرب كل وقت وحين
واجعل بلدنا بلدا رخيصا للتجارة والمسافرين
ووسعها السادات [illegible] منهم وامين منهم الفقيه
القاضي محمد الكابري وسيد عبد الرحمن التميمي
والشيخ محمد نض والفقيه القاضي الحاج واخيه
الفقيه ابراهيم وحفيده الفقيه القاضي ابراهيم
ابن القاضي عمر السلكي واخيه عبد الله القاضي ابن [illegible]
محمد بن عثمان بن محمد بن نوح والفقيه

(*) مخطوط ذكر فقهاء بتنبكتو وعلمائها بخط الناسخ ابراهيم بن مالك بن الحسن. المخطوط في (6) صفحات).

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

هذه صحيفة النقل عن علوية ادوعلي

وبكرية محمد غل [illegible] الشيخ [illegible]

العارف بالله البالغ ابو عبد الله سيدي عبد الله

بن الحاج ابراهيم بن الامام عبد الرحمن ابن الامام محمد [illegible] العلوي الحمد

الحمد لله الذي جعل من شاء العز [illegible] من النسب الشريف

النسب الهاشمي والانتماء العلوي [illegible] البكري وإذا كان

الامر [illegible] فلنضع رسالة تسمى [illegible] علوية

ادوعلي وبكرية محمد غل [illegible] ادوعلي

اولاد علي ابن يحي [illegible] من ذرية علي ابن ابي طالب رضي

الله عنه ولا تعارض فيه [illegible] بين اهل الظاهر والباطن والذي ذكره

من علماء [illegible] الطالب عبد الرحمن [illegible] ينتسبون الى [illegible]

[illegible] بن زكريا [illegible] محمد بن الحنفية من ذرية محمد بن الحنفية

بن علي والحنفية امه واخبرني الثقة عن [illegible] بن الفاضل

انه وجد بخط ابيه الفاضل المعروف عند زاوية البراكنة [illegible]

[illegible] في هذه البلاد [illegible] العلوي

والموجود بخط سيدي عبد الله بن محمد بن الفاضل [illegible] وكذا بين

في احد [illegible] اولاد [illegible] فاطمة رضي الله تعالى عنها [illegible] الآخر

[illegible] اولاد محمد [illegible] احدى النسبتين [illegible]

والآخر [illegible] النسب [illegible]

[illegible] من جهة الام وقد [illegible] نسب [illegible] الشيخ [illegible]

ادوعلي من اولاد فاطمة من جهة الاب وقد نقلت عن ولي الله

الشيخ [illegible] واحدة [illegible] اولاد علي وقد اخبرني

[illegible] صاحب السياحة في المشرق والمغرب

[illegible] اولاد علي [illegible] ينتسبون اليه [illegible]

(*) مخطوط علوية ادوعلي وبكرية محمد غل بخط العالم أبو عبد الله سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم. المخطوط في (7) صفحات ومختوم بقصيدة للمؤلف.

[illegible] الرحيم [illegible]

بن السوق وكان في اصقاع نزلته الصحابة رضي الله عنهم
ثم في اخر غزواتهم ارسلهم معاوية ابن ابي سفيان رضي
الله عنهم بعد الحسن بن علي رضي الله
وامر عليهم عقبة بن عامر وهو عقبة المستجاب
عنه في عام احدى وستين من الهجرة واتى الى
ان فتح المغارب من الفرس والسوس الاقصى
مدينة عظيمة فيها خلق كثير ومن يومئذ
فتحها عقبة واخذ اميرهم كسيلة واظهر
واسر الكفر واقام عقبة مدة في السوق
بها مساجد وجعل المؤذنين في المساجد [illegible]
ثم خرج وترك جماعة من الصحابة رضي
من المهاجرين والانصار واقاموا فيها وولدوا
من احد اهل السوق وماتوا فيها وقبورهم
معروفة فيها كل قبر مكتوب عليه اسم صاحبه
غزواته مع محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] مع النبي صلى الله عليه وسلم وخرج
[illegible] وقتله كسيلة في [illegible]
[illegible]

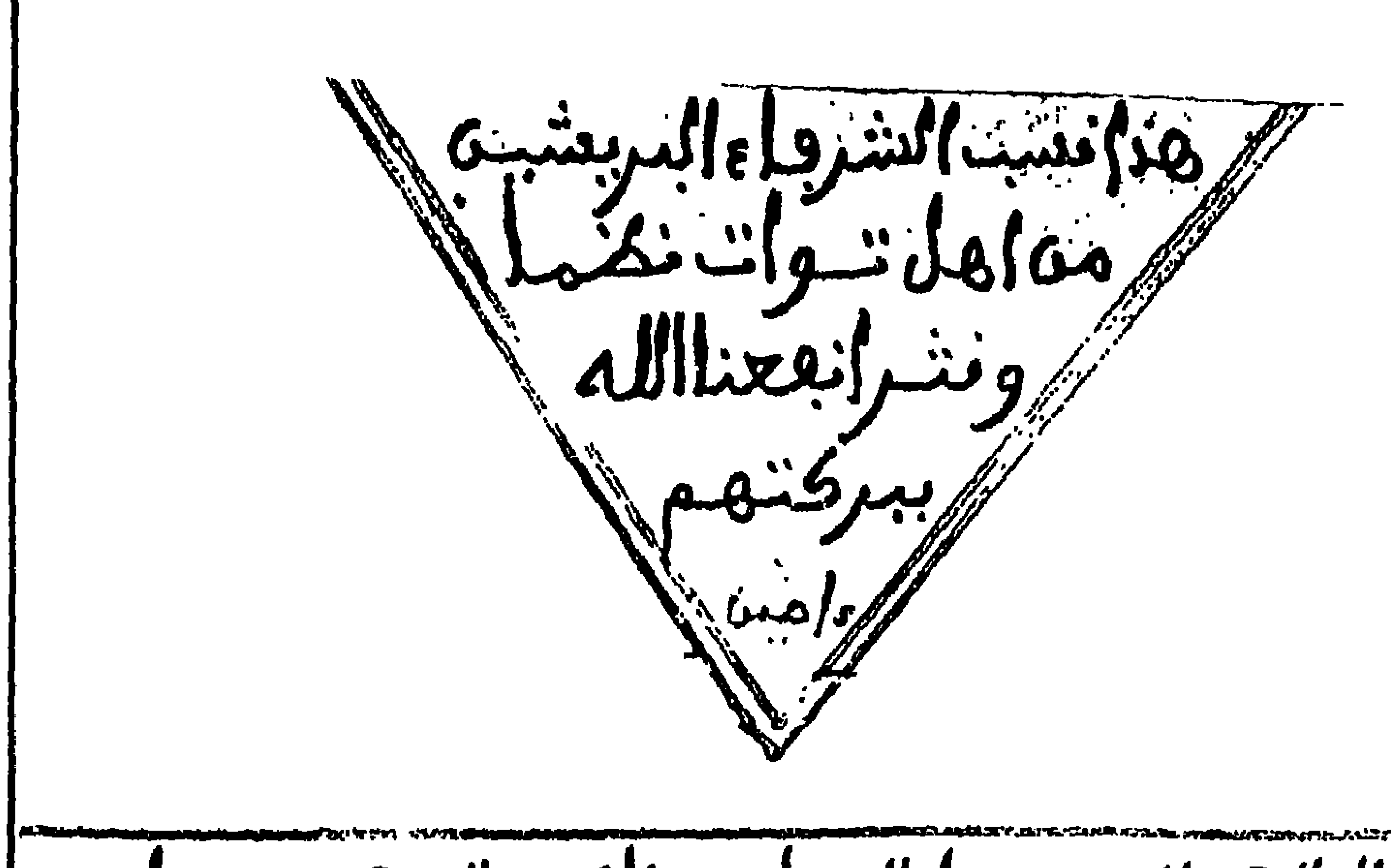
الصغير وكتاب [illegible]
[illegible] ثم استقل الصحابة رحلا وقتل
كسيلة [illegible] ثم رجع الجيش الى المدينة من غير
ان يمر على السوق والصحيح في تاريخ اهل السوق انهم
ذرية الصحابة بلا شك وخالهم عقبة بن عامر وهو
عقبة المستجاب وهو ابن اخت عمرو بن العاص
[illegible] وترتبوا العلم والدين من ذاك اليوم الى اليوم
والحمد لله تابعون لاسلافهم اهل الحجاز يحفظون فنون
العلم كلها وما تغير دينهم ولهم الا حرمة في
جميع البلاد ولا يقرب الظلمة من لاذ بهم وقد كان
منهم اولياء [illegible] ومنهم الفاضل عمر والعائد [illegible]
كثرة من الاولياء والعلماء والادباء [illegible]
ومنهم من يبلغ في الولاية [illegible] الا مشاهد [illegible]
المشرفة ومنهم الفقيه سليمان وابن اخيه
احمد بن [illegible] والطالب ابن ابي محمد وخرب السوق
[illegible] خربه في الزمان [illegible] قبل [illegible] وخرج اهله
[illegible] وسكنوا عندهم
ثم خرج منهم [illegible] بكثير احمد بن [illegible] والطالب
[illegible] الاولياء [illegible] العابد [illegible]

(*) تاريخ أهل السوق في (6) صفحات والصفحة الأولى تحوي العنوان فقط.

[illegible] نسب الغلانيين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و[illegible]
والسلام على نبيه المصطفى وعلى آله [illegible]
وبعد فاعلم ان نسب الغلانيين كان [illegible]
ابن الخطاب رضي الله عنه وارسل عمر بن الخطاب
عمرو بن العاص بالجيوش الى المغرب وجعل الجيوش
في السفينة في بحر المالح وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن
العاص اذا وجدتم ملوك الارض فادعوهم الى
الاسلام لقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله فلما
بلغوا بلاد تكرور ارسل عمرو بن العاص [illegible]
بن ياسر وهو المشهور رجل من عقبة بن ياسر
ملك بلاد تكرور بالاسلام كما قال عمر ابن الخطاب
فوجد في دين الاسلام ومن محمد ثم اجتمع وطنهم
من قومه مع عقبة بن ياسر فرحوا من ابى
منهم فلما اراد الرجوع عمرو بن العاص قال له
ملك تكرور هل رجعت وتترك فينا في ظلام الجهل
اعطنا ما يعلمنا ديننا قال اني ما جئت جئت
قال اجئت عقبة بن ياسر فلما مرة [illegible] العلم
ان يعلمهم فوقع عقبة بن ياسر [illegible]
[illegible] العاص الى المدينة فقال [illegible]

(*) مخطوط مبتور يحتوي على (2) صفحتين يروي تاريخ الغلان.

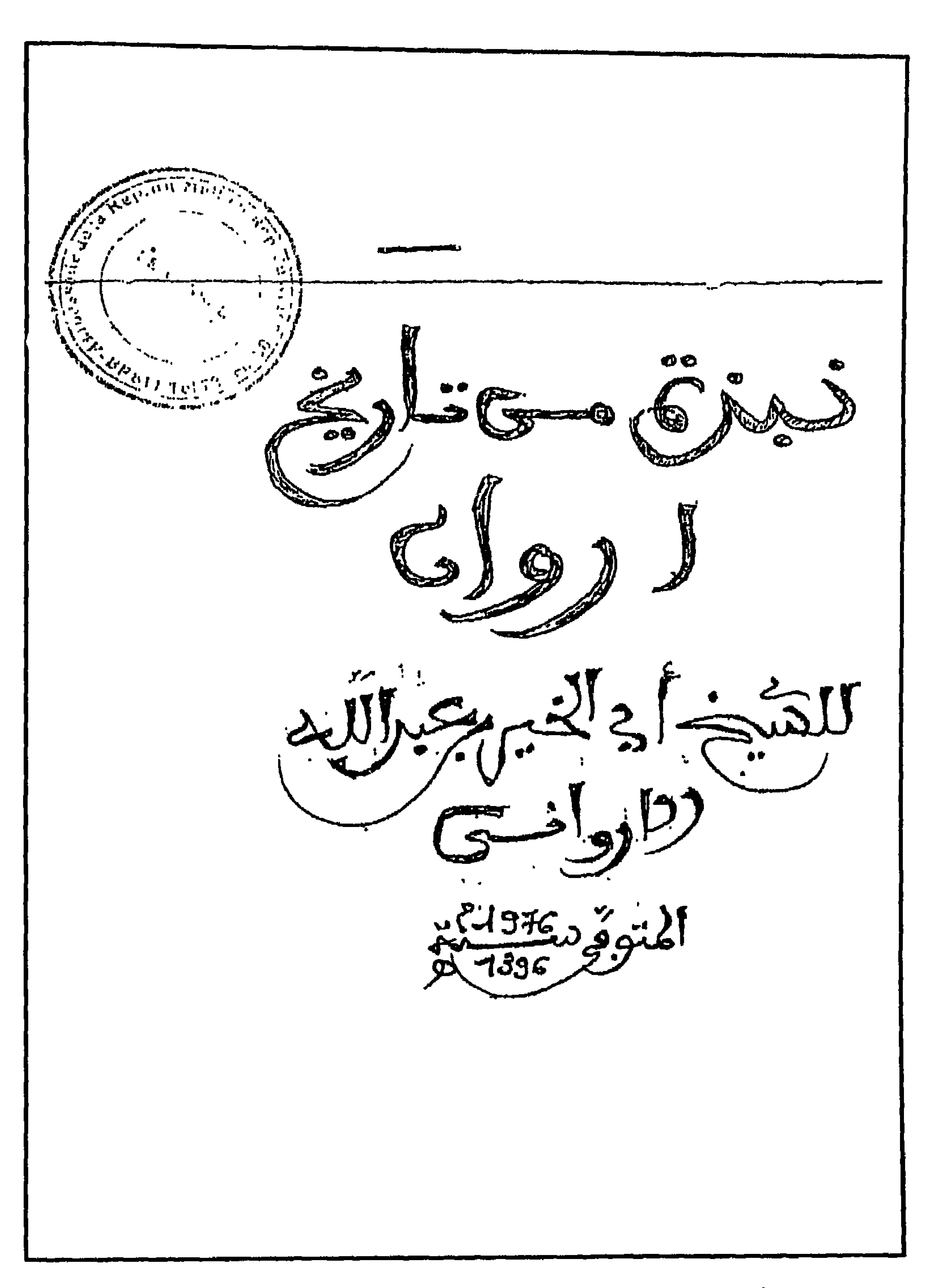


هذا نسب الشرفاء البريشيين
من أهل توات نظما
ونثرا نفعنا الله
ببركتهم
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله العظيم الأعظم ... الحمد لله الكريم الأكرم
وصلواته على محمد ... وآله وصحبه والمفتدي
وبعد ذي سلسلة كالذهب ... أردت نظمها بجد الطلب
أعني بذاك نسب الأشراف ... من آل بريشين ذوي العفاف
ذرية البريشين من توات ... سعد لها بنورها الموات
شجرة ثمارها قد أينعت ... شجرة أزهارها قد نفحت
شجرة أغصانها قد بسقت ... شجرة أفنانها قد أزهرت

(*) الصفحة الأولى من أرجوزة (منظومة) نسب الشرفاء البريشين من أهل توات بصحراء الجنوب الجزائري. والمخطوط في (6) صفحات. ثلاثة منها نثراً وثلاثة شعراً.


نبذة من تاريخ
أروان
للشيخ أبي الخير بن عبد الله
الأرواني
المتوفى سنة 1976م
1396هـ

(*) الصفحة الأولى من (نبذة من تاريخ أروان) وتحمل العنوان. وهو مخطوط في (13) ثلاثة عشر صفحة.

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

اما بعد فهذا ما نقلنا من تاريخ اروان عن السيد محمد بن
سيد محمد بن الحبيب ان اول من بنا اروان الشيخ الولي سيد
احمد بن آدم بن ابي بكر خرج من السوق قبل خرابه بعامين
او ثلاثة سائحا في ارض الله ومعه صاحبان تلميذه هو
امامه وقاضيه الصالح بن ابي محمد وطائفة عيشي
وقصد كدية باذرار مكسم جول ومكث فيها
زمنا يعبد الله ثم سار من كدية اذرار الى كدية تذرارت
ومكث فيها زمنا ايضا يعبد الله وسار وعند ما
الى تليخ ومكث عليه زمنا واتى عليه ثم اتى عسكر
مولاي احمد الذهبي مفتشا هو وامير سنغي
داوود واخذه العسكر وجعلوا الحديد في ارجلهم
وقت الضحاء وحين جاء وقت الظهر امر صانعه
باتيان ماء الوضوء له وانسل الحديد من رجله
بلا فعل فاعل وهم كذلك وصلوا الظهر بعد الوضوء

وحين   و

(*) الصفحة الثانية من مخطوط (نبذة من تاريخ أروان) وهي بداية الحديث في الموضوع وتحمل رقم 2.

صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي

أرض بها الإسلام شب وشاب قد * دخلوه طوعا دون فتح جنود

كم قام فيها بالدعاية قادة * نشروا الهدى في الغور مثل نجود

كم سجل التاريخ منهم سادة * في ذي البلاد سعوا لرفع بنود

باعوا لإله نفوسهم ونفيسهم * بذلوا البهي من عرضه ونقوده

مقدمة AVANT- PROPOS

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الذي خلق الانسان وعلمه البيان، وهداه إلى الحق والعدل، وبين له أن الكفاح خير لإصلاح الانسانية والكسل بين لها؛ والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله الذي أخرج أمته الإسلامية من ظلمات الجهل إلى ~~ظلمات~~ نور العلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى ساقني بلطفه إلى مدينة تنبكت تلك المدينة العظيمة التي كانت جسراً عظيماً بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الإفريقية؛ ووصلت إليها بصفة أستاذ اللغة العربية بمسجدها؛ وكانت الحياة فيها قاسية وصعبة مملة، وأردت أن أقتل أوقاتي الطويلة في البحث والتنقيب، وتوجهت إلى تاريخ

(*) الصفحة الأولى من مخطوط (صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي للأستاذ (كادي درامي)، وهي تقع في (485) صفحة ويليها الفهرست في (9) صفحات.

لي بلادكم، والمبادرة بحل بحادكم، وأن تكون بمحل لا يخفى
علينا فيه أمركم، كما كان قبل، ونحن في الأرض المعرضة لثوران الفتن
فلقد جربناها ورأينا سكانها وأولي ولا يتهامى أحد مكث
وغيرهم بين المحتوى تزاحم الجم ويأكلون فيما بينهم تأكل دواب
البحر في اللج، وكفى في هذا المقام الإشارة دون طول العبارة

والسلام

خاتمة: الحمد لله القائل «ن والقلم وما يسطرون»
أحمده وأشكره على منه وكرمه، وعديد نعمه أما بعد فقد تم لنا
ما بدأناه في سنة ١٩٧٢م في يوم السبت ٨ من ربيع الأول
سنة ١٣٩٥هـ الموافق لـ ٢٢/٣/١٩٧٥م في مدينة
تنبكتو بجمهورية مالي. وأسأل الله لي ولمن سيقرأه
غفران الذنوب إنه غفور رحيم.

* وها أنا ذاك مرسلها إليكم * لتختبروا أكارم ما اشترا بلا *
* فإن عيبًا فعيب في معيب * وإن حسنًا فمنة من أتابا *

محمد الهادي المحبوب
بكادي درامي

(*) الصفحة الأخيرة من مخطوط (صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي).

بسم الله الرحمن الرحيم

طرابلس بتاريخ 18/12/1986م

- مقالات عن الطوارق -

- مدخل -

لقد كتب المؤرخون القدامى عن الطوارق منذ عهد اليونان والرومان الذين أشار مؤرخوهم إلى المعلومات التي تحصلوا عليها من القوافل التجارية التي اجتازت الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان بحثاً عن الذهب والعاج وريش النعام والرقيق، تلك المعلومات التي تحدثت عن وجود الملثمين سادة الصحراء والذين تمتد بلادهم من تلك الصحراء الكبرى حتى تتاخم مناطق السود في قلب أفريقيا:

كما أن المؤرخين المسلمين قد تحدثوا منذ وقت مبكر عن هذا الشعب "الأصيل" وخاصة منذ ظهور دولة المرابطين في الصحراء وبلاد المغرب والاندلس.

أما في العصر الحديث فقد كتب عنهم الأوروبيون، وخاصة الفرنسيين، مئات الكتب

(*) الصفحة الأولى من مخطوط عن الموسيقى الموريتانية بحث مقدم من الأخ (سيمالي فال) ويحتوي على (17) صفحة.

بحث عن الموسيقى الموريتانية

I ـ تاريخ الموسيقى في موريتانيا (الأصول)

1) أصل عربي:

تعتبر الموسيقى في موريتانيا عربية الأصل وذلك لوجود الكثير من الأدلة من عبارات عربية صرف والمسببات الأصيلة في تركيب مقاماتها، مثل مقام «كار» (وهو موجود لحد الآن في الموسيقى العربية = «حجاز كار»). و«تجار» هذا هو المقام الذي تستهل به السهرة الموريتانية، و«البياط» من البياض، و«ازراق» من الزرقة، و«الفايز» أي إسم فاعل من فعل فاز، و«اسروزي» وهو مشتق من السرج باستبدال حرف الجيم بحرف الزاء. وكثيراً ما يحدث مثل ذلك في اللهجة الحسانية، مثل أعزوفة «الْهَزْ» التي مصدرها «الهزج»، وهو بحر من بحور الشعر العربي الفصيح، وفي الوقت نفسه (حسبما ورد في كتاب الأغاني)(*) يعتبر من بحور الإيقاع عند العباسيين والذي كان يشار إليه بتفعلة «فعولن» ووزن كلمة «قالَ لي» أحياناً، فمعزوفة «الْهَزْ» هذه كان المراد منها «الْهَزَجْ». ولكن في حالة التقاء حرف الزاء وحرف الجيم متتاليين كلاهما ساكن يحذف أثقلهما نطقاً أو يحذف آخرهما؛ ومقاح «العتيق» من العتاقة، ومقاح «أعظال» من العضلة، ومقاح «لبتيت» أي تصغير البت؛ وبت الشيء أنهاه، قطعه؛ ومقاح «لبتيت» هو الذي تختم به السهرة الموريتانية.

وفي الموسيقى الموريتانية أدلة كثيرة (يصعب إحصاءها) على كونها وليدة حضارة عربية أصيلة، رغم اختلاطها بغيرها؛ ومن تلك الأدلة وجود أرباع النغمات في بعض المقامات الموسيقية وتلك ميزة خاصة بالموسيقى العربية حسبما يعتبرونه الباحثون في ميدان الموسيقى (ميزيكولوجيا).

(*) كتاب الأغاني، (أبو الفرج الأصفهاني هو الذي ألّف كتاب الأغاني الإسلامية والعامية والعباسية).

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن اللساني الموريتاني

ينقسم الفن الموريتاني إلى ثلاثة أقسام ويسمى بالحسانية

وهو (?) :

١- الحسانية الكلاسيكية (?)   ٢- الحسانية الأدبية (?)

٣- اللغة الإيقاعية (?)

ومن المعلوم أن الجسم العربي يعرف عند

الموريتانيين يتفقه من الأنسلاق بثلاث نغمات (?)

حالة: "ريح" الطبيعة ترجي مراعاة ذلك

الحسانية الكلاسيكية (?)

أتماس وكما هو يذكر "الشاعر الذي تعرف

في هذه الحسانية كم تمدد الطلعة من الحسانية

قولوا الحاري كان إسبع

وهو ماة استدركت الأتماس

ومرت عقد ترك الطلعة

يسأل إلى ذلك من الناس

عن إلفه جيعه والمنيجه

شنه ما شرهم والتماس

أما في حماري المذكور فقصداً له دخول حتى

الحسانية قائلاً:

الطبيعة [illegible] بدت تحرر

ما هو في لما شيئا أظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

اهل مولاي الزين شرفاء
وأصلهم يسكنون في أدرار وانتقل منهم بعد
ذلك اثنان وسكن في [illegible] كبيب واول ومكانهم
على الزين [illegible] في البواتن وهم ثلاثة
حلل في ثلاث فرق فرقة اهل العرب ولد
زيدان وامامهم سيدي زيدان من
العرب وابناء عمه اهل زيدان بن القاسم
وابناء عمه ايضا اهل الزين بن القاسم
والفرقة الثانية اهل سيدي [illegible] بن زيدان
وامامهم احبيب بن سيديه بن زيدان
وابناء عمه جماعة والفرقة الثالثة
اهل سيد عال وامامهم سيد عال
وهم كثيرون ويسكن معهم فرقة من
أولاد الناصر وكثير من [illegible] وغيرهم
ويسكن في أدرار حوالي وادان اهل
اهل عبد المالك وكبيرهم زيدان بن
مولاي محمد بن عبد المالك واخوه
سيد عال واخوه مولاي الزين ولهم
ابناء عم هناك وهم طريقة ويسكن
بعضهم وادان وكلهم [illegible] ومن اهل
مولاي الزين في تيشيت وطريقة [illegible]

(*) مخطوط يبين نسبة أهل مولاي الزين للشرفاء. المخطوط في (٣) صفحات.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وءاله

هذه نسبة الشرفاء الكرام

الشيخ مولاي زيدان بن سيد محمد بن الشريف احمد
الملقب بالشريف الدخيل بن مولاي احمد بن مولاي
عبد الله بن مولاي الحبيب بن مولاي القاسم
بن مولاي علي بن مولاي صالح بن مولاي بلقاسم
بن مولاي يحيى بن عبد الرحمان بن مولاي سليمان
بن مولا عمر بن زين العابدين بن محمد بن مولاي
يعلى بن عبد الله الكامل بن مولاي ادريس
بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه نفعنا الله ببركتهم
امين

(*) مخطوط من صفحة واحدة يبين شجرة نسب الشيخ مولاي زيدان الشريف من اشراف (اروان).

المخطوطات

1 ازواد: باشا شيخينا، بحث مخطوط مكتبة المؤلف.

2 ازواد: خى بابا شياخ، مخطوط، مكتبة المؤلف.

3 الأمثال الشعبية في الصحراء: د. محمد سعيد القشاط، مخطوط، مكتبة المؤلف.

4 أمراء دولة الملثمين: محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط، مكتبة المؤلف.

5 الإبل لدى الطوارق: بحث أحمد محمد شفيع، مخطوط، مكتبة المؤلف.

6 أمارتا أدوعيش ومشظوف: تأليف الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيديا، دراسة وتحقيق، إزيدبيه بن محمد محمود.

7 إمارة أولاد يحيى بن عثمان: 1900 - 1932 تأليف، غيث بن أمم. بحث مقدم لجامعة نواكشوط.

8 بحث عن الفلان: محمد الطالب، مخطوط، مكتبة المؤلف.

9 بحث عن قبيلة الأتواج: كاتب مجهول، مخطوط، مكتبة المؤلف.

10 بحث عن موريتانيا: خى بابا شياخ، مخطوط، مكتبة المؤلف.

11 بحث عن الموسيقى الموريتانية: من (سيمالي ولد همدفال)، مخطوط مكتبة المؤلف.

12 تاريخ أهل السوق: مخطوط مكتبة المؤلف.

13 تحقيق اللامية الكبرى: للشيخ سيدي البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي، مقدماً بقصيدة لأحمد سالم بن السالك الحاجي، إعداد الطالب، عابدين بن سيدي الأمين، بحث مقدم لجامعة نواكشواط.

14 التعليم المحظري في موريتانيا: في الماضي والحاضر وآفاق المستقبل، إعداد، محمد الأمين بن الإمام، بحث مقدم لجامعة نواكشواط.

15 تطور الالتزام في القضية الوطنية: في شعر أحمدو بن عبد القادر، السالك ولد محمد المصطفى، بحث مقدم لجامعة نواكشواط.

16 ثورات الطوارق في النيجر 1916 - 1971: فين موحيتاد، نشر مجلة كراسات الدراسات

الأفريقية 49، مجلد 13، ص 82 - 120. ترجمة، محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، المخطوط العربي، مكتبة المؤلف.

17 الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسّانية: للعلامة صالح ولد عبد الوهاب الناصري.

18 الحقائق الازوادية: موسى أحمد الفوغاسي، مخطوط، مكتبة المؤلف.

19 الحنين في الشعر الموريتاني: بحث من عبد الوهاب الشيقر، مخطوط، مكتبة المؤلف.

20 الخطبة والزواج عند الطوارق: عبد الرحمن محمد قلّة، مخطوط، مكتبة المؤلف.

21 الخيول العربية والأفريقية وأصولها: بابا أحمد دمه، بحث مخطوط، مكتبة المؤلف.

22 دراسات إسلامية عن شخصيات أفريقية: القسم المتعلق بقبيلة كنته، د. عزيز بطران؛ الترجمة العربية، مخطوط، مكتبة المؤلف.

23 دراسة عن التراث الشعبي عند الطوارق: همه وليلة، بحث مخطوط، مكتبة المؤلف.

24 دراسة عن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي: مخطوط، مكتبة المؤلف. محمد معلوم، دراسة لنيل الماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا.

25 الدرر الوهاجة في حميرية قبائل صنهاجة: للعلامة بن الداه بن الطالب اعبيدي.

26 ديوان أحمد بن يوره:.

27 ديوان سيدي محمد بن المختار الكنتي:

28 ديوان القاضي محمد يحيى بن محمد الدنيحة: إعداد الطالب: المختار بن المصطفى، بحث مقدم لجامعة نواكشواط.

29 ديوان محمد فال بن أحمد فال (المرابط): تحقيق، محمد الأمين بن محمد الحافظ، بحث مقدم لجامعة نواكشواط.

30 ذكر فقهاء تينبكتو وعلمائها: إبراهيم بن مالك بن الحسن الفلاني.

31 رسائل محمد عبد الله السني: مخطوط، مكتبة المؤلف.

32 رسالة نسب الشرفاء أبناء أبي السباع: شجرة نسب، مخطوط، مكتبة المؤلف.

33 رسالة الروض في أنساب أهل الحوض: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم.

34 رسالة الشيخ أحمد البكاي بن محمد المختار بن أحمد: موجّهة إلى قبائل الفلان يحذرهم من التعامل مع أحد أقربائه (التيجانيين)، صورة مخطوط، مكتبة المؤلف.

35 الرسالة الغلاوية: سيدي محمد الخليفة، مكتبة المؤلف.
36 رسالة في ذكر نسب تكنه أولاد موسى: مكتبة المؤلف.
37 رسالة في شرف أهل مولاي الزين: مكتبة المؤلف.
38 رسالة في نسب أولاد معتوق: مكتبة المؤلف.
39 رسالة في نسب الفلان وأصلهم وغير ذلك وبعض أخبارهم: تأليف نوح بن طاهر بن أبي بكر بن موسى، مكتبة المؤلف.
40 رسالة لعبد الله الطوير الزوي: صورة، مكتبة المؤلف.
41 رسالة موجهة إلى جميع زعماء دول المغرب العربي في بعض تاريخ الفلانيين: المرسل الفا نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسى، مخطوط، مكتبة المؤلف.
42 رسالة نسب الشرفاء أبناء أبي السباع: مخطوط، مكتبة المؤلف.
43 شجرة نسب الشرفاء المكارم: مخطوط، مكتبة المؤلف.
44 شجرة نسب الفلانيين: مكتبة المؤلف.
45 الشعر الحسّاني بموريتانيا: بحث من عبد الوهاب الشيقر، مخطوط، مكتبة المؤلف.
46 الشعر الحسّاني: عبد الوهاب الشيقر، مخطوط، مكتبة المؤلف.
47 الشعر الحسّاني: أحمد بابا مسكه، مخطوط، مكتبة المؤلف.
48 الشيخ محمد المامي وأعماله اللغوية: إعداد الطالب، محمد الحسن بن محمد سعد. بحث مقدوم لجامعة نواكشواط.
49 صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي: تأليف، كادي درامي، مخطوط، مكتبة المؤلف.
50 صحراء وطوارق: جان روش، المدير العلمي لمركز نيجيريا للبحوث في العلوم الإنسانية. اطروحة لنيل الدكتوراه، 1961 م. الترجمة العربية، مخطوط، مكتبة المؤلف.
51 الطرائف والتلائد في أخبار الشيخين الوالدة والوالد: تأليف، سيدي محمد بن سيدي المختار الكنتي. صورة مخطوط، مكتبة المؤلف.
52 الطوارق شعب الصحراء الكبرى: بقلم محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط، مكتبة المؤلف.
53 ظاهرة الدولة عن بلاد شنقيط وتركيبتها الاجتماعية: أحمد بن سيدي. بحث مخطوط، مكتبة المؤلف.

54 علوية أدوعلي وبكرية محمد غل: تأليف الفقيه أبو عبد الله سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم.
55 الفن الحسّاني الموريتاني: باشا شيخنا، مخطوط، مكتبة المؤلف.
56 قبائل موريتانيا العليا: أولاد دليم - الرقيبات، تكنة. بول مارتي، مركز المخطوطات والوثائق (دكار).
57 قصيدة للشاعر محمد امبارك اللمتوني: في نسب لمتونة العربي، مخطوط، مكتبة المؤلف.
58 كفاح اللادي آلة بشير: شريط مقابلة مع اللادي، 1981 م، مخطوط، مكتبة المؤلف.
59 لمحات من تاريخ شنقيط: تأليف شغال بن أحمد محمود.
60 لمحة عن أحداث حركة الاستقلال في مالي 1959: مخطوط، مكتبة المؤلف.
61 المثقّف الموريتاني وعلاقاته مع الفرنسيين من خلال طرائف ابن أحمد فال: بحث مقدّم لجامعة (نواكشواط).
62 مخطوط العلامة أحمد بن حبت الغلاوي الشنقيطي: في مختصر تاريخ المرابطين، مكتبة المؤلف.
63 مساهمة في دراسة تاريخ ومجتمع الطوارق، شعب الصحراء الكبرى: مخطوط، مكتبة المؤلف.
64 معجم تعريب النباتات الموريتانية: الجزء الأول، تأليف، شغالي أحمد محمود الغلاوي الشنقيطي، مخطوط، مكتبة المؤلف.
65 مقالات عن الطوارق: بقلم محمد الشفيع، مخطوط، مكتبة المؤلف.
66 مقتطفات من نباتاتنا الصحراوية بالفصحى. مع ذكر منافعها وخواصها الطبيعية التقليدية. الأستاذ شي غالي بن أحمد محمود، مخطوط، مكتبة المؤلف.
67 ملخص عن تاريخ الصحراء: الحجى آمي، مخطوط، مكتبة المؤلف.
68 نظم سلسلة الشرفاء أهل رقان: نظم أحمد أبو الأعراف، مخطوط، مكتبة المؤلف.
69 نظم سلسلة شرف أبناء عمار: نظم عثمان بن الفقيه محمد يحيى، مخطوط، مكتبة المؤلف.
70 نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب: تأليف الشيخ سيدي المحـ ر الكنتي، مخطوط، مكتبة المؤلف.

المصادر والمراجع

1 ابن الأثير: «الكامل في التاريخ»، دار الفكر.

2 ابن بطوطة: رحلة. تحقيق على المنتصر الكتاني، جزء أول وثان، مؤسسة بيروت.

3 ابن خرداذيه: أبو العباس «المسالك والممالك» مكتبة المثنى.

4 ابن خلدون عبد الرحمن: «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

5 ابن خلكان: أبو عباس شمس الدين «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» دار صادر.

6 ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب. دار الثقافة.

7 ابن عماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، منشورات دار الآفاق الجديدة.

8 ابن غلبون: أبو عبد الله محمد بن خليل «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار»، عنى بنشره الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية.

9 ابن فودي، عثمان: «سراج الأخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان»، طبع على نفقة الشيخ عمر محمد الفلاتي، بالمدينة المنورة، مطبعة المدني بالمؤسسة السعودية بمصر.

10 ابن فودي، عثمان: «كتاب بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية»، طبع على نفقة معلم اسحاق.

11 ابن منظور: لسان العرب، معجم لغوي، دار صادر.

12 اسماعيل، محمد: «الخوارج في المغرب الإسلامي»، دار العودة.

13 بديع، ليلى خليل: «أضواء وملامح من الساقية الحمراء ووادي الذهب بالصحراء الغربية» دار المسيرة. بيروت.

14 البرتلي، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: (فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور)، تحقيق: ابراهيم الكتاني ومحمد حجى، إصدار دار الغرب الإسلامي.

15 البرغوثي، عبد اللطيف محمود: «التاريخ الليبي القديم» منشورات الجامعة الليبية، دار صادر.
16 برولار: (نقيب احتياط في الجيش الفرنسي) «الموسيقى والرقص في غات» ترجمة للعربية عن الفرنسية عبد المجيد شعبان.
17 البعلبكي، منير: «موسوعة المورد» دار العلم للملايين.
18 البلاذري: الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (فتوح البلدان)، حققه عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.
19 بللين، بول: وغي روندرو (معلمان في الرقيبة التابعة للواد)، ألعاب الأطفال في الصحراء بالفرنسية ترجمه إلى العربية عبد المجيد شعبان.
20 بنعبد الله، عبد العزيز: تاريخ المغرب، العصر الحديث والفترة المعاصرة، الجزء الثاني، نشر وتوزيع مكتبة السلام، ومكتبة المعارف.
21 بو عزيز، يحيى: (ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
22 بولان، جاك: (مستشار الرئيس ديوري) ترجمة محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط، مكتبة المؤلف.
23 بولم، ونيس: (الحضارات الأفريقية) ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
24 التليسي، خليفة محمد: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911. دار الثقافة.
25 التميمي عبد الجليل: (بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816 - 1871) الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى.
26 التنبكتي، أحمد بابا: (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس الطبعة الأولى.
27 التيجاني: رحلة أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني. نشريات كتابه الدولة للمعارف التونسية، 1958 م.
28 جبهة التحرير الأرترية: تجربة جيش التحرير الأرتري، إعداد الدائرة العسكرية، منشورات مركز الإعلام الخارجي لجبهة التحرير الأرترية.

29 جبهة التحرير الأرترية: أرتريا بركان القرن الأفريقي، الطبعة الثانية.

30 الجمهورية الإسلامية الموريتانية: دراسة مسحية شاملة. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية.

31 الجودة، فوزي: الصحراء المغربية، الساقية الحمراء ووادي الذهب.

32 جيوليتي: مذكرات (الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا)، 1911 - 1912. تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

33 حاجي، عبد القادر: من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى. دار المصراتي للطباعة والنشر والتوزيع.

34 الحرير، إدريس صالح: الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا، 1911 - 1970، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية العربية الليبية.

35 حسن، يوسف فضل: (العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية)، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

36 حسين، محمد كامل: (في أدب عصر الفاطمية) دار الفكر العربي.

37 الحضيري، أبو بكر عثمان القاضي: (فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور)، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، دار المحيط العربي.

38 الخنديري، سعيد عبد الرحمن: العلاقات الليبية ـ التشادية 1843 - 1975، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية العربية الليبية.

39 خرفي، صالح: (صفحات من الجزائر). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر.

40 خطاب، محمود شيت: (قادة فتح المغرب العربي). دار الفتح.

41 خطاب، محمود شيت: (عقبة بن نافع الفهري) ـ دار الفكر.

42 دائرة المعارف الإسلامية: دار المعرفة، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد.

43 دافدسون، بادل: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال م. أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

44 داي، أدوارد: المغرب العربي، ترجمة مصطفى محمد جودة، دار مكتبة الفكر، طرابلس.

45 رايت، جون: تاريخ ليبيا ـ تعريب عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، الناشر الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، 1972 م.

46 رايت، لويس: وجوليا ماكاليود، (الحملات الأميركية على شمال أفريقيا)، تعريف روحي بعلبكي، مكتبة الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا.

47 روش، جان: صحراء وطوارق، ترجمة من الفرنسية إلى العربية (مجهول)، مخطوط، مكتبة المؤلف.

48 الزاوي، الطاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار التراث، ليبيا ـ الطبعة الثالثة.

49 الزاوي، الطاهر أحمد: (معجم البلدان الليبية) منشورات دار مكتبة النور، طرابلس ـ ليبيا.

50 الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، معجم لغوي، دار صادر ـ الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية ـ المنشأة بجمالية مصر المحمية.

51 الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين.

52 زعرور، شريل: (التعاون العربي الأفريقي)، عقد من التعاون بين بلدان الجنوب - 1984 1975، إشراف وتقديم د. سمير أمين.

53 ساليفو، أندرو: نشر المركز النيجيري للبحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، 1973. ترجمه عن الفرنسية محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط، مكتبة المؤلف.

54 سعدي، عثمان: «عروبة الجزائر عبر التاريخ»، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

55 السعدي: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، (تاج السودان)، وقف على طبعه هوداس مدرس اللغة العربية بمحروسة باريز وشاركه في ذلك تلميذه السيد بنوه. طبع بمطبعة بردين انجي.

56 شاريال، جون: قبائل الرحل السود في الصحراء، مترجم للعربية، مخطوط، مكتبة المؤلف.

57 شاكر محمد، ونافذ أيوب: بيلتو من سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا مالي ـ المكتب الإسلامي.

58 الشامي، علي: (الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي) دار الكلمة للنشر.

59 شلبي أحمد: (موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية.

60 الشنتريني: أبي الحسن علي بن بسام «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس.

61 الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين: (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط)، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

62 الشيبي، كامل مصطفى: (ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون)، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، طبع دار الثقافة.

63 الصغير، عبد المجيد: «من تاريخ التصوف المغربي - (إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 - 19)، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب.

64 الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير: «تاريخ الملوك والأمم»، مكتبة خياط، شارع بلس.

65 العارف، ممتاز: (أرتريا بين احتلالين)، مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد.

66 عاشور، اكس أحمد محمد: لمحات تاريخية عن (النضال الليبي المسلّح ضد غزوات الاسبان وفرسان مالطة، الأميركان، الطليان) 1510 - 1970. المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ـ الجماهيرية.

67 عبد الغني، عبده: (الطريق الثوري لتحرير الصحراء الغربية) منشورات ماسبيرو ـ باريس.

68 عبد اللطيف، صلاح: (الفلاشه الخيانة المحاكمة) الناشر مكتبة مدبولي ـ القاهرة.

69 عيتاني، ليلى بديع: (البوليزاريو قائد وثورة) دار المسيرة، بيروت.

70 العقاد، عباس محمود: «فاطمة الزهراء والفاطميون» دار الهلال.

71 علي، جواد: (تاريخ العرب قبل الإسلام)، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة ـ بغداد.

72 عنان، محمد عبد الله: (عصر المرابطين والموحدين)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

73 العوامر، ابراهيم الساسي: (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف)، الدار التونسية للنشر.

74 عوض الله، الأمين: (العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي، وسنقى، دار المجمع العلمي بجده.

75 الغربي، محمد: (بداية الحكم المغربي في السودان الغربي)، إشراف د. نقولا زيادة.

76 غريفنيش، غيورغ فون: (تاريخ الحرب الليبية ـ الإيطالية)، منشورات مركز دراسة جهاد

الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ترجمه د. عماد الدين غانم، الجماهيرية العربية الليبية.

77 الغناي، مراجع عقيلة: (سقوط دولة الموحدين)، منشورات جامعة بنغازي.

78 غيرستر، جورج: (الصحراء الكبرى)، تعريب خيري حمّاد، المكتب التجاري، بيروت.

79 فايس، بينيديكيت وجيرار دال مارمول والبيردوتراب (دليل الصحراء)، مترجم للعربية، مخطوط، مكتبة المؤلف.

80 القشاط، محمد سعيد: (معارك الدفاع عن الجيل الغربي) المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية، الطبعة الأولى.

81 القشاط، محمد سعيد: (خليفة بن عسكر) الثورة والاستسلام. دار المسيرة، بيروت.

82 القشاط، محمد سعيد: (التوارق عرب الصحراء الكبرى)، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء.

83 القشاط، محمد سعيد: (جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى 1854 - 1988)، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء.

84 القشاط، محمد سعيد: (الأسراب الجانحة)، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

85 القيرواني، الرقيق: (تاريخ أفريقيا والمغرب)، الناشر رقيق السقطي، تونس.

86 كحالة، عمر رضا: (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة)، منشورات دار مكتبة الأندلس، بنغازي ـ ليبيا.

87 كعت، القاضي الفغ محمود: «تاريخ الفتاش»، وقف على طبعة السيد هوداس مدرّس اللغة العربية بمدرسة باريس وشاركه في ذلك السيد دلافوس مدرّس اللغات السودانيات.

88 كلفت، خليل: قضية أرتريا. ترجمة وثائق محكمة الشعوب الدائمة المنبثقة عن الرابطة العالمية لحقوق وتحرير الشعوب. دور أرتريا. سيلانو ـ إيطاليا.

89 لقبال، موسى: (الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر.

90 لوت، هنري: (لوحات تاسيلي) تعريف أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا.

91 ليون جون، فرنسيس: (من طرابلس إلى فزان) ـ مذكرات 1818 م، تعريب مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس.

92 ماتسان، هانريش فون: (ثلاث سنوات في شمال غرب أفريقيا). ترجمه أبو العيد دورد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

93 الماحي، عبد الرحمن عمر: (تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894-1960)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

94 مارتي، بول: (كنته الشرقيون، من عرب مالي والنيجر)، ترجمه محمد محمود ولد دادي، مطبعة زيد بن ثابت.

95 مارتي، بول: (البرابيش ـ بنو حسان)، ترجمه محمد محمود ولد دادي.

96 ماركو، رولان جي: (طلينة الأفارقة) التعليم المحلي الحكومي في المستعمرات الإيطالية 1890 - 1937. منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ترجمه عبد القادر مصطفى المحيش، الطبعة الأولى.

97 المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: (الكامل في اللغة والأدب)، مكتبة المعارف، بيروت.

98 محمود، جميل مصعب: (القضية الأرترية، دراسة نظريةوميدانية، الجمهورية العراقية) وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر.

99 المرزوقي، محمد: (مع البدو في حلهم وترحالهم)، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس.

100 المرزوقي، محمد: (دماء على الحدود)، الدار العربية للكتاب.

101 المرزوقي، محمد: (الشعر الشعبي والانتفاضات التحريرية)، سلسلة الثقافة العامة، الدار التونسية للنشر.

102 مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: (عمر المختار نشأته وجهاده) من 1863 إلى 1931، إشراف د. عقيل محمد البربار، منشورات جامعة الفاتح، طبعة ثانية.

103 مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: (المعتقلات الفاشستية بليبيا)، تأليف يوسف سالم البرغتي.

104 مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: (ملحمة الحرب الليبية الرومانية)، أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، تأليف فلقيوس كريسكوينوس كوريتوس، ترجمة د. محمد الطاهر الجراري.

105 مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: (تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969 م، ترجمة وتقديم الدكتور عماد حاتم، الجماهيرية العربية الليبية.

106 المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: «مروج الذهب» دار الأندلس.

107 محمد، علي يحيى: «الإباضية في موكب التاريخ»، مكتبة وهبه.

108 مفتاح، صالح مصطفى: «ليبيا منذ الفتح العربي»، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

109 مقلد، محمد يوسف: «شعراء موريتانيا» مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

110 مقلد، محمد يوسف: «موريتانيا الحديثة»، دار الكتاب اللبناني.

111 منصور، عبد الوهاب: «قبائل المغرب»، المطبعة الملكية، الرباط.

112 الميلي، محمد: «ابن باديس وعروبة الجزائر»، دار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، الجزائر.

113 الأنصاري، أحمد بك النائب: «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب»، مكتبة الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا.

114 ناجي، محمود: «تاريخ طرابلس الغرب»، ترجمه عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب.

115 الناصري، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد: كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى».

116 النحوي، خليل: (بلاد شنقيط. المنارة والرباط)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية.

117 النويري، شهاب الدين: «غاية الإرب» وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

118 هورغات، فيدريك: «رحلتان عبر ليبيا»، دار الفرجاني، ليبيا.

119 هورغات، فيدريك: «الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان»، تعريب مصطفى جوده، مكتبة الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا.

120 هولت، ب. م: (دولة المهدية في السودان، عهد الخليفة عبد الله 1885 - 1898)، نقله من الإنجليزية إلى العربية نصري رياض، محمد محجوب مالك، الجنيد علي عمر، عبد الحافظ عبد العزيز.

121 وجدي، محمد فريد: «دائرة معارف القرن العشرين»، دار الفكر.

122 الوزان، الحسن بن محمد: (ليون الأفريقي) «وصف أفريقيا» ترجمه عن الفرنسية محمد صبحي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي.

123 ولد أباه، محمد المختار: «دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا»، الجامعة التونسية.

124 ويللارد، جيمس: «الصحراء الكبرى»، مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا.

125 يوشع، بشير قاسم: «غدامس ملامح وصور»، دار لبنان للنشر والتوزيع.

المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

هذه هي صحراء العرب الكبرى من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر والتي كانت ذات يوم امتداداً لصحراء الجزيرة العربية عندما لم يكن هناك وجود للبحر الأحمر ــ كما يقول الجغرافيون ــ .

هذه هي صحراء العرب الكبرى التي سكنها العرب منذ آلاف السنين. يدل على ذلك نقوشهم في جبال أكاكوس وتيبستي والهقار وآير.

وتدلّ على ذلك طرقهم التي شقّوها عبر الرمال والصخور رابطة شمال الصحراء بجنوبها، وشرقها بغربها.

وتدل على ذلك آبارهم التي حفروها، وما زالت تحمل أسماءهم لها منذ زمن قديم.

هذه هي الصحراء التي ما زال الطابع العربي على أديمها منذ أحقاب قديمة. أسماء صحاريها الشاسعة المنبسطة: سرير مرزق. سرير القاف، تيرس، الرق. وتيرس تعني أنها تشبه الترس. والرق تعني أنها مثل الجلد المنبسط.

وما زالت جبالها تحمل الأسماء العربية:

جبال الآير: والآير في لغة القاموس الحجر الصلد.

الأدرار: وقلنا إنها تعني الجبال في لهجة صنهاجة.

وجبال تيبستي: بلاد التبو، وجبال الهقار: قبائل الهقار.

وما زالت رمالها العالية تحمل الأسماء العربية العِرق، والكَنْدرَة، والعقلة.

وما زالت مدنها وقراها تحمل الأسماء العربية وكذلك أشجارها وحشائشها وحتى حيواناتها البري منها والأليف.

ما زال العرب البدو بخيامهم السوداء يتنقّلون من وادٍ إلى واد. ومن منحنًى إلى منبسط. الخيام العربية نفسها في جزيرة العرب بمسمياتها وأوتادها وأطنابها وركائزها.

تلك هي صحراء العرب التي قضى الاستعمار الحديث أن لا تكون لها بالعرب صلة، وأقصد القسم الأوسط منها، وركّز على سلخها من أمتها ووطنها العربي الكبير.

كلف مئات البعثات التبشيرية في محاولة منه لتنصير العرب في صحرائهم.

Dr. Binibrahim Archive